الفجر المنير

صفحات من تاريخ العرب والمسلمين

الدكتور علي عبد الكريم الكساب

كلية العلوم التربوية الجامعية - الأونروا
أستاذ مساعد في المناهج والدراسات الاجتماعية





الفجر المنير

صفحات من تاريخ العرب والمسلمين



الفجر المنير

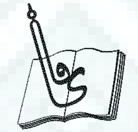
صفحات من تاريخ العرب والمسلمين

الدكتور

علي عبدالكريم محمد الكساب

الأستاذ المساعد في كلية العلوم التربوية الجامعية
الأونروا – عمان

١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م



داريافا العلمية للنشر والتوزيع

٩٥٦,٠٢

الكساب، عبدالكريم علي

الفجرالمنير صفحات من تاريخ العرب والمسلمين/ علي عبدالكريم

الكساب ._عمان: دار يافا العلمية ، ٢٠٠٨

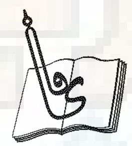
(   ) ص

ر.إ : ٢٠٠٨/٢/٣٧٢

الواصفات : / التاريخ الإسلامي//

* تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨



دار يافا العلمية للنشر والتوزيع

الأردن – عمان – تلفاكس ٤٧٧٨٧٧٠ ٦ ٠٠٩٦٢

ص.ب ٥٢٠٦٥١ عمان ١١١٥٢ الأردن

E-mail: dar_yafa @yahoo.com

الإهداء

إلى خير المرسلين وخاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الطيبين رضوان الله عليهم، ومن تبعهم إلى يوم الدين، وحرص على نشر دين الله ونصرته.

إلى روح والدي الحنون رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه، وألى والدتي الحنونه، وإلى زوجتي الغاليه التي ساعدتني في أخراج هذا العمل، وأبنائي حفظهم الله ورعاهم برعايته، وإلى كل من ساهم في تنسيق وتدقيق وإخراج هذا الكتاب .

أهدى أجرا هذا العمل سائلاً المولى عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكون خالصاً لوجه الكريم قال تعالى: (فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾) (الكهف : ١١٠).

الدكتور / علي عبد الكريم محمد الكساب


الذخيرة العربية

المقدمة :

قال تعالى: (رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾) (النمل،آية:١٩).

إن الحمدّ لله نحمده ونستعينه ونستغفره من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، الحمدّ لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله النبيّ الأميّ خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم صلى الله عليه وسلم.

أنّ البحث والتحري والتعرف على دره أضاءت السماء والارض وأفلجت صدور قوماً مؤمنين، وأن الله باعث رسله بالحق عامة وختمهم بأفضل الأمم وخصها بنبيّ أحبه الله وكتب أسمه على كرسي العرش، وأنزل عليه كتاب للمسلمين ما ان تمسكوا به لن تضلوا بعده أبداً، وسنة أحيا بها الارض بعد ظلمات أضاءت بهما فجاءت متممة لكتاب الله.

لقد كانت بداية هذا الكتاب فكرة أراد الله لها أن تصبح حقيقة، فأخذ الله بيدي وسهل لي الأمور وذلل الصعاب، وأعانني على الوصول للمراجع والمصادر والفضل لله تعالى في ذلك، وجاء هذا الكتاب ليتتبع الحقائق المجردة ويبينّها ويثبت حقائقها بالاعتماد على آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والروايات التاريخية الحقيقية لتبين الاحداث التاريخية الاسلامية وتُظهر المكائد والفتن التي ألمت بالمسلمين وأرادت لهم الشر، وجاءت قدرة الله ليفتضح أمرهم ويعلن سريرتم ويمحقهم في الدنيا ولهم العذاب في الآخرة، وأفادتنا بعبر ودروس لتجنبنا هؤلاء المفسدين والحاقدين في الارض منذ أن بعث الله المصطفى عليه الصلاة والسلام الى عصرنا الحديث وتآمرت علينا الامم الحاقدة والكارهه لدين الله، الا أن وعده قريب لنصرة الاسلام والمسلمين.

واعتمدت في نسج وجمع كل الاحداث التاريخية لتسلسلها الزمني والمكاني ما أمكن بالاعتماد على المصادر الرئيسية يتقدمها القرآن الكريم، والاحاديث النبوية

الشريفة المسندة بتمام الصحة وأخذت بروايات المحدثين والمؤرخين الموثوق بهم وخاصة السيرة النبوية الشريفة لأبن هشام وما رواه الامام الطبري وبعض المراجع للمؤرخين الذين وهبوا أنفسهم للاسلام والمسلمين وجاء في كتابه العزيز قوله تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) (الأحزاب،الآية:٧٠-٧١).

إن المتمعن في دراسة التاريخ ليجد أن أفضلها تلك الفترة الزمنية التي عاشها الرسول(صلى الله عليه وسلم) وأصحابه(رضوان الله عليهم) الذين تحملوا كل العناء في نشر الدعوة الاسلامية وقال تعالى : (مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا) (الفتح،الآية:٢٩)، واعترى تاريخها الكثير من التشويه بسبب المكائد التي أثارات الفتن، وأودت الى مقتل بعض الصحابة وطعنت ببعضهم، ونشأت الفرق والأحزاب،التي بزغ عنها بذور الشر والكراهيه للإسلام والمسلمين،وهذه المبادئ ليس لها صلة بالإسلام والمسلمين، بل كانت ويلاً عليهم.

تضمن هذا الكتاب سبع وحدات مفصله، ففي الوحدة الأولى والتي قسمت الى ثلاثة فصول، فتمثل الفصل الأول بدراسة موجزة عن جغرافية شبه الجزيرة العربية تضمنت موقعها الفلكي والجغرافي، والبناء الجيولوجي لشبه الجزيرة العربية، والأقسام التضاريسية، وأهميتها الاستراتيجية، والدينية، والحضارية، والأقتصادية، والتجارية. وتضمن الفصل الثاني الحديث عن سكان شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام (أصلهم، وأقسامهم)، وتضمن الفصل الثالث الحديث عن الحكم في شبه الجزيرة العربية(اليمن، الحجاز، الشام، والبلاد العربية).

أما الوحدة الثانية فقد تحدثت فيه عن أحوال العرب قبل الاسلام، وذلك لتعريف القارئ بأحوال العرب السياسية، والاجتماعية، والأقتصادية، والدينية، والثقافية.

أما الوحدة الثالثة فكانت عن السيرة النبوية الشريفة الزاخرة بأحداثها ودلالاتها المبهرة، والمزودة لنا بالدروس والعبر والعظات، لنتعلم ونعلم منها النظريات السياسية، حيث أشتملت على ولادة سيد البشرية صلى الله عليه وسلم، وأصله، ونسبة، وصفاته، وحياته الأسريه، وفترة شبابه، ونزول الدعوه عليه، ونشرها سراً وعلانية، والمقاطعه، وهجرته الى المدينة المنورة.

بينما جاءت الوحدة الرابعة لتتحدث عن إنشاء الدولة الإسلامية في المدينة المنورة وذلك ببناء المسجد، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، والصحيفة، وتجهيزالجيش الإسلامي وبدأ الأعمال العسكرية، والمعارك الحاسمه (معركة بدر، ومعركة أحد وبعض الغزوات التي خاضها المسلمون دفاعاً عن الإسلام والمسلمين).

وفي الوحدة الخامسة تتبعت الأحداث التاريخية الخاصة بالفتوحات الأسلامية داخل وخارج المدينة المنورة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم (فتح مكة)، والبعوث والسرايا التي بعثها الرسول صلى الله عليه وسلم، وصلح الحديبية، وتوجيه الرسائل الى ملوك وأمراء القبائل العربية، وبعض الغزوات حتى إنتقاله إلى الرفيق الأعلى عليه الصلاة والسلام .

وتحدثت في الوحدة السادسة عن الدولة الراشدية (١١- ٤٠ هـ / ٦٣٢ – ٦٦١ م) وكيفية أنتخاب الخليفة، والخلفاء الأربعة أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضوان الله عليهم، وتعرفنا على حياة وعصر من قال الله فيهم: (وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَـٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَـٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّـٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾)

(التوبة،آية:١٠٠)، والفتوحات الاسلامية خارج الجزيرة العربية، والفتنة، وخلافة أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنه (٤٠ هـ)، وتنازله لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

أما الوحدة السابعة تحدثت فيها عن الدولة الأموية (٤١ - ١٣٢ هـ/ ٦٦١ – ٧٥٠م)، ومكانة بني أمية قبل الإسلام، وأوجزت قائمة بالخلفاء الامويين، ثم تحدثت عن الخليفة – معاوية بن أبي سفيان وأعماله، والفرق والأحزاب السياسية في عهد دولة بني أمية (الشيعة، والخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، والزبيريون).

أذ أنني لا أدعي بهذا العمل صفات الكمال، وأطلب من الله العلي القدير أن يسدد خطواتي ويعلمني ما لا أعلم، ويشفي صدور قوماً مؤمنين، والفضل من الله ولمن سبقني في الكتابة بهذا الموضوع، ولهم إن شاء الله الأجر العظيم في الدنيا والأخرة، واسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل ويشرح صدور قوماً مؤمنين، للانتفاع به ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده ـ قال تعالى: **مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢** (فاطر،آية:٢)، سبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الدكتور/ علي عبد الكريم محمد الكساب
كلية العلوم التربوية / الأنروا
الأردن – عمان – المقابلين
١/ أيلول / ٢٠٠٧ م – ١٩ شعبان ١٤٢٨ هـ

الوحدة الأولى

شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

الفصل الأول : جغرافية شبه الجزيرة العربية :

أ – الموقع الفلكي .   ب–الموقع الجغرافي .

- البناء الجيولوجي لشبه الجزيرة العربية.
- الموقع للجزيرة العربية.
- الأقسام التضاريسية لشبه الجزيرة العربية.

١– تهامه.

٢– الحجاز.

٣– نجد.

٤– اليمن.

٥– العروض.

- أقسام بلاد العرب الجغرافية.
- أهمية موقع الجزيرة العربية:

١– الأهمية الاستراتيجية.

٢– الأهمية الدينية.

٣– الأهمية الحضارية.

٤– الأهمية الأقتصادية.

٥– الأهمية التجارية.

الفصل الثاني : سكان شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام :

- أصل العرب.
- أقسام الشعوب العربية:

١– العرب البائدة.

٢- العرب العاربة.

٣- العرب المستعربة.

أ- بطون حمير.

ب- بطون كهلان.

أولاً: الأزد.

ثانياً ــ لَخْم وجُذَام.

ثالثاً ــ بنو طَيِّئ.

رابعاًــ كِنْدة.

الفصل الثالث :الحكم في شبه الجزيرة العربية :

- الحكم باليمن.

١- الدولة المعينية.

٢- دولة سبأ.

٣- الدولة الحميرية الأولى.

٤- الدولة الحميرية الثانية.

- الحكم بالحيرة.
- الحكم بالشام.

- مظاهر الرياسة.

- الحكم في البلاد العربية.

الوحدة الأولى

شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

الفصل الأول: جغرافية شبه الجزيرة العربية

تتصف شبه الجزيرة العربية بموقعها الفلكي والجغرافي الهام ولأهمية ذلك لا بُد من معرفة أهميتها الإستراتيجية والجغرافية :

أ- **الموقع الفلكي**: تمتد شبه الجزيرة العربية بين دائرتي عــرض (١٨-٣٠ْ) شمال خط الاستواء، وخطي طول (٦٠ و٣٥) شرق خط غرينتش.

لذا تشكل شبه الجزيرة العربية (١٢ْ) عرضية و (٢٥) خط طول ويعكس هذا الموقع إمتداداً عرضياً في المنطقة الصحراوية من العــالم شــمال نــصف الكــرة الأرضية، كما تمتد لمسافة (١٠٠) دقيقة من الشرق إلى الغرب بين خطوط الطول.

ب-**الموقــع الجغـرافي**: تقع شبه الجزيرة العربية في جنوب غرب آسيا وتتوسط العالم ويحيط بها ثلاثة مسطحات مائية:

الأول: البحر الأحمر من الغرب ويمتد من خليج العقبة شمالاً إلى باب المندب جنوباً وتشرف على الساحل الشرقي بطول يصل إلى ٢٤٠ كم.

الثـاني: الخليج العربي من الشرق شرقاً ويمتد شمالاً حتــى مــضيق هرمــز وامتداده في ساحل خليج عُمان حتى رأس الحد وتشرف على الساحل الغربي بطول حوالي ١٤٠٠ كم.

الثالـث: بحر العرب من الجنوب ويمتد من رأس الحد شرقاً حتى باب المندب غرباً بطول ٢٢٠ كم[١].

---

[١] الشريقي، ٣٧ .

أما من جهة الشمال فتنفصل شبه الجزيرة العربية عن هضبة بادية الشام بواسطة صحراء النفوذ الكبرى وتأخذ شبه الجزيرة العربية إتجاهاً عاماً من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي وتتجه من الجنوب الغربي عند باب المندب إلى الشمال الشرقي عند رأس الحد وتنتهي في الشمال عند نهاية صحراء النفوذ([1]).

البناء الجيولوجي لشبه الجزيرة العربية

تظهر دراسة التاريخ الجيولوجي لشبه الجزيرة العربية، بدراسة الزمن الأركي وما قبله أنها كانت جزءاً من القارة القطبية الجنوبية جندوانا لاند التي كانت تضم أفريقيا وأمريكا الجنوبية، وشبه الجزيرة العربية وهضبة الدكن، والجزء الغربي من القارة الأوقيانوسية وتكوّن سطحها من الصخور النارية والمتحولة الصلبة.

وتألف البناء الجيولوجي لشبه الجزيرة العربية خلال عصر ما قبل الكمبري (الأركي) من ثلاثة أجزاء هي:

أولاً: كتله قارية صلبة تمثل جزءاً من قارة جندوانا القديمة التي شملت الجزء الجنوبي من الكرة الأرضية وتتألف من صخور بلورية، ونارية ومتحولة (كالجرانيت، والكوارتزيت والنيس، والسشت) وتبقى من هذه الكتلة القديمة هضبة بلاد العرب وترتكز فوق قاعدة تتألف من صخور نارية صلبة تنتمي إلى الزمن الآركي وقد تراكم فوقها رواسب مختلفة تعود إلى الأزمنة الجيولوجية (الأول، والثاني، والثالث).

ثانياً: بحر تيتشس القديم الذي يحدُ قارة جندوانا من الشمال باعتباره الجد الأعظم للبحر الأبيض المتوسط، وعمل على إختفاء الصخور النارية القديمة تحت رواسب مختلفة الخصائص في أقاليم من العالم العربي وترسب فوقها تكوينات رسوبية تألف من الحجر الجيري.

([1]) عبد الحكيم وآخرون ، ٤٣ .

ثالثاً: النطاق الأوسط الممتد بين الكتلة القارية القديمة وبحر تتش القديم حيث شكل الكتلة القديمة المطلة على البحر من جانبه الجنوبي والذي كان يشمل (العراق، وسوريا، ولبنان، والأردن، وفلسطين)، وعند تتبع بُنية شبه الجزيرة العربية نجد أن توزيع اليابسة والماء قد اختلفت خلال الأزمنة الجيولوجية المتتالية، حيث طغت مياه البحر في أواخر الزمن الجيولوجي الأول على الأجزاء الشمالية الشرقية من شبه جزيرة العرب مما أدى إلى ترسيب إرسابات جيرية سميكة، وتعرضت الكتلة القارية خلال الزمن الأول لحركات تكتونية أدت إلى ظهور مرتفعات جبلية ذات المنسوب المرتفع، وحدثت حركة رفع تدريجية في نهاية العصر الفحمي (الكربوني) واستمر لفترة طويلة حيث شملت العصرين الترياسي والجوراسي من الزمن الجيولوجي الثاني مما أدى إلى تعرض اليابسة لعوامل التعرية الريحية وأدى إلى رسوب الكتل الرملية خلال عصر الكريتاسي، وطغت مياه البحر على مساحات واسعة من اليابسة.

وفي نهاية ذلك العصر حدثت حركة رفع أدت إلى انحسار مياه البحر وتقهرها عن اليابسة، وتكرر طغيان مياه البحر ثم انحسارها طوال عصور الزمن الجيولوجي الثالث التي تنتشر تكويناته في شبه الجزيرة العربية، والهلال الخصيب ونتيجة لحركات التوائية أدت إلى تكوين مرتفعات (عُمان، وشمال شرق العراق، والشام) وتعرض أجزاء من العالم العربي خلال ذلك الزمن إلى حركات تكتونية عنيفة أدت إلى انكسارات حادة مما أدت إلى ظهور الحافات الجبلية القافزة على جانبي البحر الأحمر في مصر والسودان ومرتفعات الحجاز وعسير واليمن غرب شبه الجزيرة العربية وشهدت نشاطاً بركانياً آخر خلال الزمن الجيولوجي الثالث.

أما أراضي شبه الجزيرة العربية فقد أتخذت إطارها وشكلها الحالي خلال الزمن الجيولوجي الرابع، حيث نشطت فيه عوامل التعرية الهوائية والمائية، أدت إلى ظهور السهول الرسوبية التي كونتها الأنهار مثل سهول دجلة والفرات، والكثبان الرملية الواسعة الانتشار، وتكون بعض المسطحات المائية مثل (البحر

الأحمر، وخليج عدن، ومضيق باب المندب، وخليج العقبة) والنطاق المنخفض الممتد إلى الشمال منه (غور الأردن) ([1]).

موقع شبه الجزيرة العربية:

تقع شبه الجزيرة العربية في قارة آسيا وهي الموطن الأصلي للعرب، ومهد الشعوب السامية التي أتخذت اللغة العربية لغة يتحدث بها أهل البلاد من شرقها إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها، وبها نزل القرآن الكريم على سيد البشرية سيدنا محمد ﷺ ذو السلالة البشرية والتي تعود إلى آدم أبي الأنبياء، وأبي البشر عليه الصلاة والسلام (كلكم لآدم وآدم من تراب).

لذا فإن العرب قد سكنوا هذه المنطقة لآلاف السنين وكانت نظرتهم إلى تلك المنطقة نظره فيها الإجلال والاحترام والتقديس لتلك المنطقة لما لها من ميلٍ للفؤاد، والجوارح، وهذا سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وولده إسماعيل يؤسس قبلة المسلمين الثانية.

وتتخذ شكل رباعي غير منتظم يبلغ طوله من الشمال الغربي حتى الجنوب الشرقي (٢٢٠ كم) ويبلغ عرضه (١٢٠ كم)، ويعترض في هذا الشكل الرباعي غير المتوازي الإضلاع مرتفعات عُمان في الشرق والتي تصل حتى الساحل الإيراني.

وهذه الحدود حدود حديثة أصطنعها الأستعمار لتتفق وبنود المعاهدات الاستعمارية الحديثة في الدول العربية، إذ أن شبه الجزيرة العربية تمتد حتى الحدود التي تفصل اليوم المملكة العربية السعودية، والكويت عن الأردن والعراق.

وهذا التحديد لشبه الجزيرة العربية يجعل أعلى نقطة في شمالها عُنازة وهي موقع في الصحراء باتجاه الشمال ولا يفصلها عن أفريقيا إلا حوض النيل، وأخدود البحر الأحمر التي توازيه الصخور النارية من جانبيه([2]).

([1]) أبو العلا ، ٢٣ .

([2]) عاقل ، ١٩٣ .

أما تسمية شبه الجزيرة بهذه التسمية فقد ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان "بأنها محاطة بالأنهار والبحار من جميع أطرافها وأقطارها فصاروا فيها في مثل الجزيرة من جزائر البحر وذلك لأن الفرات يُقبل من بلاد الروم ماراً ببلدة قنسرين، ثم ينحط على أطراف الجزيرة وسواد العراق حتى إذا قارب البصرة اتحد بدجلة وصبّا معاً في خليج عُمان من بحر الهند، ويأخذ البحر في ذلك الوضع مضرباً طائفاً ببلاد العرب منعطفاً عليها إلى بلاد عُمان والشحر وحضرموت إلى تهائم اليمن، ويمضي إلى ساحل مكة وساحل المدينة، ثم ساحل الطور وخليج أيلة وخليج القلزم، والنيل حتى بحر الروم الذي تقع عليه سواحل الاردن وبيروت وسواحل قنسرين وهي الناحية التي أقبل منها الفرات منحطاً إلى أعلى أطراف الجزيرة وسواد العراق" ([1]).

ولذلك تقدر مساحتها ما بين مليون ميل مربع إلى مليون وثلاثمائة ألف ميل مربع وهي محاطة بالصحاري والرمال من كل جانب واتخذت موقعاً إستراتيجياً لا تستطيع أيّاً من القبائل بسط سيطرتها واحتلالها للمنطقة ولهذا لم تستطع أي قبيلة أو مجموعة من احتلالهم مما ساعدهم على دفع هجمات الروم والفرس عن حدودهما.

وتتجلى قدرة الخالق لترتبط بقارات العالم القديم والجديد، فمن الناحية الشمالية الغربية باب للدخول في قارة إفريقيا، ومن الناحية الشمالية الشرقية مفتاح لقارة أوروبا، ومن الناحية الشرقية تفتح أبواب العجم، ومن ثم آسيا الوسطى وجنوبها وشرقها، ويحطيها الماء من ثلاث جهات ليصلها بالبحار والمحيطات، وترسى سفنها وبواخرها على ميناء الجزيرة رأساً مما أكسبها الأهمية التجارية، والثقافية، والدينية، والآدبية، والفنون.([2]).

([1]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٩٧٧.

([2]) المباركفوري، ١٩.

تقسم شبه الجزيرة العربية تضاريسياً إلى:

١- **تُهامة**: وتمتد من ينبع شمالاً إلى نجران جنوباً بمحاذاة ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) ويعود سبب تسميتها نظراً لشدة حرها وركود ريحها ويُطلق عليها أحياناً بالغور وذلك لانخفاض أرضها عن أرض نجد ويرد ذلك في كتابه العزيز بقوله تعالى: "قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾" ([1]) وهي غير صالحة للزراعة إلا في ساحل اليمن وعسير وذلك لسقوط أمطارها الموسمية ومرور القوافل التجارية والتي تسلك الطريق الغربي الذي يمتد على سواحل البحر الأحمر. وأهم مدنها جدة التي بناها عثمان بن عفان رضي الله ([2]).

٢- **الحجاز**: وسبب تسميتها تحجز بين نجد وبين اليمن والشام، وفيها سلسلة جبال السُراة التي تمتد من اليمن إلى الشام، وتقع شمال اليمن وشرق تُهامة، وتقع بين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وسميت مكة المكرمة بهذا الأسم (بكة) "وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ"، وولد بها الرسول ﷺ، ونزلت عليه الرسالة فيها ومنها أنطلقت الدعوة الاسلامية، إلى المدينة المنورة باعتبارها حاضرة الدولة الإسلامية، والخلافة الراشدية، ومنها أنطلقت الجيوش الإسلامية لفتح الدول التي لم تدخل الى الاسلام، وتحتضن جسد الرسول ﷺ الطاهر([3]).

٣- **نجد**: وتمتد هذه المنطقة بين اليمن جنوباً حتى الخليج العربي ولم يُحدد الجغرافيون حدودها نظراً لإختلاف الآراء والأقوال فيها، وأطلق عليها نجد لإرتفاع أراضيها وكثرة مراعيها التي تُربى فيها أشهر الخيول العربية.

٤- **اليمن:** وتمتد من نجد إلى المحيط الهندي جنوباً والبحر الأحمر غرباً، وتتكون من عدة أقسام أهمها حضرموت، وشحر، وعُمان، ونجران ومن مدنها

([1]) سورة الملك، الآية (٢٩-٣٠).

([2]) عبد علي ياسين، تاريخ صدر الاسلام، ٢٠٠٣.

([3]) متولي ، ٥٦ .

صنعاء وسميت بهذا الأسم لأنها تقع على يمين الكعبة أو لأنها بلاد اليمن والخير والبركة وأطلق عليها قديماً بلاد العرب السعيدة أو اليمن الخضراء ويذكرها الهمذاني إذ يقول "وسميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها"([١]). وشمر التي تشتهر بإنتاج البخور أو تسقط عليها الأمطار الموهبة في الصيف، إذ يعترضها بعض المرتفعات الجبلية لتصد الرياح ولتنبت فيها الزروع[٢].

٥- **العروض:** وتُعرف باليمامة وتعترض ما بين نجد واليمن والعراق وكانت عُمان والبحرين منفصلتين عن شبه الجزيرة العربية وذلك للمفاوز والبراري الواسعة والصحاري المجدبة، ولأهميتها السياسية وذلك لخضوعها للفرس([٣])

وكانت نجد واليمامة من المناطق الخصبة والصالحة للزراعة، ويُسدان حاجة العرب من القمح.

أما عُمان فتقع في الزاوية الشرقية لشبه جزيرة العرب وهي مدارية خصبة خصبة يمر من شمالها مدار السرطان ومناخها حارة طوال السنة خاصة في السواحل والصحارى والهضاب وقليلة الأنهار وفيها الوديان كوادي الرمه، ووادي الدواسر فتبرز فيها حياة البداوة التي تنتقل من مكان إلى آخر.

بينما في الجنوب بلاد حضرموت وفي الشرق بلاد الإحساء الخصبة الواقعة على الخليج العربي، وأراضيها خصبة صالحة للزراعة وأما الساحل الغربي فأرضه وعره يتخلله التلال والكثبان الرملية وتشتهر بكثرة مراعيها وفي الشمال الشرقي من نجد فيها صحراء النفوذ وصحراء الدهناء والتي تبدأ كممر ضيق جنوب صحراء النفوذ ثم تسير في قوس كبير غرب نجد حتى تتسع في الجنوب وتعرف باسم الربع الخالي وهي صحراء ذات أرض رملية غير صالحة للزراعة وهي جدباء ويتخللها الدارات (الأراضي المستديرة المنخفضة والتي تحفها الجبال من مياه ورمال).

([١]) الهمذاني، الأكليل، ج١، ١٩٥٤

([٢]) الشريقي ، ٥٦ .

([٣]) د. نبيه عاقل/ تاريخ العرب القديم وعصر الرسول/ دار الفكر/١٩٣

ويتصف أهلها بالنشاط والخفة وسرعة الحركة وخاصة البدو منهم إذ يعملون بتربية الأنعام وخاصة الإبل ليستخدموها في التنقل وأكل لحومها وشرب البانها ([1]).

أقسام بلاد العرب الجغرافية :

١- **بلاد العرب الصخرية:(Arabia Petraea)** وهي مثلث محصور بين خليجي البحر (شبه جزيرة سيناء) والمنطقة التي تليه إلى الشمال والشمال الشرقي وعاصمتها مدينة البتراء وسميت بذلك نسبة إلى طبيعة المنطقة الصخرية (الوردية الحمراء) ومقرها الأردن حالياً.

٢- **بلاد العرب الصحراوية (Arabia Deserta):** ويشمل بادية الشام وهي جزء من الصحاري الداخلية من شبه الجزيرة العربية.

٣- **بلاد العرب السعيدة (Arabia Felix):** وتشمل الجزء الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية (اليمن) وسميت بذلك لخصوبة أراضيها واستقرت فيها القبائل ثم هاجرت متجهاً إلى البلاد العربية المجاورة.

أهمية موقع الجزيرة العربية عبر التاريخ

وظهرت أهميتها من خلال فترات الازدهار، ففي العصور القديمة قامت على شواطئها حضارات متعددة منها حضارات بابل، وآشور، وأكاد، وعيلام عند رأس الخليج العربي وقامت حضارة سبأ في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية في اليمن على شواطئ البحر الأحمر.

وقد صحب هذه الحضارات ازدهار زراعيً وتجاري، فساد الرخاء ونشطت الحياة الاقتصادية والعمرانية([2]).

([1]) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الأنشاء، ج٢، ١٩١٣- ١٩١٨.

([2]) أبو العلا ، ٧٨ .

وتظهر أهميتها من خلال:

١- **الأهمية الاستراتيجية:** إذ تقع شبه الجزيرة العربية بين قارات العالم الثلاثة (آسيا، وأفريقيا، وأوروبا). وتتوسط العالم ويذكر المختصون (الجيوبوليتكس) بأن الدول الكبرى التي جاورتها مثل الفرس والروم أرادوا السيطرة عليها وبسط نفوذهم فيها.

٢- **الأهمية الدينية:** تعتبر شبه الجزيرة العربية مهبط الديانات والرسالات السماوية (الإسلام، واليهودية، والنصرانية) وفيها أقدس البقاع الدينية للمسلمين مثل الحرمين الشريفين، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، وبيت المقدس.

٣-الأهمية الحضارية: لقد نشأت الحضارات القديمة على أراضيها ففي جنوبها أرض اليمن وحضارة سبأ وعلى طرفها الشمالي الشرقي نشأت حضارات بابل، وآشور وعلى طرفها الشمالي نشأت الحضارة الفنيقية القديمة، وعلى أطرافها الشمالية الغربية نشأت الحضارة المصرية القديمة، وعلى أطرافها الجنوبية الشرقية نشأت الحضارة الفارسية القديمة، وحضارة اليونان في بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)، مما أكسبها التقاء حضارات العالم فيها.

٤- **الأهمية الاقتصادية:** وتظهر باستغلال أراضيها الخصبة والصالحة للزراعة والتجارة واستخراج اللؤلؤ والمرجان من مياه الخليج العربي، والبحر الأحمر.

٥- **الأهمية التجارية:** إذ تسيطر هذه المنطقة منذ القدم على المنافذ والطرق التجارية لمعابر المضائق والأنهار والبحار المحيطة بها، مما أدى إلى ازدهار مدنها وموانئها الواقعة على طرق التجارة. إذ كانت السفن تحمل البضائع من جنوب شرق آسيا وتسير في المحيط الهندي ثم خليج عدن وترسو في موانئ جنوب شبه الجزيرة العربية وخاصة ميناء عدن ثم تنقل البضائع عبر اليمن إلى الحجاز([1]).

([1]) كحالة ، ٦٧ .

الفصل الثاني
سكان شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

أصل كلمة عرب

هناك مدلولات متعددة حول أصل كلمة عرب يفسرها بعض علماء اللغة والفيلولوجيون أنها مشتقة من أصل سامي معناه الغرب، إذ أن سكان بلاد ما بين النهرين قد أطلقوها على الأقوام التي سكنت غرب منطقة الفرات وهذا تفسير ضعيف، وهناك تفسير آخر يُذكر أن أصلها عراباً العبرية التي تعني الأرض المظلمة أو السهوب أو كلمة عيريب العبرية والتي تدل على حياة الفوضى أو الغير منظمة عكس حياة الحضر ذوي صفة الحياة المنظمة ويرفض هذه الفكرة البدو.

وهناك تفسير ثالث إنها مشتقة من كلمة عابر وتعني بالعبرية تحرك أو عبر ومنها اشتق أسم اللغة العبرية بينما نجد أن القرآن الكريم قد فرق بين عرب وأعراب إذ ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: (ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا، ووردت أيضاً في ثلاث صيغ في القرآن الكريم عُرباً جمع عروب ووردت الصيغة أعراب عشر مرات ووردت كلمة عربي إحدى عشرة مرة على أنها وردت عشر مرات نعتاً للغة التي نزل بها القرآن الكريم ويرد ذكرها في قوله تعالى: إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢﴾).

وقد وردت كلمة عرب في نقش آشورى يعود لسنة (٨٥٣ق.م) حيث استطاع الملك شلمبنصر الثالث بقوة جيشه أن يقمع فتنة قامت ضده إشترك بها جماعة أطلق عليهم جنديبوا العربي. ومنذ القرن السادس قبل الميلاد ذُكر العرب في النقوش الآشورية والبابلية ووصفت نصوصهم أن هذا الشعب هو شعب بدوي يعيش في أقصى الشمال من الجزيرة العربية ولم تذكر الأحداث بأنهم سكان الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية حيث كانت تقوم هناك حضارة مزدهرة سنة (٥٣٠) ق.م وورد

ذكرهم أيضاً في النصوص الفارسية المكتوبة بالخط المسماري ووردت كلمة عرب عند اليونان حيث دلت على الجزيرة العربية والعرب وتعني جميع مناطق الجزيرة.

وسكانها بما في ذلك سكان جنوب الجزيرة العربية وصحراء مصر الشرقية الواقعة بين النيل والبحر الأحمر والجنس العربي هو أحد الأجناس السامية والذي تكلم اللغة السامية والتي اشتقت منها اللغة العربية وسرعان ما برزت كلمة عرب.

وذكر في القرآن الكريم أن اللغة التي يتكلمها سكان هذه المنطقة بالعربية إذ برزت فكرة أن الأعراب (سكان البادية) كانوا أفصح وأقوم لساناً من سكان الحواضر الذين دخلت لغتهم العربية عجمة نتجت عن اختلاطهم بأقوام غير عربية وورد في القرآن الكريم: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾). وأشار القرآن على أن كلمة عرب أطلقت على القاطنين في جزيرة العرب.

أقسام الشعوب العربية:

لقد قسمهم المؤرخون والنسابون العرب إلى ثلاثة أقسام أنحدروا منها:

١ ــ العرب البائدة:

وهؤلاء هم العرب الذين انقرضوا سابقاً وذكرهم القرآن الكريم: (عاد، وثمود، وطَسْم، وجَدِيس، وعِمْلاق، وأُمَيْم، وجُرْهُم، وحَضُور، ووَبَار، وعَبِيل، وجاسم، وحَضْرَمَوت).

٢ ــ العرب العاربة:

ويعودون في أصلهم إلى يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان، وتسمى بالعرب القحطانية. وهي شعب قحطان، وسكنوا بلاد اليمن جنوب شبه الجزيرة وبلاد الشام،

وظهرت منها قبيلتان: حِمْيَر بن سبأ، وكَهْلان بن سبأ، وأما بقية بنى سبأ، وهــم أحــد عشــر أو أربعة عشــر بطنًا، فأطلق عليهم بالسبئيون([1]).

أ ــ بطون حمير:

١ ــ قُضَاعة: وينقسم منها بَهْراء وَبَلِيٌّ والقَيْن وكَلْب وعُذْرَة ووَبَرَة.

٢ ــ السَّكاسِك: وهــم بنو زيــد بــن وائلة بن حمير، إذ لقبوا زيد: بالسكاسك .

٣ ــ زيــــد الجمهــــور: وانقسم عنه حمير الأصغر، وسبأ الأصغر، وحــضور، وذو أصبح.

ب ــ بطون كهلان :

هَمْدان، وألْهَان، والأشْعَر، وطيئ، ومَذْحِج [وانقسم عن مذحج: عَنْس والنَّخْع]، ولَخْم [وانقسم عن لخم: كندة، وانقسم عن كندة: بنو معاوية والسَّكُون والسكاسك وهم غير زير السكاسك]، وجُذَام، وعاملة، وخَوْلان، ومَعَافِر، وأنمار [وانقسم عنهم: خَثْعَم وبَجِيلَةَ، وانقسم عن بجيلة: أحْمَس] والأزْد، [وانقسم عنهم: الأوس، والخزرج، وخُزَاعة، وأولاد جَفْنَة ملوك الشام المعروفون بآل غسان]، وهاجرت قبائل كهلان إلى الجزيرة العربية قبل حدوث سيل العرم بسبب ضغط الرومان وتدهور الحالة الاقتصادية عندهم ([2]) .

وبرزت الاحداث بين كهلان وضمير التي ساعدت على هجرتهم وبقاء حمير في موطنهم أو البطون التي هاجرت من كهلان هي:

([1]) القلقشندي، ج٢،ص٣١٣-٤١٥ ؛ المباركفوري، ٢٢ .

([2]) ابن هشام ، ج١، ص٤٤.

أولاً ــ الأزْد:

هاجرت من اليمن ونزل كبيرهم عمران بن عمرو في عُمَان، وعاش فيها هو وبنوه، وهم أزْد عُمَان، وأقامت بنو نصر بن الأزد تُهامة، وهم أزد شَنُوءة، وسار ثَعْلَبة بن عمرو مزيقياء نحو الحجاز، فأقام بين الثعلبية وذى قار، ولما كبر ولده وقوى ركنه سار نحو المدينة، فأقام بها واستوطنها، ومن أبنائه (الأوس والخزرج)، ابنا حارثة بن ثعلبة، وتنقل منهم حارثة بن عمرو وهو خزاعة وبنوه في ربوع الحجاز، حتى نزلوا بمر الظهران، ونزلوا بمكة وأجلوا سكانها الجراهمة، وسار جَفْنَة بن عمرو إلى الشام فأقام بها هو وذوه، وهو أبو الملوك الغساسنة؛ نسبة إلى ماء في الحجاز يعرف بغسان، قطنوا بها قبل رحيلهم الشام، وانضمت إليهم بطون (كعب بن عمرو، والحارث بن عمرو، وعوف بن عمرو) وهاجروا معهم إلى الشام[1].

ثانياً ــ قبائل لَخْم وجُذَام: هاجروا إلى الشمال والشرق، وكبيرهم نصر بن ربيعة أبو ملوك المناذرة الذين عاشوا بالحيرة.

ثالثاً ــ قبائل بنو طَيِّئ: هاجروا بعد الأزد باتجاه الشمال ونزلوا بالجبلين أجأ، وسلمى.

رابعاًــ قبائل كِنْدة: هاجروا إلى البحرين ثم نزلوا بحضرموت ثم نزلوا نجدًا، وكونوا هناك دولة كبيرة الشأن، ولكنها سرعان ما فنيت وذهبت آثارها. وشكلوا دولة لهم فيها.

وظهرت قضاعة التي تعود بنسبها إلى حمير هاجرت من اليمن وسكنت السماواة في حمران ــ هجرت اليمن واستوطنت بادية السماوة من مشارف العراق، واستوطن بعض بطونها مشارف الشام وشمالي الحجاز[2].

---

(1) الطبري، ج١، ٨٣

(2) المباركفوري ، ٢٣

٣- العرب المستعربة:

وهؤلاء هم من نسل إبراهيم عليه السلام من بلاد العراق. من مدينة يقال لها: [أر] على الشاطئ الغربي من نهر الفرات، بالقرب من الكوفة، ومعلوم أن إبراهيم عليه السلام هاجر منها إلى حَرَّان، ثم إلى فلسطين، فاتخذها قاعدة لدعوته، وتجول في البلاد ومرّ عليه السلام جبار من الجبابرة، ومعه زوجته سارة، وكانت من أحسن النساء، فأراد ذلك الجبار أن يغدر بها، ولكن سارة دعت الله تعالى عليه فلم يحقق كيده، وعرف الظالم أن سارة امرأة صالحة ذات مرتبة عالية عند الله، فوضع خادمة لها أسلمها هاجر اعترافًا بفضلها، أو خوفًا من عذاب الله، وزوجتها لإبراهيم عليه السلام.

ثم عاد إلى فلسطين، ورزقه الله تعالى من هاجر ابنه إسماعيل، وأصبح سببًا لغيرة سارة حتى طلب من إبراهيم نفيها مع ولدهـا الرضيـع إسماعيل عليه السلام، فقدم بهما إلى الحجاز، وأسكنهما بواد غير ذي زرع عند موقع بيت الله المحرم الذي لم يكن إذ ذاك إلا مرتفعًا من الأرض كالرابية، تفيض السيول من كل الجهات وشماله، فوضعهما عند دوحة فوق زمزم في أعلى المكان ولا يتوفر بها الماء، وترك لهم جرابا فيه تمر، وماء، وعاد إلى فلسطين، ومرت أيام ونفذ الزاد والماء، وأخذت هاجر تبحثعن ماء وتنتظر قدوم قوافل مارة بالمنطقة وتفجر بئر مزمز بقدرة الله وسمي الموقع بالصفا والمروة في الوقت الحاضر(١).

وقدمت قبيلة خرهم الثانية من اليمن، فسكنت مكة بإذن من أم إسماعيل. ويذكر أنهم عاشوا قبل ذلك بأطراف مكة، وتظهر رواية البخاري ولم يستقروا فيه لعدم توفر سبل العش فيه (الماء) أنهم نزلوا مكة بعد إسماعيل، وقبل أن يكبر، وأنهم كانوا يمرون بهذا الوادى قبل ذلك.

---

(١) أبن هشام، ج١، ٤٨ ؛ المباركفوري، ٢٤.

وكان إبراهيم عليه السلام يعود إلى مكة ليعرف أخبار تركته بها، وذكر المصادر أنها أربعة رحلات، كانت كالتالي:

- ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أن إبراهيم عليه السلام رأى في المنام أنه يذبح إسماعيل، فابستجاب لأمر الله تعالى: (فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾) [الصافات:١٠٣: ١٠٧]

وفي الأسفار وخاصة سفر التكوين ذكرت أن إسماعيل عليه السلام كان أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة، وسياقها يدل على أنها وقعت قبل ميلاد إسحاق؛ لأن البشارة بإسحاق ذكرت بعد سرد القصة بتمامها.

وهذه القصة تتضمن رحلة واحدة على الأقل قبل أن يكبر إسماعيل، أما الرحلات الثلاث الباقية فقد رواها البخاري عن ابن عباس:

إذ يقول أن إسماعيل عليه السلام لما شب وتعلم العربية من جُرْهُم، ونال إعجابهم زوجوه امرأة منهم، وتوفيت أمـه، وعاد إبراهيم ليعرف أحوال عائلته، فجاء بعد هذا الزواج، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه وعن أحوالهما، فشكت إليه ضيق العيش فأوصاها أن تقول لإسماعيل أن يغير عتبة بابه، وفهم إسماعيل ما أراد أبوه، فطلقها وتزوج من امرأة أخرى [وهي ابنة مُضَاض بن عمرو، وهو سيد قبيلة جرهم].

ثم عاد إبراهيم عليه السلام مرة أخرى بعد أن تزوج إسماعيل هذه الزوجة الثانية، فسأل زوجته عنه وعن أحوالهما، فأثنت على الله بخير، فأوصى إلى إسماعيل أن يُثَبِّتَ عَتَبَة بابه.، وعادت إلى فلسطين.

ثم عاد إبراهيم عليه السلام مرة أخرى فلقى إسماعيل، وهو يَبْرِى نَبْلا له تحت دوحة قريبًا من زمزم، فلما رآه قام إليه، وضمه بحنين وكان لقاؤهما بعد فترة طويلة من الزمن، وفي هذه المرة بنيا الكعبة، ورفعا قواعدها، وأذَّن إبراهيم في الناس بالحج كما أمره الله .

أما إسماعيل فرزقه الله تعالى من زوجته الثانية اثنى عشر ولدًا ذكرًا، وهم: نابت أو نبايوط،وقَيْدار، وأدبائيل، ومِبْشام، ومِشْماع، ودوما، ومِيشا، وحدد، وتيما، ويَطُور، ونَفيس، وقَيْدُمان.

وتفرع منهم اثنى عشرة قبيلة، قطنت مكة، وعملوا بالتجارة في بلاد اليمن إلى بلاد الشام ومصر، ثم انتشرت هذه القبائل في أرجاء الجزيرة بل وإلى خارجها، وذهبت أخبارهم دون ذكر لهم، إلا أولاد نابت وقيدار.

وكون أبناء نايت حضارة الأنباء على أرض الأردن وعاصمتها البتراء (المدينة الأثرية القديمة المعروفة في جنوب الأردن)، وقد دان لهذه الدولة النبطية من بأطرافها، ولم يستطع أحد أن يناوئها حتى جاء الرومان وقضوا عليها. ويتفق كثير من المحدثين والرواة والنسابيين أن غسان، والأوس والخزرج وقحطان هم من آل نابت بن إسماعيل عليه السلام، كما يرجحه الحافظ ابن حجر. أما نسب عدنان فهم من قيدار بن إسماعيل.

ويتفق الطبري والمسعودي في هذه الأقوال(1) وتفرقت بطون مَعَدّ من ولده نَزَار وذكر أنه: لم يكن لمعد ولد غيره فكان لنزار أربعة أولاد، تضرعت منهم

---

(1) الطبري، ج١، ٥٧ ؛ المسعودي، ٦٦

أربعة قبائل عظيمة: (إياد وأنمار وربيعة ومُضَر)، وتفرع ربيعه ومضر: ضُبَيْعَة وأسد، وتفرع من أسد: عَنْزَة وجَدِيلة، وتفرع من جديلة: (عبد القيس، والنَّمِر، وبنو وائل الذين منهم بكر وتَغْلِب، ومن بنى بكر: بنو قيس وبنو شيبان وبنو حنيفة). ولقبيلة عنزة ينتسب آل سعود ملوك المملكة العربية السعودية في الوقت الحاضر .

وتفرعت قبائل مضر إلى شعبتين عظيمتين: (قَيْس عَيْلان بن مضر، وبطون إلياس ابن مضر)، وتفرع من قيس عيلان: (بنو سليم، وبنو هوازن، وبنو ثقيف، وبنو صَعْصَعَة، وبنو غَطَفَان). وتفرع من غطفان: (عَبْس، وذُبْيان، وأشْجَع، وأعْصُر).

وتفرع من بن مُضَر: (تميم بن مرة، وهُذَيْل بن مُدرِكة، وبنو أسد بن خزيمة، وبطون كنانة بن خزيمة)، وتفرع من كنانة قريش، (وهم أولاد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة).

وانقسمت قريش إلى: (جُمَح وسَهْم وعَدِىّ ومخزوم وتَيْم وزُهْرَة، وبطون قُصَىّ بن كلاب)، وهم: (عبد الدار بن قصى،وأسد بن عبد العزى بن قصى، وعبد مناف بن قصى).

أما أبناء عبد مناف فهم: (عبد شمس، ونَوْفَل، والمطلب، وهاشم)، واصطفي الله من هاشم سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ﷺ.

وعن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين، ثم تخير القبائل، فجعلني من خير القبيلة، ثم تخير البيوت، فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسًا وخيرهم بيتًا). وفي حديث آخر: (إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتًا فجعلني في

خيرهم بيتًا وخيرهم نفسًا). وتفرق أبناء عدنان في الجزيرة العربية باحثين عن الماء والكلأ والعشب فنزلت قبائل عبد القيس وبكر بن وائل وتميم في البحرين.

ونزل بنو حنيفة باليمامة فنزلوا بحُجْر، قَصَبَة اليمامة، وأقامت سائر بكر بن وائل في طول الأرض من اليمامة إلى البحرين إلى سيف كاظمة إلى البحر، فأطراف سواد العراق فالأُبُلّةُ فَهِيت، وأقامت تغلب بالجزيرة الفراتية، ومنها بطون كانت تساكن بَكْرًا.وسكنت بنو تميم ببادية البصرة، وأقامت بنو سليم بالقرب من المدينة، من وادي القرى إلى خيبر إلى شرقي المدينة إلى حد الجبلين، إلى ما ينتهي إلى الحرة، وسكنت بنو أسد شرقي تيماء وغربي الكوفة، بينهم وبين تيماء ديار بُحْتُرٍ من طيئ، وسكنت ذبيان بالقرب من تيماء إلى حوران، وبقى بتهامة بطون كنانة، وأقام بمكة قبائل من قريش، وكانوا قبائل متفرقة حتى ظهر فيهم قصيٍّ ابن كلاب، فجمعهم وكون منهم قبيلة قوية قادرة على الوقوف والتصدي للآخرين([1]).

([1]) أبن هشام، ج١، ٧٠ ؛ المباركفوري ، ٢٧-٣١.

الفصل الثالث

الحكم في شبه الجزيرة العربية

أتصف الحكم في شبه الجزيرة العربية بما يلي :

١ــ ملوك يعتلون العرش أسمياً ودولهم غير مستقلة مثل ملوك اليمن، وملوك مشارف الشام وهم (آل غسان) وملوك الحيرة،

٢ــ شيوخ العشائر وزعمائها يتبعون لملوك متوجين.

- **الحكم باليمن:**

قوم سبأ من (العرب العاربة) التي حكمت اليمن قبل خمسة وعشرين قرنا قبل الميلاد، ويبدأ ازدهار حضارتهم ونفوذ سلطانهم وبسط سيطرتهم بأحد عشر قرنا قبل الميلاد([1]). وظهر باليمن عدد من الدول هي:

١ ــ الدولة المعينية: (١٣٠٠-٦٢٠ ق.م):

ظهرت في الجَوْف (سهل يقع بين نجران وحضرموت)، ثم أخذت تنمو وتتسع وتسيطر وتزدهر حتى وصل نفوذها السياسى إلى العُلا ومَعَان من شمالي الحجاز، وكان يعملون بالتجارة، وبنوا سد مأرب والذي أصبح له شأن كبير في تاريخ اليمن، والذي زود الأرض بالماء، حتى أطلق عليها باليمن الخضراء أو اليمن السعيدة ، وعاصمتهم مدينة صِرْوَاح التي أقيمت على أنقاض مأرب ويُقدر عدد ملوكهم ما بين ٢٢ و ٢٦ ملكًا([2]).

([1]) المباركفوري، ٣١ ؛ تاريخ العرب قبل الاسلام، ١٠١

([2])نفس المرجع السابق .

٢ ــ دولة سبأ: (٦٢٠ ق. م–١١٥ ق. م):

أتخذوا مأرب عاصمه لهم بدل صرواح وتوجد أنقاض مأرب على بعد ١٩٢ كيلو مترًا شرقي صنعاء.

٣ ــ الدولة الحميرية الأولى (١١٥ ق. م–٣٠٠ م):

وتنسب إلى قبيلة حمير التي أقامت دولتها على أرض مملكة سبأ، وقد عرف ملوكها بــملوك سبأ وذى ريدان، وهؤلاء الملوك اتخذوا مدينة ريدان عاصمة لهم بدل مدينة مأرب، و تعرف ريدان باسم ظفار، وتوجد أنقاضها على جبل مدور بالقرب من يريم، وكانوا يعملون بالتجارة إلا أنها فشلت للأسباب الآتية:

١– ظهور دولة الأنباط التي عملت على بسط سيطرتهم على شمال الحجاز.

٢– سيطرة الروم على طريق التجارة البحرية بعد سيطرتهم على مصر وسوريا وشمالى الحجاز.

٣– التنافس الذي حدث بين القبائل التي عاشت في تلك الدولة مما أدى إلى تفرق آل قحطان وهجرتهم إلى البلاد العربية.

٤ ــ الدولة الحميرية الثانية (٣٠٠م–٦١٩ تقريباً إلى أن دخل الإسلام في اليمن): أطلق على ملوكها بــملوك سبأ وذى ريدان وحضرمــوت ويمــنت ، وقد توالت على هذه الدولة الاضطرابات والحوادث، وظهرت الفتن والحروب الداخلية التي جعلتها عرضة للآخرين حتى قضى على استقلالها. إذ أن الرومان احتلوا في عدن، وساعدوا الأحباش على احتلال اليمن لأول مرة سنة ٣٤٠ م؛ مستغلين التنافس بين قبيلتى همدان وحمير، واستمر احتلالهم إلى سنة ٣٧٨ م. وبدأ الخراب في سد مأرب، حتى وقع السيل العظيم الذي ذكره القرآن بسيل

العرم في سنة (٤٥٠م)، أو (٤٥١م). مما أدى إلى هجرة شعوب المنطقة في شبة الجزيرة العربية([1]).

وفي سنة (٥٢٣م) قاد ذو نُوَاس اليهودى بحملة منكرة ضد المسيحيين من أهل نجران، وحاول ردهم عن المسيحية قسرًا، ولما أبوا خدّ لهم الأخدود وألقاهم في النيران، وقد أشار إليه القرآن في سورة البروج بقوله: (قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤) [البروج:٤].

مما أدى إلى نقمة النصرانية الناشطة إلى الفتح والتوسع تحت قيادة أباطرة الرومان من بلاد العرب، سعوا إلى استقدام الأحباش، واحتلوا اليمن مرة ثانية، بقيادة أرياط سنة ٥٢٥ م، وظل أرياط حاكمًا من قبل ملك الحبشة حتى اغتاله أبرهة بن الصباح الأشرم أحد قواد جيشه سنة ٥٤٩م، الذي عرف هو وجنوده بأصحاب الفيل وعاد خاسراً بقدرة الله تعالى هلك وتسلم بعد، ونصب نفسه حاكمًا على اليمن بعد أن استرضى ملك الحبشة وأرضاه، ثم الابن الثانى مسروق، وكانت سيرتهم أسوأ من سيرة والدهم.

واستنجد أهل اليمن بالفرس، وطردوا الأحباش عن بلادهم، ونالوا الاستقلال في سنة ٥٧٥ م بقيادة معديكرب سيف بن ذى يزن الحميري، وأصبح ملكًا لهم، إلا أنه أبقى معه، فاغتالوه ذات يوم، وبموته انقطع الملك عن بيت ذى يزن، وصارت اليمن مستعمرة فارسية تتعاقب عليها ولاة من الفرس، وكان أولهم وهرز، ثم المرزبان بن وهرز، ثم ابنه التينجان، ثم خسرو بن التينجان، ثم باذان، وبمجيئ الفتح الإسلامي بقيادة خالد بن الوليد اعتنق الإسلام سنة ٦٢٨م، وبإسلامه انتهي نفوذ فارس على بلاد اليمن([2]).

([1])المباركفوري، ٣٢- ٣٣.

([2])الطبري، ج٢، ٥٤٠، المسعودي، ج٢، ٩٠.

الحكم بالحيرة:

استولت الفرس على قمم العراق والدول المجاورة بزعامة قوروش الكبير (٥٥٧ ــ ٥٢٩ ق.م) ولم أحد يستطيع مهما صحبتهم، حتى قام الإسكندر المقدونى سنة ٣٢٦ ق. م فهزم ملكهم دارا وضربهم وكسر شوكتهم، وتجزأت بلادهم، وتولاها ملوك عرفوا بملوك الطوائف، وقد ظل هؤلاء الملوك يحكمون البلاد مجزأة إلى سنة ٢٣٠م. وفي عهدهم هاجر القحطانيون، واحتلوا جزءًا من العراق، ثم تبعهم مجموعة من العدنانيين وسكنوا في أرض الفرات.

وأول من تزعمهم مالك بن فَهْم التَّنُوخى من آل قحطان، وخلفه أخوه عمرو بن فهم في رواية. وجَذِيمة بن مالك بن فهم ــ الملقب بالأبْرَش والوَضَّاح ومقرهم الأنبار([1]).

وعاد الفرس مرة أخرى واستولوا على حكم العرب القاطنين فيها وهاجرت قضاعة إلى الشام.

وكان يحكمهم الوضاح في عهد اردشير وشملت مملكته العراق والجزيرة من قبائل ربيعة ومضر، واستعان بالوضاح ضد ملوك الروم وتوفي سنة ٢٦٨م([2]).

تولى الحكم وبعد موت جذيمة عمرو بن غدو اللخمي في الحيرة والأنبار عمرو بن عدى بن نصر اللخمى (٢٦٨ــ ٢٨٨م) وهو أول ملوك اللخميين، وكان في عهد كسرى سابور بن أردشير، واستمر الحكم باللخمنيين حتى ولى الفرس قُبَاذ بن فيروز (٤٤٨ــ ٥٣١م) وفي عهده ظهر مَزْدَك، ودعاهم إلى مذهب الإباحية، فتبعه قباذ كما تبعه كثير من رعيته، ثم أرسل قباذ إلى ملك الحيرة وهو المنذر بن ماء السماء (٥١٢ــ ٥٥٤ م) يدعوه إلى اتباع هذا المذهب الخبيث، فرفض فعزله

([1])الطبري، ج٢، ٥٤٠ ؛ المسعودي ج٢، ٩٠

([2])المباركفوري، ٣٦.

قباذ، وولى بدله الحارث بن عمرو بن حجر الكندى بعد أن أجاب دعوته إلى المذهب المزدكى([1]).

وخلف قباذ كسرى أنوشروان (٥٣١ــ ٥٧٨م) ورفض مذهبهم، فقتل المزدك وكثيرًا من اتباعه، وأعاد المنذر إلى ولاية الحيرة.

ثم تولى الحكم بعد المنذر النعمان بن المنذر [٥٨٣ ــ٦٠٥ م] فغضب عليه كسرى بسبب وشاية دبرها زيد بن عدى العبادى، فأرسل كسرى إلى النعمان يطلبه، فخرج النعمان حتى نــزل ســرا عــلى هانئ بن مسعود ســيد آل شيبان، وأودعه أهله وماله، ثم توجه إلى كسرى، فحبسه كسرى حتى مات. وولى على الحيرة بدله إياس بن قَبِيصة الطائى، وأمره وأرسل إلى هانئ بن مسعود يطلبه ودائع النعمان فرفض هانئ تسليمه الودائع وبعث له جيوش ودارت بينهم معركة حامية عند ذى قار، انتصر فيها بنو شيبان وانهزمت الفرس هزيمة نكراء. وهذا أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم، وهو بعد ميلاد الرسول ﷺ وفرح العرب بذلك النصر ([2]).

وولى كسرى على الحيرة بعد إياس حاكمًا فارسيًا اسمه آزادبه بن ماهبيان بن مهرابنداد، واستمر بالحكم من ١٧ عاما (٦١٤ــ ٦٣١م) ثم عاد الملك إلى آل لخم سنة ٦٣٢م، فتولى منهم المنذر بن النعمان الملقب بالمعرور، ولكن لم تزد ولايته على ثمانية أشهر حتى قدم عليه خالد بن الوليد بعساكر المسلمين ودعاهم إلى الإسلام ([3]) .

([1])نفس المرجع السابق، ص٣٧.

([2]) أبن سعد ج٧، ٧٧ .

([3])الطبري، ج٢، ٥٤٣

الحكم ببلاد الشام:

هاجرت إليها قبائل قضاعة وسكنت مشارف الشام، وهم من بنى سُلَيْح بن حُلْوان الذين منهم بنو ضَجْعَم ابن سليح المعروفون باسم الضجاعمة، فاصطنعهم الرومان؛ ليمنعوا عرب البرية من التدخل، وليكونوا ضد الفرس، ومن أشهر ملوكهم زياد بن الهَبُولة، وحكموا في أوائل القرن الثانى الميلادى إلى نهايته تقريبًا، وانتهى حكمهم بعد قدوم آل غسان، الذين غلبوا الضجاعمة وانتصروا عليهم، فولتهم الروم ملوكًا على عرب الشام، وكانت قاعدتهم مدينة بصرى، ولم تزل تتوالى الغساسنة على الشام بصفتهم عمالاً لملوك الروم حتى كانت وقعة اليرموك سنة (١٣هـ)، وانقاد للإسلام آخر ملوكهم جَبَلَة بن الأيهم في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وطرد الروم وأخرجهم من بلاد الشام عائدين إلى بلادهم([١]) .

الحكم بالحجاز:

تولى الحكم فيها ويقدر عمله ١٣٧ عام تولى الحكم بعده أحد أبنائه نائب اوقيدار ثم بعدهما جدهما مُضَاض بن عمرو الجُرْهُمِيّ، فانتقلت زعامة مكة إلى جرهم([٢]).

ثم يظهر عدنان بعد جرهم وذلك بعد غزو بختنصر للعرب في ذات عرف وواجههم عدنان وتفرقت قبائله في اليمن بعد غزوة بختنصر الثانية (سنة ٥٨٧ ق. م) وذهب برخيا صاحب يرمياه النبي الإسرائيلى بمَعَدّ إلى حران من الشام، فلما انتهت حرب بختنصر عاد معد إلى مكة ولم يبقى من جرهم إلا جَوْشَم بن جُلْهُمة، فتزوج بابنته مُعَانة فولدت له نزارًا([٣]) وساءت أحوال قبيلة جرهم بمكة.

([١])الطبري، ج٢، ٥٤٥ ؛ المباركفوري، ٣٩.

([٢])الطبري، ج١، ٣١٤ .

([٣])أبن هشام، ج١، ١١٢.

وأخذوا مال الكعبة لما أثار العدنانيين ضدهم، ثم اتفقت خزاعة وعدنان على حرب جرهم وأخرجوهم من مكة في أواسط القرن الثاني ميلادي([1]).

ويذكر ابن اسحاق أن جرهم قد سدوا بئر زمزم ودفنوا الحجر الأسود في البئ وعادوا إلى اليمن، وبذلك يكون الحكم في إسماعيل وأبنائه من بعده واحد وعشرين قرن.

وتولت خزاعة المسؤوليات التالية في مكة:

الأولى: تقديم العون والمساعدة للقادمين من عرفات ما بين إلى المزدلفة ثم إلى منى ليحملوا على عاتقهم الرجى ويتزعم ذلك بنو الغوث ثم ببنو سعد بن زيد، والإجازة بهم يوم النفر من منى .

الثانية: مسؤولية الإفاضة في بني عدوان لتكون الإفاضة من جمع غداة النمر إلى منى..

الثالثة: إظهار حرمة الاشهر الحرام في بني فُقَيْم بن عدى من بني كنانة([2]).

استمرت خزاعة بحكم مكة ٣٠٠ سة والعدنانيون بنجد وحول العراق والبحرين حتى مجيء قصي بن كلاب.

حيث توفي والده وهو صغير فتزوجت والدته من رجل من بني عندر، (ربيعة بن حرام) ورحل بها إلى الشام ولما كبر قصي عاد إلى مكة وكان يحكمها حُلَيْل بن حَبْشِيَّة من خزاعة، فخطب قصى إلى حليل ابنته حُبَّى، فرغب فيه حليل وزوجه

([1])الطبري، ج٢، ٢٨٤

([2])أبن هشام، ج١، ١٢٢

إياها، فلما مات حليل قامت حرب بين خزاعة وقريش انتصر فيثها قصي على أمر مكة والكعبة المشرفة، أدت أخيرًا إلى تغلّب قصى على أمر مكة والبيت([1]).

وتتنوع الروايات في هذه الحرب.

الأولى: أمر ولاية مكة يجب أن تعود إلى قبيلة حليل من خزاعة وبني بكر فاستثناه قصي منهم وتولاها إجباراً.

الثانية: بناء على وصية حليل لقصي بالقيام على أمر مكة الكعبة، فرفضت خزاعة أن تترك الأمر لقصي فهغاجت الحرب بينهما فانتصر قصي.

الثالثة: زوج حليل ابنته الى قصي، وأبو غُبْشان الخزاعي وكيلا لها، فقام أبو غبشان بسدانة الكعبة نيابة عن حبى، وكان في عقله شيء، فلما مات حليل خدعه قصى، واشترى منه ولاية البيت بأذواد من الإبل أو بزق من الخمر، ولم ترض خزاعة بهذا البيع، وحاولوا منع قصى عن البيت، فجمع قصى رجالاً من قريش وبنى كنانة لإخراج خزاعة من مكة، فأجابوه([2]). خدعه قصي لأبو غيشان الخزاعي الموكل بسدانة العبة لمن حبى فاشتراها منه.

والتقى الطرفان عند العقبة واقتتلوا قتالاً شديداً حتى حكموا بعمر بن عوف من بني بكر فقضي لقصي بأمر الكعبة، واستولى قصى على أمر مكة والبيت في أواسط القرن الخامس للميلاد سنة ٤٤٠ م ([3]). وهاجر قصي هو وقومه إلى مكة وأقر النسأة وآل صفوان وعدوان ومرة بن عوف على ما كانوا عليه من المناصب؛ وأسس دار الندوة شمال الكعبة.

([1]) المباركفوري، ٤٢.

([2]) تاريخ اليعقوبي ج١، ٢٣٩

([3]) المسعودي، ج٢، ٥٨

وأتخذ قصى المظاهر السياسية التالية في مكة المكرمه :

١ ــ **رياسة دار الندوة:** للتشاور في الأمور اليومية وفيها تعقد الأمور وخاصة أمور الزواج.

٢ ــ **اللواء:** وفيها كانت تعقد راية أو لواء الحرب،وكانت تحت أمرته أو تحت أمرة أحد أبناءة.

٣ ــ **تول أمر قيادة** القوافل التجارية ولا تتم إلا تحت إمرته أو إمارة أحد أبنائه.

٤ ــ حجابة الكعبة، إذ كانت مفاتيحها بيده لا يفتح بابها الا هو، وهو الذي يلى أمر خدمتها وسدانتها([1]).

٥ ــ **سقاية الحاج:** وهي قيامهم بتجهيز أحواض الماء للحجيج القادمين اليهم وكانوا يحلونها بالتمر والزبيب.

٦ ــ **رفادة الحجاج:** وهي تجهيز الطعام للحجيج المارة الى الكعبة، واقتطع من أمواله مبلغ، فيصنع به طعامًا للحاج، يقدمه للفقراء من الحجاج([2]).

وقسم الأمور الإدارية في الكعبة بين أبنائه وبعد موته، وقسموا هذه المناصب، فتولى أمر السقاية والرفادة والقيادة إلى بنى عبد مناف، وبقيت دار الندوة واللواء والحجابة بيد بنى عبد الدار. وقيل: كانت دار الندوة بالاشتراك بين الفريقين، ثم حكم بنو عبد مناف القرعة فيما أصابهم، فصارت السقاية والرفادة لهاشم والقيادة لعبد شمس، فكان هاشم بن عبد مناف هو الذي يلى السقاية والرفادة طول حياته، فلما مات خلفه أخوه المطلب بن عبد مناف، وولى بعده عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف جد رسول الله ﷺ، وبعــده أبنــاؤه حتى جــاء الإسلام والولاية إلى

([1])أبن هشام، ج١، ١٢٥

([2])أبن هشام، ج١، ١٣٠، المباركفوري، ٤٧.

العبـــاس. ويقـــال: إن قصيًا هـــو الذي قسم المناصب على أولاده، ثـــم توارثـــها أبناؤهـــم ([1]). وظهرت عند القرشيين المناصب السياسية التالية:

١ــ **الإيسار**: تولى أمرها بني جمح وأمر تكمن في تولية قداح الأصنام للاستقسام، وكان ذلك في بني جُمَح.

٢ ــ **تحجير الأموال**: تولها بني سهم وتكمن في تنظيم القربات والنذور التي كانت تهدى إلى الأصنام، وكذلك فصل الخصومات والمرافعات.

٣ ــ **الشورى**: تولها بني أسد.

٤ ــ **الأشناق**: تولى أمرها بني تيم وأمرها بتنظيم الديات والغرامات.

٥ ــ **العقاب**: تولها بني أمية، حمل اللواء القومى .

٦ ــ **القبة**: تولها بني مخزوم، تنظيم المعسكر، وكذلك قيادة الخيل.

٧ ــ **السفارة**: وتول أمرها بني عدي. ([2]).

([1])أبن هشام، ج١، ١٢٩ – ١٧٩.

([2])المباركفوري، ٤١ .

الحكم في البلاد العربية:

تولى أمر الحكم في البلاد العربية القبائل العربية التي جاءت من اليمن وخاصة القحطانية والعدنانية واتبعوا ملك الحيرة العربي والموجودين في بادية الشام، إلا أن هذه التبعية كانت اسمية لا فعلية، والقبائل تختارا رؤساء لهم، وأن القبيلة كانت حكومة مصغرة، أساس كيانها السياسى الوحدة العصبية، والمنافع المتبادلة في حماية الأرض ورد المهاجمين عليهم.

أما زعماء القبائل فكانوا يحكمون مثل الملوك وتتبع القبيلة لسيدها، لا تتأخر عنه بحال، وكان له من الحكم والاستبداد بالرأي؛ حتى كان بعضهم إذا غضب غضب له ألوف من السيوف لا تسأله: فيم غضب، إلا أن المنافسة في السيادة بين أبناء العم وتقديم العون والمساعدة للمحتاجين والمصانعة بالناس من بذل وإكرام الضيف والكرم والحلم، وإظهار الشجاعة والدفاع عن الغيرة، حتى يكسبوا المحبة من الناس، وظهر للشعراء دور وخاصة بإبراز القبيلة أمام القبائل الأخرى.

وكان للسادة والرؤساء حقوق خاصة، فكانوا يأخذون من الغنيمة المِرْباع (ربع الغنيمة)، والصَّفي (ما كان يصطفيه الرئيس، أي يختاره لنفسه قبل القسمة)، والنَّشيطة (ما أصاب الرئيس في الطريق قبل أن يصل إلى بيضة القوم)، والفُضُول (ما فضل من القسمة مما لا تصح قسمته على عدد الغزاة، كالبعير والفرس ونحوهما)[١]

([١])نفس المرجع السابق، ٢٠٠٣.



الوحدة الثانية

أحوال العرب قبل الإسلام

- الحالة السياسية.
- الحالة الاجتماعية.
- الحالة الاقتصادية.
- الحالة الثقافية.
- الحالة الدينية.
- صفات العرب قبل الإسلام.



الوحدة الثانية

أحوال العرب قبل الإسلام

• الحالة السياسية:

اتصفت الحالة السياسية في شبه الجزيرة العربية في حالة الاضطراب والانحطاط، فقد تنوعت طبقات الشعب بين سادة وعبيد، أو حكام ومحكومين، وأن الرعايا كانت تعمل وتقدم المحاصيل إلى الحكومات، والحكومات كانت تستخدمها في أغراضها الخاصة (ملذاتها وشهواتها، ورغائبها، وحروبها ضد الغير). واتصفت حياتهم بالبئس والشقاء، وليس باستطاعتهم التذمر والشكوى، ويلقون أسوء أنواع العذاب، وتميز الحكم بالاستبداد، بينما كانت القبائل المجاورة لشبه الجزيرة العربية تميل إلى تبعية أهل العراق، وأحياناً في أهل الشام، وكانت أحوال القبائل داخل الجزيرة مفككة الأوصال، تغلب عليها المنازعات القبلية والاختلافات العنصرية والدينية، ولم يكن عندهم ملك يحميهم أو يدفع عنهم الشر.

بينما اتصفت حكومة الحجاز باحترام وتقدير الأفراد وعملت على تقديم العون والمساعدة للوافدين إلى بيت الله الحرام.

وكثر النزاع بين القبائل العربية في الجاهلية بسبب الاختلاف على السيادة او التسابق على الماء والكلاء، لذا وقعت بينهم حروب كثيرة اريقت فيها الدماء وأيام معدودة عرفت بأيام العرب ووقائعها في الجاهلية، وكان يقع بعضها لاسباب أقتصادية وخاصة نشوب حرب البسوس، أو العامل الاقتصادي القومي وخاصة في نشوب حرب ذي قار، أو السبب النفساني الذي أدى الى نشوب حرب داحس والغبراء. [١]

---

(١)ابن الاثير، ج١، ص١٨٧-١٩٣

وتعددت أيام العرب، وكان أهمها حرب البسوس بين بكر وتغلب، وحرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان، ويوم ذي قار بين العرب والفرس ([1])

• الحالة الاجتماعية:

تميزت أحوالهم الاجتماعية بالاحترام المتبادل بين أفرادها، فكانت علاقة الرجل مع أهله تتصف بالاحترام والتقدير، وكلمته مسموعة، وكانت محترمة مصونة تُسَلُّ دونها السيوف، وتراق الدماء، واتصف الرجل بكرمه وشجاعته، وهو صاحب الكلمة في أسرته، وكان للمرأة دور في السلم وإشعال نار الفتنة.

بينما تفشى البلاء عند الأشراف والنبلاء وخاصة عادة الاختلاط بين الرجل والمرأة وظهرت صفات سلبية عندهم مثل: (الدعارة والمجون والسفاح والفاحشة).

وتميز النكاح عندهم بعدة أنواع: أولاً: خطبة الرجل للفتاة فيطلبها من وليها ويقدم لها الصداق ثم ينكحها. ثانياً: بعد طهور المرأة من طمثها، يطلب منها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدًا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا ظهر حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك لإنجاب الأبناء وسمي نكاح الاستبضاع، ونوع ثالثاً: يجتمع الرهط دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبونها، فإذا حملت، ووضعت ومرت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فتنسب الولد لمن تريد منهم. ونوع رابع: يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها،وهن البغايا،كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علمًا، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فنسبوه إليه، ودعى ابنه، لا يمتنع من ذلك، فلما بعث الله محمدًا ﷺ بالحق هدم نكاح أهل الجاهلية كله إلا نكاح الإسلام وذلك بالعقد الشرعي .

([1])حسن ابراهيم، ج١ ، (٥٢-٦١) .

وظهرت عندهم المبارزة بين الرجال فكان الغالب يسبي نساء المغلوب([1]).

وتعددت الزوجات عندهم حتى حددها القرآن في أربع. وكانوا يجمعون بين الأختين، وكانوا يتزوجون بزوجة آبائهم إذا طلقوها أو ماتوا عنها حتى نهى عنهما القرآن والعصمة بيد الرجل ، ونالت المرأة الحرة كرامة وصيانة لها بينما أهينت الإماء، روى أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قام رجل فقال: يا رسول الله، إن فلانًا ابني، عاهرت بأمه في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: (لا دعوة في الإسلام، ذهب أمر الجاهلية، الولد للفراش وللعاهر الحَجَر). وبرزت عندهم عادة وئد البنات وسببها خشية من العار وشاع قتل الأولاد خشية الفقر والإملاق .

لقد كانت علاقة الأخوة والعشيرة قوية تربطها صلة القربى والرحم وينطبق عليهم القول: (انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا) على المعنى الحقيقي من غير التعديل الذي جاء به الإسلام؛ من أن نصر الظالم كفه عن ظلمه، أما النزعه القبيلة التي أرادها أفراد القبيلة وهي السيادة والتنافس عليها أدت الى الحروب بين القبائل التي كان يجمعها أب واحد، كما نرى ذلك بين الأوس والخزرج، وعَبْس وذُبْيان، وبَكْر وتَغْلِب وغيرها.

بينما علاقة القبائل الأخرى فكانت مضطربة يشوبها الحروب بينما كانت الأشهر الحرم رحمة بينهم فيسود الأمن والرضاء وذلك لاحترامهم والتقيد بها، يقول أبو رجاء العُطاردي: إذا دخل شهر رجب قلنا: مُنَصِّلُ الأسِنَّة؛ فلا ندع رمحًا فيه حديدة ولا سهمًا فيه حديدة إلا نزعناه، وألقيناه شهر رجب. وكذلك في بقية الأشهر الحرم([2]). والخلاصة أن الأوضاع الاجتماعية كانت مضطربة ورديشة وأوضاع الناس كالأنعام وعلاقة القبائل مع بعضهم سيئة وعوملت المرأة بالإهانة وتشي سوء الأخلاق وساء الرخاء والخير في الشهر الحرم([3]).

([1])الطبري، ج١، ٦٧

([2])فتح الباري، ج٨، ٩١

([3])حسن ابراهيم ، ج١، ٥٢-٦٠

الحالة الاقتصادية:

لقد كان العرب في الجزيرة العربية يعتمدون كل الأعتماد على التجارة حيث كانت الوسيلة الوحيدة في الحصول على رزقهم وحوائجهم، ولا تسير القوفل التجارية إلا إذا ساد الأمن والسلام، وكان ذلك مفقودًا في جزيرة العرب إلا في الأشهر الحرم، وهذه هي الشهور التي كانت تعقد فيها أسواق العرب الشهيرة من (عُكاظ وذي المجَاز ومَجَنَّة) وغيرها.

وأما الصناعات عندهم كانت بدائية واقتصرت على الحياكة والدباغة في اليمن والحيرة ومشارف الشام، أما الجزيرة فاشتهرت بالزراعة والحرث واقتناء الأنعام، وعملت النساء بالغزل، لكن كانت الأمتعة عرضة للحروب([1]).

لذا إنقسم العرب الى قسمين:

القسم الأول: وهم بكان البادية الذين اعتمدوا في معيشتهم على تربية المواشي وكانوا يتنقلون من مكان الى آخر طلبا للماء والكلأ واعتمدوا في عيشهم على مواشيهم وأغنامهم فأكلوا لحومها وألبانها ولبسوا أصوافها واتصفوا بعدم الاستقرار لذا لم يهتموا بالزراعة وكانوا يعملون أحياناً بحماية القوافل التجارية التي كانت تمر في منطقتهم مقابل مبلغ معين ويعملون أحيانا في الغزو.

القسم الثاني من السكان: فهم سكان الحضر الذين كانوا يعملون في الزراعة والتجارة وجمعوا ثروة كبيرة وتاجروا في العطور التي كانت منتشرة في مصر والحبشة، وبلغت اليمن درجة عظيمة من المدنية والتفوق الحضاري نظراً لموقعها الجغرافي ومركزها التجاري.

([1]) الآلوسي، ج١، ٦٩

أما سكان مكة المكرمة: عملوا بالتجارة لأن أرضها صخرية لا ماء فيها ولا زرع، وكان لهم من القدر والاحترام عند العرب لأنهم كانوا القائمين على أمر الكعبة والحافظين مجدها ثم أخذت مركز الصدارة تجارياً بين اليمن والشام والحبشة وسارت القوافل منها بأمان مطمئنين على أنفسهم وقوافلهم فوصلوا الى غزة وبيت المقدس ودمشق وعبروا البحر الاحمر الى الحبشة واعتمدوا على ميناء جدة حيث كانت البضائع تحمل من مكة الى القطيف في اقليم البحرين على ساحل الخليج العربي لتنقل في القوارب الى مصب الفرات وحملت قوافل قريش الطيب والبخور والمنسوجات الحريرية والجلود والاسلحة والمعادن النفيسة من أسواق صنعاء وموانئ عُمان وحملت المصوغات والقمح وزيت الزيتون والحبوب والخشب والقز من أسواق بصرى ودمشق وحملت المنسوجات القباطية من مصر والتوابل من الحبشة[1].

وكانوا أهل مكة يقومون برحلتين في العام الأولى يتوجهون الى اليمن في الشتاء والثانية يتوجهون الى الشام في الصيف ، أما أبناء عبد مناف فكانوا يتوجهون الى مختلف البلاد ولا أحد يتعرض لهم بسوء فهاشم يتوجه الى الشام وعبد شمس يتوجه الى الحبشة والمطلب يتوجه الى اليمن ونوفل يتوجه الى فارس[2]، وأقيمت الأسواق التجاري في الجزيرة العربية وخاصة: (سوق دبي وسوق عدن وسوق الرابية وأسواق عكاظ وذي المجاز ومجنة بمكة وسوق حباشة بمنطقة تهامة).

الحالة الثقافية:

لقد كان لموقع مكة أهمية إستراتيجية وخاصة لمرور القوافل التجارية منها والتقاء القبائل فيها وخاصة أيام الحج، فقد تناقلت اليها الآداب ومختلف الثقافات

---

(1) حسن،ج١، (٦٤- ٦٦) .

(2) الآلوسي، ج١، ص ٧٣

وتناشدوا الاشعار الحماسية وأظهروا شرف أصلهم وكرمهم وأصالتهم العربية مما غرس ذلك في نفوسهم ولم يظهر عندهم التعليم في إلا عند حاجتهم إليه ونتيجة لعيشهم في بيئة صحراوية تتطلب منهم معرفة علم الانواء (وذلك لمعرفة أوقات نزول الغيث)، علم الآثر، وعلم الأنساب، وبرز الشعراء الذين كانوا يجلسون جلسات مبارزة شعرية، وبرزوا في علم الفلك لرصد تحرك الكواكب والنجو ومعرفة الأشهر بدايتها ونهايتها([١])، وبمجيء الاسلام شجع المسلمين على التعلم .

الحالة الدينية:

لقد دان العرب بدين الحنيفة التي جاء بها إبراهيم عليه السلام وانتشرت في الجزيرة العربية حتى مجيئ عمرو بن يحيى زعيم قبيلة خزاعة، فساروا خلفه لفضله عليهم وظنوه أنه من الأولياء ومرض ذات يوم من فتوجه إلى الشام (مكان في البلقاء) فرآهم يعبدون الأصنام فشوفي من مرضه فظن أن الصنم هو السبب في شفائه ([٢]). وكان هبل من العقيق الأحمر على صورة إنسان، مكسور اليد اليمنى، أدركته قريش كذلك، فجعلوا له يدًا من ذهب، وكان أول صنم للمشركين وأعظمه وأقدسه عندهم.([٣]).

إذ كانت هذيل وخزاعة تعبد مناه، واللات مقرها الطائف عبدها ثقيف، والعزّى عبدها أهل قريش وبني كنانة ومقرها ذات المرق، وهذه الأصنام الثلاثة اللات والعزى ومناه من أقدم آلهتهم وأوثانهم([٤]).

ويذكر ابن الكلبي في كتابه الأصنام أن عمرو بن لحي كان أخبره الجن عن أصنام قوم نوح مدفونة بجدة وهي (ودًا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا) فأخرجها

([١])حسن ابراهيم ،ج١، ٦٦-٦٧

([٢]) نفس المرجع السابق .

([٣]) أبن هشام، ج٢، ٧٦ – ٧٧؛ الكلبي، ٢٨

([٤]) فتح الباري، ج٨، ٦١٢

وذهب بها إلى تهامة، فلما جاء الحج وزعها على القبائل، فذهبت بهم إلى أوطانهم([1]).

فقد عيدت قبيلة كلب "ود" وعاشت في جرش من أرض الشام بدومة الجندل، وأما وعيدت هذيل بن مدركه سواع في أرض الحجاز برهاط: وعبد بني غطيف يغوث، بالجُرْف عند سبأ، وأما يعوق:فكانت لهمذان في قرية خَيْوان من أرض اليمن، وخيوان: بطن من همذان، وأما نسر:فكانت لحمير لآل ذى الكلاع في أرض حمير وبنيت لها البيوت التي اتخذت صفة التقديس([2]). وظهرت عندهم أصنام أخرى مثل (ذو الخلصة عند دوس وخثعم وبجيلة وفلس لبني طيئ وريام ورضاء والكعبات لبني بكر وتغلب. وصنم ذو الكفين، وسعد وشمس وغميانس لبني خولان)([3]). وبلغ عدد الأصنام في جزيرة العرب وخاصة في الأشهر الحرم ثلاثمائة وستين صنماً وعند الفتح أمر الرسول ﷺ بإخراجها وحرقها([4]).

وتمادى الناس في عبادتهم حتى أنهم أصبحوا يتقربون إلى الأحجار دون الأصنام ويذكر أبو رجاء العُطاردى رضي الله عنه بقوله: كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجرًا هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا جُثْوَةً من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه، ثم طفنا به. (صحيح البخاري، ٤٣٧٦).

واعتقدوا أن عبادة الأصنام هي قربى لله كما هو عند الملائكة عند شفاعتهم لأحد واتخذوا لهذه الأصنام مقرات وأماكن للعبادة والتقديس وقدموا لها النذور والقرابين وأنها خلاص لهم من عذاب الآخرة وزاد ذلك من احترامهم ومحبتهم لعمرو بن يحيى الذي جلب لهم تلك العبادات ([5])، وكانوا يتقربون إليها ويطلبون

([1]) نفس المصدر السابق

([2]) نفس المصدر السابق، ج٦، ٥٤٩

([3])أبن هشام، ج١، ٨٠

([4])أبن كثير، ج٤، ٢٨٢ – ٢٨٤

([5])حسن ابراهيم ، ج١، ٦٩ – ٧٥

حاجتهم منها وقت الشدائد وكانوا يطوفون عندها ويذبحون لها ويسمون ذلك باسمها . وخصوا أصنامهم بنصيب من قوتهم وأنعامهم وحرثهم ، وكان ينذون بإسمها ويذبحون نذورهم عندها، وظهرت عندهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى.([1]) ويتحدث عنهم سعيد بن المسيب: البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس.والسائبة: كانوا يسيبونها لآلهتهم، فلا يحمل عليها شيء.والوصيلة: الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل بأنثى، ثم تثنى بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى، ليس بينهما ذكر. والحامى: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود [العشر من الإبل] فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت، وأعفوه من الحمل، فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامى ([2]).

وذكر في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: (رأيت عمرو بن عامر بن لحى الخزاعى يجر قَصبَه [أي أمعاءه] في النار)؛ لأنه استقدم الأصنام إلى الكعبة فنصب الأوثان وسيب السائبة، وبحر البحيرة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامى([3]).

وكانوا يستقيمون بالأزلام ومفردها الزّلَم: وهي القدح الذي لا ريش له، وهـــي على أنواع:

الأول: يرمون بأسهم، أحدها:[نعم]، وثانيها: [لا]، وثالثها:[غُفْل]، كانوا إذا أرادوا السفر والزواج والعمل يرمون بها فإن أصاب نعم ساروا للعمل بالشء المطلوب وإن "لا" رجعوا وإن غفل أعادوا الضرب مرة أخرى.

([1])حسن، ج١، ٧١

([2])فتح الباري، ج٨، ١٢٣

([3])فتح الباري، ج٨، ٢٨٥؛ الكلبي، ٨.

ثانياً: ونوع فيه المياه والعقول والديات.

ثالثاً: نوع ثالث أنهم إذا شكوا بنسب أحد ذهبوا إلى هبل ومعهم مائة درهم وطلبوا من القداح أن يدخل إلى هبل ويرى بـــ(منكم) فإن ظهرت منكم كان منهم وإن خرج عليه (من غيركم) كان حليف وإن ظهرت كلمة (ملعن) لاقية النسب والحليف.

وبرزت عندهم عادة الميسر والقداح، وهو نوع من ضرب القمار([1]). وآمنوا بأخبار يؤمنون بأخبار الكهنة والعرافين والمنجمين. والمنجم: من ينظر في النجوم أي الكواكب، ويحسب سيرها ومواقيتها، ليعلم بها أحوال العالم وحوادثه التي تقع في المستقبل. مثل العارفين بعلم الفلك.

وبرت عندهم الطيرة [بكسر ففتح] وهي التشاؤم بالشيء، وأصله أنهم كانوا يأتون الطير أو الظبى فينفرونه، فإن أخذ ذات اليمين مضوا إلى ما قصدوا وعدوه حسناً، وإن أخذ ذات الشمال انتهوا عن ذلك وتشاءموا، وكانوا يتشاءمون إذا رأوا طيراً وحيوان في مسيرهم.

ومن عاداتهم التشاؤم من بعض الأيام والأشهر والحيوانات والدور والنساء وأن روح المقتول لا تهدأ وتسكن حتى يأخذ بثأرها. إلا أن عبادة إبراهيم عليه السلام بقيت في أهل مكة مثل تعظيم البيت، والطــواف بـــه، والحـــج، والعمـــرة، والـــوقوف بعرفة والمزدلفة، وإهداء البدن.

وطلبوا من أهل الحل ألا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحمس. ولا يأتون بيوتهم من أبوابها في حال الإحرام، بل كانوا ينقبون في ظهور البيوت ثقبًا يدخلون ويخرجون منه، وقد نهي عنه القرآن، قال الله تعالى: (وَلَيْسَ

([1])اليعقوبي، ج١، ٢٥٩ – ٢٦١

ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٨٩﴾) [البقرة:١٨٩] .

ومع مجيئ إبراهيم الحبشي ساعد على نشر النصرانية وبنى لهم كنيسة وهي بمثابة الكعبة باليمن وذلك لتوجيه الحجاج إليها([1]).وظهرت الديانات اليهودية والنصرانية والمجوسية، وعبادة الصابئية. بينما كانت الديانة اليهودية أكثر شدة وتحكم بالأفراد بالسيطرة الاقتصادية وذلك لجمع المال وحبهم إلى المناصب السياسية واختلفت النصرانية بمبادئها([2]).

أهم الصفات التي تحلى بها العرب:

برزت عندهم صفات إيجابية تحلى بها العرب وتنادوا بها وتغنوا بأمجاد أجدادهم ، وهذه الصفات:([3]).

١ ــ **الكرم:** وهي من الصفات الغالبة عليهم حتى أنهم كانوا يقدمون الطعام لضيوفهم حتى لو كان على حساب أفراد الأسرة، وتنالوا الخمر لأنها مأخوذة من شجرة العنب المعروفة بالكرمة.

وكانوا يلتهون بالميسر والرابح يوزع ذلك على الفقراء وهذا يتنافى مع ما جاء به سيدنا محمد ﷺ وذكر إثم ذلك في القرآن: (وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ) [البقرة:٢١٩]

([1])المباركفوري ، (٥٢ – ٥٤) .

([2])الأزرقي ،ج١،(٧٥ – ٩٠) .

([3])أبن حبيب ، (٣٠٠ – ٣٢٠) .

٢ ــ **الوفاء بالعهد:** فكانوا يوفون بالعهود حتى لو اضطروا إلى قتل أولادهم قصة هانئ بن مسعود الشيباني.

٣ ــ **عزة النفس والإباء عن الخضوع والذل:** إذ برزت عندهم الشجاعة والغيرة والتضحية للقبيلة.

٤ ــ **المضي في العزائم:** فإذا عزموا على شيء يرون فيه المجد والافتخار، لا يصرفهم عنه صارف، بل كانوا يخاطرون بأنفسهم في سبيله، أو عزمهم على رفع هيبة قبيلتهم.

٥ ــ **التأني والحكم في مواجهة الصعاب .**

٦ ــ **احترامهم للعادات الإيجابية التي يتحلى بها العربي وخاصة الصدق والأمانة والإخلاص**[١].

---

(١)المباركفوري ، ٦٠.



الوحدة الثالثة

محمد بن عبد الله (ﷺ)

- أصله ونسبة.
- صفات الرسول (ﷺ).
- زواجه من خديجة
- مشاركته في بناء الكعبه.
- الوحي وبدء الدعوة.
- مراحل الدعوة الاسلامية.
- الدعوة العلنية وبدء المعارضة للرسول (ﷺ).
- وفد قريش الى عمه أبي طالب.
- أذى قريش للرسول (ﷺ).
- المقر السري للدعوه (دار الأرقم).
- الهجره الى الحبشة.
- عودة المهاجرين وقصة الغرانيق.
- مقاطعة قريش لبني هاشم والمطلب.
- عام الحزن.
- خروج الرسول (ﷺ) الى الطائف.
- حادثة الإســـــراء والمعراج.
- يثرب المقر الثاني لدعوة الرسول (ﷺ).



الوحدة الثالثة

محمد بن عبد الله (ﷺ)

أصله ونسبة

ينتسب سيدنا محمد ﷺ في نسبه الشريف في ثلاثة أجزاء تم الاتفاق عليها عند أهل السير والأنساب ويورد الجزء الأول من نسبه بأنه: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وإسمه شَيْبَة بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف وإسمه المغيرة بن قُصَيّ واسمه زيد بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فِهْر وهو الملقب بقريش وإليه تنتسب القبيلة بن مالك بن النَّضْر واسمه قيس ـــ بن كِنَانة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكة واسمه عامـــر بن إلياس بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان[1]، أما الجزء الثاني من نسبه الشريف فيبدأ من عند: عدنان هو ابن أُدَد بن الهَمَيْسَع بن سلامان بن عَوْص بن بوز بن قموال بن أبي بن عوام بن ناشد بن حزا بن بلداس بن يدلاف بن طابخ بن جاحم بن ناحش بن ماخى بن عيض بن عبقر بن عبيد بن الدعا بن حَمْدان بن سنبر بن يثربى بن يحزن بن يلحن بن أرعوى بن عيض بن ديشان بن عيصر بن أفناد ابن أيهام بن مقصر بن ناحث بن زارح بن سمى بن مزى بن عوضة بن عرام بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام[2]، أما نسبه الشريف في الجزء الثالث فيبدأ: إبراهيم عليه السلام، وهو ابن تارَح واسمه آزر بن ناحور بن ساروع أو ساروغ بن رَاعُو بن فَالَخ بن عابر بن شَالَخ بن أرْفَخْشَد بن سام بن نوح عليه السلام بن لامك بن مَتوشَلَخَ بن أَخْنُوخ يقال: هو إدريس النبي عليه السلام بن يَرْد بن مَهْلائيل بن قينان بن أُنوش بن شِيث بن آدم عليهما السلام[3].

---

(1) أبن هشام، ج١، ٢٠١ ؛ الطبري، ج٢، ٢٣٩-٢٧١، المباركفوري، ٥٥.

(2) ابن سعد، ج١، ٥٦-٥٧؛ فتح الباري، ج٦، ٦٢١-٦٢٣، الطبري، ج٢، ٢٧٢.

(3) أبن هشام، ج١، ٢-٤؛ تاريخ الطبري، ج٢، ٢٧٦.

ولــد سيــدنا محمد ﷺ بشــعب بني هاشــم بمكــة يـــوم الاثنين التاسع مــن شــهر ربيــع الأول، في العام الأول من حادثة الفيل، ولأربعــين سنة خلت من ملك كسرى أنوشروان، سنة ٥٧١م ([١]).

وروى ابن سعد أن أم الرسول ﷺ قالت: لما ولدته خرج من فرجي نور أضاءت له قصور الشام([٢])

ولما ولدته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بحفيده،فجاء مستبشرًا ودخل به الكعبة، ودعا الله وشكر له. واختار له اسم محمد وهذا الاسم لم يكن معروفًا عند العرب وخَتَنَه يوم سابعه كما كان العرب يفعلون، وأول من أرضعته من المراضع وذلك بعد أمه ﷺ بأسبوع **ثُوَيْبَة مولاة أبي لهب بلبن** ابن لها يقال له: مَسْرُوح، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي.

ويعود في نسبه الشريف الزاكي إلى جده قصي الذي كان سيد مكة وباني مجدها ومنظم شؤونها إذ انتزع سيادة هذه المدينة من قبيلة خزاعة وجعلها لقريش بعد أن كانت هذه القبيلة متفرقة في بني كنانة، أما أمه فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب وتلتقي بالنسب والقربى إلى زوجها عبد الله([٣]).

ومات والده عبد الله بن عبد المطلب وأمه حامل به لشهرين، فولد ﷺ يتيماً، ثم أرسلت إلى جده عبد المطلب بن هاشم ليتول رعايته أنه قد ولد لك غلام فأتة فانظر إليه فجاءه، وحمله وذهب به إلى الكعبة ثم حمد الله وشكره وبدأ يفكر له بمرضعة، ووقع اختياره على امرأة من بني سعد بن بكر وأسمها حليمة بنت أبي

([١]) المباركفوري، ٦١.

([٢])أبن سعد، ج١، ٥٦ – ٥٧

([٣])أبن هشام، ج١، ١٣٠

ذؤيب، وبذلك كفله جده عبد المطلب وظل في رعايته حتى توفي في السنة الثامنة بعد عام الفيل([1]).

وذهبت آمنة لزيارة قبر زوجها بيثرب وعند عودتها أصابها مرض في أوائل الطرق واشتد حتى ماتت بالأبواء بين مكة والمدينة وتوفيت ولمحمد من العمر ست سنين([2]).

وبحكم عمل أجداده بالتجارة والتي كانت هي المصدر الرئيسي لعيشهم في الجزيرة العربية فقد عمل عليه الصلاة والسلام بالقوافل الذاهبة إلى بلاد الشام، حيث أن قصي قد قسم أمر القوافل بين أبنائه الأربع فكان لعبد شمس رئاسة القوافل الذاهبة إلى اليمن، ولنوفل رئاسة القوافل الذاهبة إلى فارس، وللمطلب رئاسة القوافل الذاهبة إلى الحبشة، ولهاشم رئاسة القوافل الذاهبة إلى بلاد الشام. وكان لأثر التجارة حياة فيها السعادة والقوى بأبناء قصي وكان لموت هاشم أثره في إضعاف أولاده وعشيرته ثم آل أمر هذه العشيرة من بعده إلى أخيه المطلب الذي لم يكن له نفس مركز أخيه ولا يساره، ثم انتقلت الرئاسة إلى أبن هاشم عبد المطلب وولدته أمه سلمى بنت عمر من بني عدي بن النجار في يثرب([3]).

وتوفي عمه المطلب في ردمان في اليمن أثناء خروجه في قافلة تجارية له ثم آلت رئاسة بني هاشم إلى عبد المطلب وإليه يعود الفضل في حفر بئر زمزم التي أصبحت مصدراً رئيسياً للماء في مكة، وسقاية الحجيج مما أدى ذلك إلى قيام منازعات بينه وبين بقية قريش التي أرادت أن يكون لها النصيب في هذا الشرف، وحجتها في ذلك أن البئر هو بئر إسماعيل عليه السلام، وإجابهم عبد المطلب أنه لن يسمح لأحد بمنازعته هذا الشرف([4]).

وتذكر الروايات التاريخية أن عبد المطلب عندما حفر بئر زمزم اصطدم بقريش ولم يكن له من الأولاد الا ولد واحد هو الحارث الذي ساعده في حفر البئر

([1]) الطبري، ج٢، ص ٢٧٧

([2]) ابن هشام، ج١، ص ١٦٨

([3]) ابن سعد، ج١، ص ٨١-٨٢

([4]) ابن هشام ، ج١، ١٤٢؛ ابن سعد، ج١، ٨٣

وقد نذر حين لقي من قريش ذلك لئن ولد له عشرة أولاد ذكور وكبروا حتى يمنعوه لينحرن أحدهم لله عند الكعبة وقد حقق الله له ذلك وكانوا قادرين على حمايته عندها اخبرهم بالوفاء لله بالنذر فأطاعوه ودخل بالقداح هُبل في جوف الكعبة، وطلب من صاحب القداح أن يضرب على بنيه وآل النصيب على عبد الله والذي كان أصغرهم وأكثرهم حُباً لعبد المطلب فأخذ شفرة وهمّ بذبحه وتدخلت قريش لمنعه فاستشاروا العرّافة، وأشارت عليهم أن يضرب عليه وعلى عشرة من الأبل فإن رضيت الآلهة زيدت الإبل عشراً عشرا، حتى ترضى الآلهة وطبق ذلك عبد المطلب حتى بلغت المئة فرضيت الآلهة وقبلت الفداء وأنقذ عبد الله([1]).

ثم ظهر حدث آخر ألا وهو غزو الأحباش لمكة بقيادة أبرهة فقد أحتلوا اليمن وطمحوا بالسيطرة على خطوط التجارة واحتكروا نقلها من اليمن إلى الشام وشعروا بأن المكيين يلعبون دوراً هاماً في العمليات التجارية بين اليمن والشام، وأن الكعبة تلعب دوراً هاما في تجميع العرب حول القُرشيين([2]).

وأيضاً أن الكعبة مكان عبادة وحج وأن الحبشة وفارس كانتا تتنازعان من أجل السيطرة على أسواق الحجاز الداخلية إلى جانب نزاعاتهم من أجل التجارة العالمية مما شجع أبرهة على التفكير هدم الكعبة والتقليل من شأنها فعمل على بناء كنيسة القليس وجملها ودعا العرب إلى الحج إليها.

ويذكر أبن هشام أن إبرهة حين انتهى من بناء القليس كتب إلى النجاشي يخبره بأمرها ويقول له إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبنى مثلها لملك كان قبلك، ولستُ بمنتهٍ حتى أصرف إليها حج العرب. فعلم العرب في مكة وذلك فخرج رجل من بني كنانة حتى قدم اليمن ولطخ القليس بالأقذار وعاد إلى بلده ولما بلغ إبرهة الخبر حلف أن يسير إلى الحجاز ويهدم الكعبة([3]).

([1]) ابن هشام، ج١، ١٥١-١٥٥؛ الطبري، ج ٢، ٢٤٠-٢٤٣

([2]) الأزرقي ج١، ص ١٢٨

([3]) ابن هشام، ج١، ٤٣

وتذكر المصادر التاريخية أن أهل مكة قد انسحبوا وتركوا أمر المفاوضات لعبد المطلب ولكن عبد المطلب لم يُباحث إبرهة في شيء سوى رد المئتي بعير التي كانت قد صادرها الأبرهة، وحين وصل الحديث بينه وبين إبرهة إلى الكعبة قال عبد المطلب إني أنا رب الأبل، وأن للبيت رباً سيمنعه([1]).

وقد رافق الحملة فيله أرعبت العرب لكثرتها ولهذا السبب سمّي (بعام الفيل) وكان له من الأهمية في رفع شأن الكعبة، وتتجلى قدرته سبحانه وتعالى ليرد عدوهم ويرسل عليهم طيراً من أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل حتى رد الله إبرهة الحبشي عن الكعبة وقلل من هيبته، وعظمته أمام ملك الحبشة، وجاء قوله تعالى:

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥) (سورة الفيل، الأية ١-٥).

وأياً كان فإنه لم يعش طويلاً بعد هذه الحملة ومات ليترك زعامة بني هاشم والمطلب إلى أبنه الزبير أبن عبد المطلب وكانت فترة زعامة الزبير هي الفترة التي قامت فيها حرب الفُجار، وعقد حلف الفضول، ولكن الزبير لم يكن أهلاً لهذه الزعامة فانتقلت لأخيه أبي طالب.

أما مرضعة سيدنا محمد ﷺ حليمة السعدية وهي من قبيلة سعد هذيم و يذكر ابن أسحاق أن حليمة قد خرجت من بلدها ومعها زوجها وولدها الصغير إلى مكة تبحث عن طفل لترضعه، وكانت هذه السنة سنة مجدبة لم يبق لهم زرعاً ولا ضرعاً وعرض محمد على النسوة التي وصلت قبل حليمة إلى مكة فرفضن ذلك الصبي لأن أباه متوف وهو في كفالة جده ولا يُرجى الخير منه، فأخذته حليمة السعدية([2]).

([1]) نفس المصدر السابق، ٥٠ .

([2]) ابن هشام، ١، ١٦٢.

وأجمعت كثير من المصادر التاريخية التي تحدثت عن هذه الحادثة بأنّ الله أفاض بالخير الكثير على حليمة منذ أن أخذته وأحتضنته، فكانت أغنامها تعود إلى الدار شبعاً ممتلئة الضرع وظهرت البركة فامتن الله عليها بخير مضاعف حيث درت الضروع بعد جفاف وشعرت بذلك حليمة وزوجها وولدها بأن أوبتهم من مكة كانت باليمُن والغنم لا بالفقر واليتم، مما زاد تعلقهم بالطفل وإعزازهم له([١]).

وبعد أشهر من عودته إلى مضارب بني سعد وقعت حادثة شق الصدر وكان معه أخوه من الرضاعة، فعاد مسرعاً إلى أمه وأبيه وهما يرعيان الغنم فقال لهما ذاك أخي القرشي، قد أخذاه رجلان عليهما ثياب بيضاء، فأضجعاه وشقا بطنه، ثم أسرع إليه فوجداه قائماً منتقع الوجه فسألاه: مالك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني، فالتمس فيه شيئاً لا أدري ما هو، ثم أخذت به حليمة وزوجها وعاد به وظن الأب أن الغلام قد أصيب وطلب من زوجته أن تعيده إلى أهله قبل أن يستفحل به ذلك ويظهر، فحملته مرضعته وإعادته إلى أمه وأعلمتها بما حدث فأخذته أمه حيث ظلت ترعاه في حماية وإشراف جده عبد المطلب([٢]).

وفي ذكر فضل مرضعته فيذكر عليه الصلاة والسلام، بما كان لها من فضل في تقويم لسانه وإيضاح بيانه فيقول:" أنا أعربكم من قريش ولساني لسان بني سعد بن بكر"([٣]).

فتولى أمره جده عبد المطلب الذي كان يقعده إلى جواره في مجلسه في ظل الكعبة ويقول لبنيه إذا ما أرادوا إبعاده عنه دعوا ابني فوالله إن له شأن ثم يمسح ظهره بيده ويّسره ما يراة يصنع ولكن لم تطل رعاية الجد وعطفه الذي عوض حفيده حنان الأب والأم إذ ما لبث أن توفي ومحمد في الثامنة من عمره، وانتقل إلى كفالة عمه أبي طالب، الذي لم يكن على جانب كبير من الغنى ولكنه خصّه بالعناية

([١]) ابن هشام ، ١، ١٦٠-١٦٦.

([٢]) ابن هشام، ج١، ١٦٦.

([٣]) ابن هشام ، ١، ١٦٨

والحُب طيلة حياته قبل بعثته ﷺ وبعدها، وكان يُعيل عدداً من الأبناء الأمر الـذي أضطر سيدنا محمد ﷺ أن يُعينه في كسب قوته حسب طاقته فكـان يرعـى لـه الأغنام، وعندما قرر عمه الخروج في رحلة إلى الشام وكان قد بلغ التاسـعة مـن عمره رجاه أن يصحبه معه فرق له أبو طالب وقال:"والله لأخرجن بـه معـي، ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً"([1]).

وتذكر رواية أخرى أنه حينما أتم الثانية عشرة من عمره سافر عمه أبو طالـب في ركب للتجارة إلى الشام واصطحبه في القافلة ولما أقبل الركب علـى بُـصرى الواقعة على طريق التجارة في الشام فقابل الراهب بُحيرى([2]) وكان منقطـع إلـى صومعته، يدرس فيها التوراة والأنجيل فلما حضروا ركز أنظاره على الصبي ودقق النظر فيه وكان يبحث ويمعن النظر في الصفات والملامح التـي ذكرتـه التـوراة والإنجيل في النبي المنتظر وكان موعد ظهوره حتى إذا فرغ القوم مـن طعـامهم وتفرقوا ثم قام إليه الراهب وطرح عليه بأن قال له يا غلام أسـألك بحـق الـلات والعُزة إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، قال عليه الصلاة والسلام: سل ما بـدا لـك فجعل بحيرى يسأله عن أشياء عن حاله في نومه وهيأته وأموره فجعل محمد عليـه الصلاة والسلام يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفاته فلما فرغ أقبـل علـى عمه أبي طالب فقال له ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني وكان أبو طالب يدعوه بابنـه لمحبته وشفقته عليه فقال له بحيرى: ما هو بابنك وما ينبغي أن يكون أبو هذا الغلام حياً فقال: بل ابن أخي مات ابوة وأمه تحمل به فأجابه بحيرى:

صدقت فارجع بابن أخيك إلى بلده وأحذر عليه يهود فوالله لـئن رأوه وعرفـوا منه ما عرفت ليبغينه شراً فأنه كائن لابن أخيك شأن عظيم، فأسرع به أبـو طالـب عائداً إلى مكة([3]).

([1]) ابن هشام، ١ ، ١٦٨.

([2]) ابن سعد، ج١، ١١٩؛ ابن هشام، ١/ ١٨٠.

([3]) ابن هشام، ١، ١٨٠-١٨٢؛ الطبري، ج٢ ، ٢٧٧-٢٧٩

ثم أخذ سيدنا محمد ﷺ يزهو بفترة شبابه وبدأ بالسعي للرزق وعمل برعـــي الغنم وقال عن نفسه:"كنت أرعى الغنم على قراريط لأهــل مكـــة"،وعمــل بـــالبيع والشراء وقد تاجر بشراء البز وبيعه وكان يشتريه من سوق حُباشه علـــى طريـــق اليمن ويبيعه في مكة.

وعُرف عنه الأمانة والصدق في المعاملة لكنه لم يكسب من عمله فـــي البيـــع والشراء مالاً ولا ثروه تساعده وتساعد عمه تمشية أموره([1]).

وفي حوالي العشرين من عمره حدثت حرب الفُجار بين قريش ومن معهم من كُنانة وبين هوزان وكان الذي أثارها عروة بن الرحال من هوزان أجار لُطيمه للنعمان بن المنذر والنعمان ملك الحيرة كان يبعث إلى سوق عكاظ كل عام لطيمة في جوار رجل شريف من أشراف العرب يُجيرها حتى تُباع هناك ويشتري له بثمنها من أدم الطائف ما يحتاج إليه.

فقام رجل من بني ضمرة بن بكر بن كنانة يقال له البراض بن قيس وقال له: أتُجيرها على كنانة؟ فأجاب عروة: نعم، وعلى الخلق كله، وكتم له البّراض ذلك، ثم غافله وقتله في الشهر الحرام ووصل الخبر إلى قريش أن البراض قتل عروة في الشهر الحرام بعكاظ فكان من الواجب حمايته وهو فيها ضد ما قد تُبيته هوزان قبيلة عروة من أخذ بثأر قتيلها وقام قتال بين قريش وهوزان في الشهر الحرام وسميت بحرب الفُجار وشهدها سيدنا محمد ﷺ ويذكرها إذ يقول: كنت أنبل على أعمامي، أي أردُ عليهم نُبل عدوهم إذا رموهم بها([2]).

بينما يذكر ابن اسحاق أن حرب الفجار حدثت ولمحمد ﷺ عشرين عاماً وكان قائد قريش وكنانة فيها حرب بن أمية بن عبد شمس، وعلى أثر هذه الحرب ثم وقع حلف الفضول في ذى القعدة في الأشهر الحرام تداعت إليه قبائل من قريش:

([1])أبن هشام، ج ١، ١٦٦

([2])أبن الأثير، ج١، ٤٦٧ .

(بنو هاشم، وبنو المطلب،وأسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة)، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جُدْعان التيمى؛ لسنِّه وشرفه، فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، وشهد هذا الحلف رسول الله ﷺ ([1]).

وقال بعد أن أكرمه الله بالرسالة: (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت)([2]).

صفات الرسول (ﷺ):

ويذكر علي عن صفاته ويقول: كان أبيض اللون، مشربًا حمرة، أدعج العينين، سبط الشعر، كث اللحية، ذا وفرة، دقيق المسربة، كأن عنقه إبريق فضة، من لبته إلى سرته شعر، ليس في بطنه، ولا صدره شعر غيره، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذامشى كأنما ينقلع من صخر، إذا التفت التفت جميعًا، كأن عرقه اللؤلؤ، ولريح عرقه أطيب من ريح المسك الأذفر، ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا الفاجر ولا اللئيم"([3]).

وقال البراء بن عازب: كان رسول الله(ﷺ) مربوعًا، بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه، رأيته في حلة حمراء، لم أر شيئًا قط أحسن منه (ﷺ)([4]).

وقالت أم معبد الخزاعية في صفته، (ﷺ): (رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثُجلة، ولم تزر به صعلة، وسيم، قسيم، في عينيه دعج،

([1])الطبري، ج٢، ٢٧٧ .

([2]) ابن هشام، ج١، ١٥٤، ١٥٥.

([3]) ابن هشام، ١/٤٠١-٤٠٢ .

([4]) صحيح البخاري، ١/٥٠١-٥٠٢ .

وفي أشفاره غطف، وفي صوته صهل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، أزج أقرن، إذا صمت علاه الوقار، وإن علاه البهاء، أجمل الناس، وأبهاهم من بعيد، وأحسنه وأحلاه من قريب، حلو المنطق، فضلٌ، لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات تظمن يتحدرن ربعة لا بائن من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، وهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به، إن قال؛ أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره محفود محشود، لا عابس، ولا مفند)([1]).

وسئلت عائشة (رضي الله عنه) عن خُلق رسول الله (ﷺ) فقالت: (كان خُلقه القرآن). يغضب لغضبه، ويرضى لرضاه.

وصح عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: (ما مسست ديباجًا ولا حريرًا ألين من كف رسول الله (ﷺ) ولا شممت رائحة قط كانت أطيب من رائحة رسول الله (ﷺ) ولقد خدمت رسول الله (ﷺ)عشر سنين، فما قال لي أف قط، ولا لشيء فعلته: لم فعلت كذا؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا وكذا؟)([2]).

زواجه من خديجة بنت خويلد:

تزوج من خديجة بنت خويلد بن أسد، ذات الشرف والمال إذ كان يشكل منعطفاً هاماً في حياته، وكانت تاجره وسيدة في قومها، تستأجر الرجال في مالها حيث أرسلت إلى محمد بن عبد الله ليخرج بتجارة لها إلى الشام، وقد قبل سيدنا محمد ﷺ هذا العرض فرحل إلى الشام عاملاً في مالها يصحبه خادمها ميسرة([3]).

أذ أنّ عمه أبا طالب لما بلغ محمد بن عبد الله الخامسة والعشرين من عمره، قال له: أنا رجل لا مال لي فقد اشتد الزمان علينا وهذه عير قومك وقد حضر

([1]) زاد المعاد ٢/٥٤.

([2])أبن هشام،ج١، ١٨٥ ؛ الطبري، ج٢، ٥٧ .

([3])مروج الذهب، ج٢، ٢٧٨

خروجها إلى الشام، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في عيرانهـا، فلـو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك، وهكذا ممـا شـجع خديجـة بعـرض تجارتها وخروج سيدنا محمد (ﷺ) وخرج في قافلة ومعه غلامها ميـسرة، وقـد رأى ميسرة من صفات وأخلاق ولما عاد قص ذلك على سيدته، فانشرح صـدرها وحببت قلبها إلى محمد بن عبد الله وقد أعجبت خديجة بعظـيم أمانتـه وصـدقه، ودهشتها لما نالها من البركة بسببه فعرضت نفسها عليه زوجة بواسطة نفيسه بنـت مُنية([1])

وتذكر بعض الروايات أنها عرضت عليه نفسها مباشرة ومن غير وسـاطة([2])، فقد قبل محمد العرض وخطبها من عمها عمر بن أسد الذي كان رجلاً مـسنناً لأن أباها مات قبل حرب الفجار([3])

وبلغ من العمر خمسة وعشرين عاماً ولها من العمر أربعون عاماً، لأنها علـى ما تذكر المصادر ولدت قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة، أصدقها محمد عـشرين بكرة وكانت أول امرأة يتزوجها قبل البعثة .

وقد ولدت لمحمد سبعة أولاد على التوالي: القاسم الذي ولد بمكة قبل الإسـلام وبه كان يُكنى، ثم ولدت له زينب، ثم رقيه، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم ولد له فـي الإسلام منها عبد الله فسمي الطيب ثم الطاهر([4])، ومات جميعهم وهم صغار السن، ويذكر أحد رواة ابن سعد أنهم كانوا يولدون بفارق سنة، وبقيت من البنـات بعـده فاطمة الزهراء التي توفيت بستة أشهر من وفاته عليه الصلاة والسلام([5]).

لقد كان زواجه من خديجة خيراً له ولها فقد أمن الزواج مـن خديجـة لمحمـد موضعاً مناسباً في مكة، وساعدته ثروتها على العيش بيـسر، واسـتمر بـالخروج بتجارة خديجة إلى بلاد الشام، ثم عهد إلى شخص استأجره لهذه المهمة، فـي هـذه

([1]) ابن سعد، ج١، ١٢٩-١٣١.

([2]) ابن هشام، ج١ ، ١٨٩ .

([3]) ابن سعد، ج١، ص ١٣٢.

([4]) نفس المصدر السابق ، ١٣٣ .

([5]) ابن هشام، ١/ ١٨٩-١٩١.

الفترة نظرت إليه قريش نظرة فيها التقدير والأمل بمستقبل لامع له ولأسرته الجديدة.

وخطب إبنتيه رقية وأم كلثوم الى ابني لهب وتطلقا وتزوجهم عثمان بن عفان ، إذ تزوج من ابنته زينب وهو ابن أخي خالتها أبو العاص بين الربيع وفاطمة الزهراء الذي تزوج منها علي بن أبي طالب وأبنائها (الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم)، وخطب ابنتيه رقية وأم كلثوم إلى أبني أبي لهب وكانت سنوات زواجه من خديجة وبعثته سنوات استعداد وتهيأ للمهمة الكبيرة التي ستلقى على عاتقه، فكانت نعم المرأة العربية الفاضلة والزوجة الأمينة والأم الرؤوم.

مشاركته في بناء الكعبة:

ولما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره اجتمعت قريش لبناء الكعبة، وتذكر المصادر التاريخية أن الكعبة بُنيت خمس مرات، الاولى حين بناها شيث بن آدم، والثانية حين بناها إبراهيم، والثالثة حين بنتها قريش وهذه المره أي قبل قيام الإسلام بخمس سنين، والرابعة حيث احترقت في عهد ابن الزبير، وعمل على ترميمها، والخامسة في عهد عبد الملك بعد أبن الزبير حين هدم ما بناه ابن الزبير وإعاد عمارته على ما كانت عليه في عهد الرسول (ﷺ) ويقال أن الذي حمل قريشاً على بنيانها أن سيلاً أتى من فوق الردم الذي بأعلى مكه فخافوا أن يجرف السيل ويخربها وكان يقال أن الكعبة كانت رضماً. "الرضم أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط" فوق القامه فأرادوا أن يجعلوها أعلى من ذلك وأن يجعلوا لها سقفاً وأستعملوا في بنائها خشب سفينة كانت لتاجر رومي رماها في البحر عند جده فتحطمت وأخذوا خشبها وقد ساعدهم في بنائها رجل قبطي نجار(1).

(1) ابن هشام، ١/ ١٩٣

وجمعت قبائل قريش حجارة لبنائها، وبنوها حتى بلغوا موضع الحجر الأسود، فاختلفوا فيمن يكون له شرف وضعه في مكانه، وكادت الحرب تقع بينهم واتفقوا على تحكيم أول الداخلين عليهم، فكان أول الداخلين محمداً بن عبد الله فقصوا عليه أمرهم، فطلب ثوباً ووضع فيه الحجر الأسود، ودعا كل قبيلة أن تأخذ بناحية منه ولما بلغ الحجر موضعه أخذه بيده ووضعه مكانه وأوقف بحكمته نزاعاً قد تُسفك فيه الدماء ([1]).

وكانت الكعبة في عهد الرسول (ﷺ) تصل ثماني عشر ذراعاً وتكسى القباطي (وهو ثياب أبيض صنع بمصر) ثم كسيت البُرد (البرود ضرب من ثياب اليمن) ويذكر أن أبن الزبير كان أول من كساها الديباج ومن بعده الحجاج.

وكان خالد بن جعفر ابن كلاب ممن كساها الديباج قبل الإسلام([2])، ولما بلغ سنة الأربعين من عمره عليه الصلاة والسلام نشأ لديه حُب العُزلة بين الفترة والأخرى وحبب الله إليه الخلوة في غار حراء، وهذا الموقع حراء مرتفع جبلي يقع في جانب الشمال الغربي من مكة فكان يخلو فيه ويتعبد فيه الليالي ذوات العدد فتارة عشره وتارة أكثر من ذلك إلى شهر ثم يعود إلى بيته فلا يكاد يمكث فيه قليلاً حتى يتزود من جديد بخلوة أخرى ويعود الكر إلى غار حراء إلى أن جاءه البشير في خلواته.

الوحي وبدء الدعوة

تذكر رواية الزهري عن بدء نزول الوحي على محمد بن عبد الله (ﷺ) حيث بلغ الاربعين من عمره ويخالف هذا القول على حد زعم الطبري، وابن عباس وسعيد بن المُسيب اللذان يزعمان أن نزول الوحي لأول مرة كان في الثالثة والأربعين من عمره، ورغم أن القرآن الكريم لا يشير إلى السن الذي تنزل فيه([3])

([1]) نفس المصدر السابق، ١٩٢؛ الطبري، ج٢، ٢٩٢-٢٩٩.

([2]) الروض الأنف، ج١، ص ١٣٢

([3]) الطبري، ج٢، ٢٩٢ .

الوحي على الرسول(ﷺ) إذ ورد في كتابه العزيز بقوله تعالى:قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ([1])

وكلمة (عمراً) غير محددة ولا تدل على الفترة التي قضاها بينهم قبل أن ينزل عليه القرآن الكريم.

وأن سن الأربعين هو سن النضج والكمال ويجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن الوحي نزل على سيدنا محمد وهو في الأربعين من عمره، كما ورد ذكره في القرآن الكريم بقوله تعالى: حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ ([2]).

وتتفق معظم الروايات أن محمداً ﷺ كان قبل أن يوحي إليه يتحنث (يتعبد) في غراء حراء. ويتحدث ابن شهاب الزهري في رواية كاملة ينقلها عن السيدة عائشة رضي الله عنها عن بدء نزول الوحي وسلوك الرسول (ﷺ) أزائه فيقول: "أنها قالت: كان أول ما ابتدىء به رسول الله (ﷺ) من الوحي الرؤيا الصادقة، كانت تجيء مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء يتحنث فيها الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق فأتاه، فقال: يا محمد، أنت رسول الله! قال رسول الله (ﷺ): فجثوت لركبتي وأنا قائم، ثم زحفت ترجف بوادري ثم دخلت على خديجة: فقلت: زملوني، زملوني! حتى ذهب عني الروع، ثم أتاني فقال: يا محمد، أنت رسول الله قال: فلقد هممت أن أطرح نفسي من حالق من جبل، فتبدى لي حين هممت بذلك، فقال له: يا محمد، أنا جبريل، وأنت رسول الله، ثم قال: أقرأ: قلت: ما اقرأ؟ قال: فأخذني فغتني ثلاث مرات حتى بلغ مني الجهد، ثم قال: أقرأ باسم ربك الذي خلق، فقرأت فأتيت خديجة

([1]) سورة يونس، الآية ١٦.

([2]) سورة الاحقاف، الآية ١٥

فقلت "زملوني زملوني" وقد أشفقت على نفسي، فأخبرتها خبـري، فقالـت: أبـشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، والله أنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتؤدي الأمانـة، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق، ثم أنطلقت بي إلى ورقة بن نوفل بن أسد، قالت: أسمع من أبن أخيك، فسألني فأخبرتـه خبـري، فقـال: هـذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران، ليتني فيها جذع، ليتني أكون حياً حـين يخرجك قومك. قلت: أمخرجي هم؟ قال: نعم، أنه لم يجيء رجل قط بما جئت بـه ألا عودي، ولئن أدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم كان أول ما نزل علي من القرآن بعد أقرأ، ن، والقلم وما يسطرون، ويا أيها المدثر، والضحى ([1]).

ويتابع الزهري رواية عائشة هذه فيذكر ما جرى لمحمد بن عبد الله بعد ذلك، فيقول:"فتر الوحي عن الرسول (ﷺ) فترة فحزن حزناً شديداً فجعل يغدو إلى رؤوس الجبال ليتردى منها، فكلما أوفى بذروة جبل تبدي له جبريل فيقوله: أنك نبي الله، فيسكن لذلك جأشه، وترجع إليه نفسه، فكان النبي (ﷺ) يتحدث عن ذلك، قال: فبينما أنا أمشي يوماً، إذا رأيت الملك الذي كان يأتيني بحراء على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه رعباً، فرجعت إلى خديجة، فقلت: زملوني، فزملناه أي دثرناه، فأنزل الله عز وجل: يا أيها المدثر فيذكر الزهري في ذلك أن أول شيء من القرآن أنزل عليه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ (سورة العلق الأية، ١).

وكان موقف زوجته خديجة منه من أشرف المواقف التـي تُحمـد فـي نـساء العالمين حيث طمأنته حين قلق، وأراحته حين جهد، وذكرته بما فيه فضائل مؤكـدة له، أن الأبرار أمثاله لا يخذلون أبداً وأن الله إذ طبع على المكارم الجزلة، والمناقب السميحة، ويقال أن مضي وقت فتر فيه الوحي قبل ثلاث سنوات([2]). وقيل أقل مـن ذلك وحسب رواية البيهقي أن مدة فتور الوحي كانت ستة أشهر.

([1]) الطبري، ج٢، ٢٩٨-٢٩٩.

([2]) ابن هشام، ١/ ٢٣٦-٢٣٩؛ الطبري ج٢، ٢٩٨-٣٠٦؛ أبن الأثير، ج٢، ٣١.

وهنا لا بد من الرد على المشككين بمعالجة موضوع الوحي في حياته في حقيقية الخلط بينه وبين الإلهام وحديث النفس وعلمهم بأن موضوع الوحي هو منبع يقين المسلمين وإيمانهم بما جاء به محمداً (ﷺ) من عند الله وأن أرادوا التشكيك بما جاء به سيدنا محمد من عقائد وأحكام ليس من تفكيره الذاتي بل هي إرادة الله في ردهم عن تشكيكهم بوجود إله واحد دعت إليه الديانات والرسالات عبر التاريخ وظهر كثير ممن أرادوا محاربة هؤلاء الرسل والأنبياء باشراكية العبودية مع الله ما بين الخلق والخالق ولكن بظهور هذه الرسالة خاتمة الرسالات قد ردت هؤلاء الذين شككوا برسالة سيدنا محمد ﷺ لذا فأن ظاهرة نزول الوحي أنما هي حقيقية واقعية لا علاقة لها بأهواء النفس، وظهر ذلك ايضاً في خوفه ورعبة عندما كان يتعبد في الغار، ويؤكد ذلك علماء النفس بأن ظاهرة الخوف والرعب ورجفان الجسم وتغيير اللون لا يمكن أصطناعها. وأن الأمر حقيقياً وظاهر ذلك كلام الله في كتابه العزيز وهو القرآن الكريم الذي أورد فيه قصص الأنبياء والخلق والموت وخلق السموات والأرض.

أما أستمرارية نزول الوحي بعد ذلك فلها دلالة واضحة للتمييز ما بين القرآن والحديث وذلك لأن القرآن موحى به إليه بنفس اللفظ والحروف، أما الحديث فمعناه وحي من الله ولكن لفظة وتركيبه من الرسول عليه الصلاة والسلام فكان يحاذر من اختلاط كلام الله بكلامه وكان لا يرد على بعض الأمور حتى يأتيه الشاهد من الله في القرآن.

وخير شاهد على صدق الرسالة القصص التي تحدث بها القرآن الكريم وخاصة قصة يوسف عليه السلام، وقصة سبأ، وقصة ذي النون، وهي عبارة عن حقائق تاريخية لا يعلمها الرسول وهو أمُي إذاً فمن أين تعلمها؟ وهؤلاء أهل قريش هم الذين أشاروا عليه وشهدوا له بالأمانة والصدق وصاحب الجاه، يذكر ابن سعد في روايته أن الوحي كما يصفه الرسول (ﷺ) عند نزوله عليه: "كان الوحي يأتيني على نحوين: يأتيني به جبريل فيلقيه عليّ كما يلقى الرجل على الرجل فذلك يلتفت

مني، ويأتيني في شيء مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي، فذاك الذي لا يتلفت مني".

وفي حديث عن مالك بن أنس عن عائشة أن الحارث بن هشام قال للرسول (ﷺ): "يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال الرسول ﷺ: أحياناً يأتيني في مثل صللة الجرس وهو أشده علي، فيفصم عني، وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك فيكلمني فأعي ما يقول.

قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد ويفصم عنه، وأن جبينه ليتفصد عرقاً" ويذكر أنّ الوحي عندما كان ينزل على الرسول كان يتلقاه ويحرك شفتيه كي لا ينساه، فأنزل الله عليه: لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ([1])

مراحل الدعوة الإسلامية

بدأ الرسول (ﷺ) يستجيب لأمر الله وذلك بعد نزول الوحي عليه وتبشيره بأنه هو الهادي البشير "إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً"([2]) ثم بدأ يدعو إلى عبادة الله وترك عبادة الأوثان والأصنام وكانت هذه الدعوة في بداية الأمر سراً واقتصرت دعوته في بدايتها على ما كان يشده صلة القرابى وبعد أن جاءه الأمر من الله (يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ([3]).

أما خديجة بنت خويلد فكانت أول من أسلم وآمن برسالة سيدنا محمد ﷺ بعد أن تنزل عليه الوحي فلقد كان لإيمانها أثر عميق في معنوية الرسول الكريم (ﷺ)

([1]) سورة القيامة، الآية ١٦-١٩.

([2]) سورة البقرة، الآية، ١١٩.

([3]) سورة المدثر، رقم الآية (١-٧)

وهو يجابه بالتوحيد شرك العرب جميعاً، وهي بذلك أول المسلمين عامة، وأول من اسلم من النساء، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول من آمن من الذكور وتختلف الروايات التاريخية حول من آمن من الذكور ففي تاريخ الطبري تتأرجح فيه الأخبار بين ثلاثة أسماء: علي بن أبي طالب، أبو بكر الصديق، وزيد بن حارثة([1]).

وتتفق الروايات التاريخية على أن علي بن أبي طالب لم يتجاوز من العمر بين التاسعة والعاشره من عمره حيث اصطحبه الرسول في بيته ليعيله في داره تخفيفاً عن أبي طالب الذي لم يكن يملك ما يكفيه وأبنائه جميعاً، ثم يؤمن من بعده زيد بن حارثة وكان الآخر يقطن مع الرسول ﷺ في بيته وقد أختارته خديجة من بين عدد من الغُلمان الذين استقدمهم أحد التجار من الشام فتبناه الرسول قبل بعثته ؛ وأتفق في رأيي مع كثير من المحدثين الذين أيدوا أن أول من آمن واسلم بدعوة سيدنا محمد (ﷺ) المقربين من أهل بيته لأن أول ومضة لدعوة الرسول (ﷺ) قد أنطلقت من بيته فكانت خديجة زوجته وهي التي عرضت عليه الزواج، وعلي ابن عمه كان صغيراً واصطحبه من بيت عمه أبو طالب، ليعيله في بيت خديجة، وزيد بن حارثة كان خادمه، ولا يخرج عن طاعته ثم آمن به أبو بكر الصديق عتيق بن أبي قحافة، لأنه كان جليس سيدنا محمد (ﷺ) وكان له شأن كبير في حياة الرسول (ﷺ) ومركز كبير في الدولة الإسلامية فهو الذي تولى الخلافة بعد وفاة الرسول(ﷺ).

ثم آمن به عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، ثم تبعهم كما حددها ابن اسحاق أبو عبيدة عامر بن الجراح، وأبي سلمى بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الارقم، وعبيدة بن

([1]) الطبري، ج٢، ٣١٢ .

الحارث، وسعيد بن زيد بن عمرو، وامرأته فاطمة أخت عمر بن الخطاب، وأسماء، وعائشة أبنتا أبي بكر، وخباب بن الأرث وعمير بن أبي وقاص([1]).

ثم تتالت الأسماء التي تثير الاهتمام وخاصة لوضعها المالي والاجتماعي كخالد بن سعيد بن العاص، الذي كان أبوه من مشاهير مكة ونعيم بن عبد الله بن أُسيد النحام، الذي كان سيد بني عدي.

وتكتمل الرواية المنقولة عن الزهري التي ذكرها ابن سعد عن المسلمين الأولين وبداية معارضة قريش لدعوة الرسول (ﷺ) يقول فيها:" دعا رسول الله ﷺ، إلى الإسلام جهراً، فاستجاب لله من شاء من أحداث الرجال وضعفاء الناس حتى كثر من آمن به، وكفار قريش غير منكرين لما يقول، فكان إذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون إليه أن غلام بني عبد المطلب ليُكلم من السماء فكان ذلك حتى عاب الله آلهتهم التي يعبدونها دونه، وذكر هلال آبائهم الذين ماتوا على الكفر فشنفوا لرسول الله ﷺ عند ذلك وعادوه"([2]). ثم طلب الرسول (ﷺ) من اتباعه التزام الحيطة والحذر والتخفي وعدم إعلان إسلامهم حتى لا يعلم بهم أهل قريش الاّ أنّ بعض الصحابة من الذين آمنوا بدعوة محمد عليه السلام قد تعرضوا لأذى قريش وتخفوا في بداية الأمر في بيت الأرقم بن أبي الأرقم وكان خلالها يواصل نشر دعوته فكبار السن لم يستجيبوا لدعوتهم استكباراً وأنفة وكان للسن عند العرب منزلة ومن العار على المسن تغيير عبادته وما ورثه من آبائه وأجداده من عباده([3]).

لقد اتخذت الدعوة في بداية نشرها نوعاً من الأسلوب الإعلامي الخفي لنشر مبادئ الإسلام بين الصحابة وتوثيق المودة وقربهم من بعضهم، ولم تحدث

([1]) ابن هشام، ١/ ٢٥٢

([2]) ابن سعد، ج١، ١٩٩

([3]) جواد علي، تاريخ العرب في الإسلام، السيرة النبوية، ج١، ١٥٧؛ عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ٦٢.

المواجهة العقائدية في مكة المكرمة في بداية الأمر بين الـدين الإسـلامي الجديـد والوثنية التي عبدها أهل قريش.

وكان خوف أهل قريش من دعوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أن يـأتيهم بمفاهيم دينية تؤدي إلى انقلاب على المفاهيم السياسية والاقتـصادية والاجتماعيـة والدينية السائدة عندهم إلاّ أن الدين الإسلامي جاء ليساوي بين السيّد والعبد والغنـي والفقير ويُكرم المرأة ويحمي الأنثى من الوأد ويوقر الكبير ويعطف على الـصغير وينبذ كل الخلافات العصبية التي توارثها أهل قريش عن آبائهم واجـدادهم ويُحـرم الإيذاء وخوفهم على الكعبة التي كانت رمزاً لتجارة العرب لا خطراً على سـيادتها ثم هيبتها الدينية.

لم يحدث الصراع بين محمد ﷺ وأصحابه الذين آمنوا به سراً وقريش ولـم يسب آلهتهم بل هم الذين آذوا محمد وصحبة وذلك باتباع أقصى أنـواع التعـذيب والسخرية والاستهزاء منهم فكانوا هؤلاء أحداث الرجال وضعفاء الناس كمـا ورد في رواية الزهري، ألا أنهم الذين أشاروا عليهم أهل قريش بأنهم من أحداث الرجال كانوا ينتسبون إلى أشهر وأقوى أسر قريش وبطونها فكان المسلمين الأولـين هـم الشباب وهم من اسر ملكية قوية ومتنفذة في شبه الجزيرة العربية أمثال خالـد بـن سعيد بن العاص أما الفئة الثانية ضمت رجالاً أغلبهم من الشباب منهم عبيـدة بـن الحارث وكان في الستين من عمره حين هاجر إلى المدينة وهو مـن ذوي النفـوذ والمكانة.

وضمت الفئة الثالثة رجالاً لهم صلات قرابة عريقة بقبائل مكـة وبطونهـا ومن هؤلاء صهيب بن سنان، وعمار بن ياسر اللذان كانا من أحلاف تـيم وعبـد شمس.

الدعوة العلنية (الجهريه) وبدء المعارضة للرسول (ﷺ):

بعد إن كانت الدعوة سراً ودخل أناس كثير في الاسلام وبعد إن مضى على سرية الدعوة الإسلامية ثلاث سنين، جاءه أمر من الله عز وجل نبيه إن يصدع بما

جاءه منه، وان يدعو الناس بدعوة الإسلام وكلفه بمعالنه قومه، وأرسل اليه جبريل عليه السلام في الآية الكريمة والتي أمرته بعلانية الدعوة بقوله تعالى: (فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾)[1] وقوله تعالى: (وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾)[2].

أما القلة التي آمنت برسالة سيدنا محمد ﷺ تمارس شعائرها الدينية سراً بعيداً عن أعين أهل قريش، وكانوا يقيمون صلواتهم في شعب لا يراها أحد، وفي إحدى المرات مر بهم مجموعة أو جماعة من القرشيين، فاستخفوا بهم، وعابوا عليهم ما يصنعون، إلا إن الجماعة المؤمنة ردوا عليهم وتطور النقاش بين الفريقين، وتذكر المصادر إن سعد بن أبي وقاص قد هاجم ذم القرشيين للدين الجديد فضرب رجلاً من المشركين بعظم بعير فشجه، ويعتبر أول دم أهدر في سبيل الإسلام[3].

ثم خرج الرسول ﷺ حتى صعد الصفا ونادى بالناس: يا صحباه فتسألوا عن الذي يهتف، فقيل لهم أنه محمد، واجتمع حوله أهل مكه ورجالاتها من مختلف الأحياء والبطون، ولما اكتمل جمعهم قال لهم: " أرأيتم لو أخبرتكم إن خيلاً بالوادي تريد إن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذباً. قال: فاني نذير لكم من عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك، فلهذا جمعتنا، فانزل الله تعالى في أبي لهب وزوجته قوله تعالى: (تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ

---

(1) سورة الحجر/ آية رقم ٩٤/٩٥

(2) سورة الشعراء/ آية رقم ٢١٤-٢١٦.

(3) ابن هشام ، ١/ ٢٦٣.

وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾)[1].

ثم بدأت قريش تُعلن عداوتها للرسول ﷺ لما أظهر من كلامه في تطهير النفس، وإصلاح الأخلاق، وجهره بالدعوة إلى وحدانية الله، ودعوته إلى تلك الوحدانية، وغضبه على الأوثان كل ذلك جعل أهل قريش يخافون على عبادتهم التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، قال تعالى: (بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾)[2] وإيقانهم إن ظهور دين جديد قد يعمل على القضاء على عبادتهم، وضياع ما كان يتمتع به سدنة الكعبة المقدسة من ثروة، فأعلنت قريش منعه من نشر دعوته واتبعوا أهل قريش بعض الأساليب التنكيلية بأصحابه الذين آمنوا به سراً فكانوا يضربونهم ويمنعوا عنهم الماء حتى لا يقدر على الجلوس أو الوقوف من شدة الضرب وذلك ليرتد عن دينه، ثم اتخذوا طرقاً وأساليب عديدة لمقاومة الرسول، ودعوته لهم، وانه من أساطير الأولين: (إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾)[3]

واتهامهم له بأن الذي يلقنه قوم آخرون من الأعاجم: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾)[4] وقوله تعالى: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى

---

[1] سورة المسد / الآية / رقم ١-٥.

[2] سورة الزخرف / الآية ٢٢.

[3] سورة الأنعام / الآية ٢٥ .

[4] سورة الفرقان / ٤-٥.

يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣)[1]، كما سخروا من الرسول واستهزؤا لدعوته[2] واتهموه بأنه ساحر[3]ومجنون[4] وكذاب[5] ومفتر[6] كما نسبوا إليه صفة السحر والكهانه [7].

ولم يصدقوا إن بشراً مثلهم يمكن إن يكون نبياً، وطالبوه بان يعطيهم آياته ويريهم معجزاته، ويثبت لهم نبوته: (وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٤)[8] (وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٨)[9]

---

(1) سورة النحل / ١٠٣

(2) سورة الصافات/ آية ١٢١-١٤

(3) سورة الأنعام / آية ٧

(4) الصافات / ٣٦.

(5) سورة فاطر، آية ٢٥.

(6) سورة يونس / آية ٣٨.

(7) سورة الأنبياء / ٥

(8) سورة الإسراء /الآية ٩٠-٩٤.

(9) سورة الفرقان / الآية ٧-٨

وطلبوا منه أن يأتيهم بقرآن غير هذا الذي أوحي إليه ويقدم لهم القــرآن دفعــة واحدة إلا أنهم كانوا يستهزؤن ويسخرون من الرسول ﷺ.

وقد روى في ذلك إبن إسحاق بان أشد القرشيين إستهزاءً وســخرية بالرســول والمسلمين، كانوا الأسود بن المطلب، وأبو جهل عمر بــن هــشام، والوليــد بــن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث، ونبيه ومنبه ابنا الحجــاج بــن عامر[1].

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر فئة من معارضيه، عرفوا بالمقتسمين فيقول تعالى مخاطباً رسوله الكريم: وَقُلْ إِنِّي أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾[2]

وتتحدث كتب التفسير عن المقتسمين وهم الذين اقتسموا طــرق مكــة، فكــانوا يقفون فيها يصدون الناس عن الأسلام، وقال بعضهم في القرآن سحر وقال آخرون فيه كهانة وقال بعضهم أنه من عمل شاعر[3] ويذكر ابن حبيب بأنهم ســبعة عــشر رجلاً من قريش، اقتسموا أعقاب مكة، فكانوا إذا حضروا الموسم يــصدون النــاس عن رسول الله ﷺ، وذكرهم هشام بن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عــن ابــن عباس، من بني عبد شمس ثلاث نفر: حنظلة بن أبي سفيان، وعتبــة وشــيبه ابنــا ربيعة بن عبد شمس، ومن بني مخزوم سبعة نفرهم: أبو جهل، والعاص، وأبو قيس بن الوليد، وقيس بن لفاكه، وزهير بن أبي أميه، والأسود بن عبد الأسد، وصــيفي بن السائب، ومن بني عبد الدار: النضر بن الحارث بن كلده، ومن بني أسد بن عبد العزة أبو البختري بن هاشم، وزمعة بن الأسود، ومن بني سهم منبــه ونبيــه ابنــا

---

(1) ابن هشام/ ١/ ٢٦٤-٢٦٥.

(2) سورة الحجر/ آية ٨٩-٩٣.

(3) تفسير الجلالين / ص ٣٥٠.

الحجاج، ومن بني جمح أمية بن خلف وأوس بن معير[١]. ومن الأساليب التنكيل التي اتبعها كفار قريش لنفر من اللذين آمنوا بالرسول ﷺ، فكانوا يخرجون عمار بن ياسر وأباه وأمه إلى الابطح " وهي ارض مستوية بين مكة ومنى " إذا حميت الرمضاء ويعذبونهم بحرها وإذا مرا بهم الرسول ﷺ يقول:" صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة".

ولما مات ياسر من العذاب أغلظت امرأته سميه القول لابي جهل، فطعنها فماتت فكانت أول شهيدة في الإسلام، ثم أشتد المشركين على تعذيب عمار بن ياسر بالحر تارة، وبوضع الصخر على صدره تارة أخرى، وهذا بلال مؤذن الرسول ﷺ الذي وصفه الرسول بأنه أول ثمار الحبشة فقاسى أشد ألوان العذاب فكان خلف الجمحي يلقيه في الرمضاء على وجهه وظهره وقت الظهيرة. فيضع الصخرة على صدره ويأمره بأن يكفر بما جاء به محمد ويعبد اللآت والعزه وبقي هكذا (حتى اشتراه أبو بكر واعتقه).

وفد قريش إلى عمه أبي طالب:

وهمت قريش بمسير إلى عمه أبي طالب ليرده عن نشر الدين الذي جاء به ويورد ذلك ابن إسحاق: مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسَفَّه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلى بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولًا رقيقًا وردهم ردًا جميلًا، فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه، يظهر دين الله ويدعو إليه[٢]. ثم أخذوا يهددون عم أبي طالب يرده عن دينه الجديد وذلك بإتهامه بشتم آبائهم وسب إلهتهم وأن محمداً جاءهم بدين لا يتفق ودين آبائهم وأجدادهم.

---

[١] المحبر ، ١٦٠-١٦١.

[٢] أبن هشام،ج١، ٢٦٥ ؛ الطبري، ج٢ ، ٢٢٦

فبعث إلى رسول الله ﷺ وقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاءونى فقالوا لي كذا وكذا، فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق، فخاف الرسول ﷺ أن عمه قد عاد عن حمايته، وأنه ضعُف عن نصرته، فقال: (يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يمينى والقمر في يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته)، ثم جلس وبكى، وخرج من عند عمه وناداه أبو طالب، فلما أقبل قال له: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فو الله لا أُسلِمُك لشيء أبدًا[١].

وبلغ قريش أن أبي طالب قد خذلهم وأسند ابن أخيه في دعوته جاؤوا إليه بعمارة ابن الوليد بن المغيرة وقالوا له: يا أبا طالب، إن هذا الفتى أنْهَدَ فتى في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره، واتخذه ولدًا فهو لك، وأسْلِمْ إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل، فقال: والله لبئس ما تسومونني، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟ فرفض ذلك. فقال المطعم بن عدى بن نوفل ابن عبد مناف: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئًا، فقال: والله ما أنصفتموني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ، فاصنع ما بدا لك[٢].

إلا أن قريشاً لم تتوفق في التخلي عن حماية ابن أخيه فحاولت الابتعاد عنه[٣]. وعمدت قريش على معاداة الرسول ﷺ والاستهزاء برعونة وتشوه منها وبرز أبي لهب باعتباره المناهض لدعوة سيدنا محمد ﷺ وأبرز موقفه المعادي للرسول ودعوته.

---

(١) نفس المصدر السابق، ٢٦٦

(٢) أبن هشام، ج١ ، ٢٦٧

(٣) الطبري، ج٢ ، ٢٢٦ .

إذ أنه قد زوج ولديه عتبة وعتيبة ببنتى رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم قبل نزول الدعوة، فلما بدء الرسول ﷺ بدعوته، أمرهما بتطليقهما بعنف وشدة حتى طلقاهما. ويفرح لموت عبد الله الابن الثاني لرسول الله ﷺ وذهب إلى المشركين يبشرهم بأن محمدًا صار أبتر[1] ويلاحقه في موسم الحج والأسواق ليكذبه. وشاركته زوجته أروى بنت حرن بن أمية أم جميل يرمي الأشواك والنفايات على باب بيته.

وكانت امرأة سليطة تبسط فيه لسانها، وتطيل عليه الافتراء والدس، وتؤجج نار الفتنة، وتثير حرباً شعواء على النبي ﷺ؛ ولذلك وصفها القرآن بحمالة الحطب[2].

واردث حزب الرسول وهو في الكعبة بعد أن علمت بما نزل من القرآن بزوجها فجأته وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق وفي يدها فِهْرٌ [أي بمقدار ملء الكف] من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ، فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ قد بلغنى أنه يهجونى، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه. ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله، أما تراها رأتك؟ فقال: (ما رأتنى، لقد أخذ الله ببصرها عني). وروى أبو بكر البزار هذه القصة، وفيها: أنها لما وقفت على أبي بكر قالت: أبا بكر، هجانا صاحبك، فقال أبو بكر: لا ورب هذه البنية، ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به، فقالت: إنك لمُصدَّق[3].

قال ابن إسحاق: كان النفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته أبا لهب، والحكم بن أبي العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط، وعدى بن حمراء الثقفي، وابن الأصداء الهذلى وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص، فكان أحدهم يطرح عليه ﷺ رحم الشاة وهو يصلى، وكان أحدهم يطرحها في

---

(1) ابن هشام، ١ ،٢٢٧ .

(2) أبن هشام، ج١، ٢٢٨-٢٣٩

(3) المصنف، ج١، ١١ .

برمته إذا نصبت له، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حجراً ليستتر به منهم إذا صلى فكان رسول الله ﷺ إذا طرحوا عليه ذلك الأذى يخرج به على العود، فيقف به على بابه، ثم يقول: (يا بني عبد مناف، أي جوار هذا؟) ثم يلقيه في الطريق[1].

ويشتد عقبة بن أبي مُعَيْط في خبثة وعدواته للرسول، فقد روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يصلى عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس؛ إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسَلاَ جَزُور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم [وهو عقبة بن أبي معيط] فجاء به فنظر، حتى إذا سجد النبي وضع على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر، لا أغنى شيئًا، لو كانت لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون، ويحيل بعضهم على بعضهم [أي يتمايل بعضهم على بعض مرحًا وبطرًا] ورسول الله ﷺ ساجد، لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة، فطرحته عن ظهره، فرفع رأسه، ثم قال: [اللهمّ عليك بقريش] ثلاث مرات، فشق ذلك عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى: (الله عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط) فوالذي نفسى بيده لقد رأيت الذين عدّ رسول الله ﷺ صرعى في القَلِيب، قليب بدر[2].

وهذا أمية بن خلف الذي كان يستخف من الرسول الله ﷺ همزه ولمزه. وفيه نزل: {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ} [سورة الهمزة:١] قال ابن هشام: الهمزة: الذي يشتم الرجل علانية، ويكسر عينيه، ويغمز به. واللمزة: الذي يعيب الناس سرًا، ويؤذيهم[3]. وهذا الأخنس بن شَرِيق الثقفي الذي عادى الرسول ﷺ ونزل فيه آيات من القرآن بتسع صفات تدل على ما كان عليه، وهي في قوله تعالى: وَلَا

---

(١) ابن هشام، ج١، ٤١٦.

(٢) الطبري، ج٢ /٢٢٩ ؛ صحيح البخاري، ٣٧/١، ج(٥٢٠/٢٤٠)

(٣) ابن هشام، ج١، ٣٥٦-٣٥٧.

تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ١٣ [القلم:١٠: ١٣].

وهذا رأس المشركين أبو جهل يستهزء بسماعه لآيات القرآن ويلتفظ بالكلام الردئ على الرسول وفيه ينزل قوله تعالى: (فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ٣١) [القيامة:٣١]، ويمنع الرسول بالصلاة في الحرم فمر به وهو في المقام فقال: يا محمد، بأي شىء تهددنى؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادى ناديًا. فأنزل الله : فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨ [العلق:١٧، ١٨]. ويستطرد ذكر كلام الله بقوله تعالى: أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ٣٥ [القيامة:٣٤، ٣٥] فيرد عليه أبو جهل: أتوعدنى يا محمد؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئًا، وإني لأعز من مشى بين جبليها[١]. إلا أن أبو جهل يزداد في مس الرسول الكريم ويذكر مسلم إذا خرج حديث عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى، لئن رأيته لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى، زعم ليطأ رقبته، فما فجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقى بيديه، فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: إن بينى وبينه لخندقًا من نار وهولًا وأجنحةً، فقال رسول الله ﷺ: (لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا)[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير، ٤، ٤٧٧.

(٢) صحيح مسلم (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٢١٥٤/٤)، ج(٣٨).

أذى قريش للرسول (ﷺ):

تعرض الرسول ﷺ وأصحابه الذين أمنوا به سراً، لمختلف أنواع الأذى والسخرية والعذاب على يد أهل قريش، وهموا بقتله عدة مرات ورموا عليه الأقذار من النفايات، حتى إن عقبة بن أبي معيط حاول خنقه حين وجده واقفاً عند الكعبة، لولا إن صادف وجود أبي بكر بقربه[١].

ولم يقتصر ذلك على الرسول ﷺ بل تعداه حتى تعرض المستضعفون من الذين أمنوا به إلى أذاهم، فقد تعرض الرسول ﷺ في إحدى المرات إلى إهانة شديدةً وشتماً رديئاً من أبي جهل، وهو جالس عند الصفا، وسمعت هذه الإهانات مولاة عبد الله بن جذعان، وعند مرور حمزة قرب منزلها فحدثته بما فعل أبو جهل بالرسول ﷺ فاستشاط غضباً، فذهب الى أبي جهل وحوله رجالات قريش، وضربه بالقوس ضربة شجب رأسه، وأعلن إسلامه ولن يسكت على إهانة توجه لابن أخيه، أو غيره من المسلمين في السنة السادسة من بدء الدعوة.

ويلحق بحمزه عمر بن الخطاب، الذي أسلم في ذى الحجـــة من السنة السادسة من بدء الدعوة بعد ثلاثة أيام من إسلام حمزة رضي الله عنه ودعا النبي ﷺ له بالإسلام، أخرج الترمذى عن ابن عمر، وصححه، وأخرج الطبراني عن ابن مسعود وأنس أن النبي ﷺ قال: (اللهم أعزّ الإسلام بأحب الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام) فكان أحبهما إلى الله عمر رضي الله عنه.[٢].

كان رضي الله عنه معروفاً بحدة الطبع وقوة الشكيمة، وطالما لقى المسلمون منه ألوان الأذى، وبداخله تظهر التناقضات وذلك باحترامه للتقاليد التي سنها الآباء والأجداد وتحمسه لها، ثم إعجابه بصلابة المسلمين، ومدى تحملهم أسوأ أنواع العذاب، ثم الشكوك التي كانت تساوره كأي عاقل في أن ما يدعو إليه الإسلام قد يكون أجل وأزكى من غيره، ولهذا ما إن يَثُور حتى يَخُور[٣].

---

(١) ابن هشام ١/ ٢٦٤-٢٦٦؛ الطبري / ج٢/ ٣٣٣.

(٢) مناقب عمر، ٥/٥٧٦، ج(٣٦٨١)

(٣) المباركفوري، ١٠٤.

وتتفق الروايات في إسلام عمر: أنه التجأ ليلة إلى المبيت خارج بيته، فجاء إلى الحرم، ودخل في ستر الكعبة، والنبي ﷺ قائم يصلي، وقد استفتح سورة {الْحَاقَّةُ}، فجعل عمر يستمع إلى القرآن، ويعجب من قوله، قال: فقلت ــ أي في نفسي: هذا والله شاعر، كما قالت قريش، قال: فقرأ : ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝﴾ [الحاقة:٤٠، ٤١] قال: قلت: كاهن. قال: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝﴾[الحاقة:٤٢، ٤٣]. قال: فوقع الإسلام في قلبي(١). وبذلك يقع الإسلام في قلبه ويميل إليه.

ولتجادله على الرسول وعدوانيته الجاهلية فقد خرج يومًا متوشحًا سيفه يريد القضاء على النبي ﷺ، فلقيه نعيم بن عبد الله النحام العدوي(٢)، أو رجل من بني زهرة(٣)، أو رجل من بني مخزوم(٤) فقال: أين تعمد يا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمدًا. قال: كيف تأمن من بني هاشم ومن بني زهرة وقد قتلت محمداً ؟ فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبوت، وتركت دينك الذي كنت عليه، قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر! إن أختك وخَتَنَكَ قد صبوا، وتركا دينك الذي أنت عليه، فمشى عمر دامرًا حتى أتاهما، وعندهما خباب بن الأرت، معه صحيفة فيها: [طه] يقرئهما إياها وكان يختلف إليهما ويقرئهما القرآن ــ فلما سمع خباب حس عمر توارى في البيت، وسترت فاطمة أخت عمر الصحيفة. وكان قد سمع عمر حين دنا من البيت قراءة خباب إليهما، فلما دخل عليهما قال: ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم؟ فقالا: ما عدا حديثًا تحدثناه بيننا. قال: فلعلكما قد صبوتما. فقال له ختنه: يا عمر، أرأيت

---

(١) أبن هشام، ج١، ٣٤٦-٣٤٨.

(٢) نفس المصدر السابق ، ٣٤٩.

(٣) العاني، ص١٥-١٧.

(٤) مختصر السيرة، ١٠٢.

إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأ شديدًا. فجاءت أخته فرفعته عن زوجها، فنفحها نفحة بيده، فدمى وجهها[١] .

وفي رواية ابن إسحاق أنه ضربها فشجها فقالت، وهي غضبى: يا عمر، إن كان الحق في غير دينك، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله .

وندم عمر ما حدث لأخته وقال: أعطونى هذا الكتاب الذي عندكم فأقرؤه، فقالت أخته: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل، فقام فاغتسل، ثم أخذ الكتاب، فقرأ: {بسم الله الرحمن الرحيم} فقال: أسماء طيبة طاهرة. ثم قرأ [طه] حتى انتهي إلى قوله: (إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤) [طه:١٤] فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه؟ دلوني على محمد[٢].

ثم أخذ بيده خباب وقال له: أبشر يا عمر، فإني أرجو أن تكون دعوة الرسول ﷺ لك ليلة الخميس: (اللهم أعزّ الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام)، رسول الله ﷺ في الدار التي في أصل الصفا. فأخذ عمر سيفه، فتوشحه، ثم انطلق حتى أتى الدار، فضرب الباب، فقام رجل ينظر من خلال الباب، فرآه متوشحًا السيف، فأخبر رسول الله ﷺ، واستجمع القوم، فقال لهم حمزة: ما لكم ؟ قالوا: عمر؟ فقال: وعمر؟ افتحوا له الباب، فإن كان جاء يريد خيرًا بذلناه له، وإن كان جاء يريد شرًا قتلناه بسيفه، ورسول الله ﷺ داخل يوحى إليه، فخرج إلى عمر حتى لقيه في الحجرة، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف، ثم جبذه جبذة شديدة فقال: (أما أنت منتهيًا يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما نزل بالوليد بن المغيرة؟ الله، هذا عمر بن الخطاب، الله أعز الإسلام بعمر بن الخطاب)، فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله . وأسلم، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد[٣] وزاد من قوة المسلمين عزة وشرفاً وسرور.

---

(١) العاني، ١٥ – ١٧ .

(٢) المباركفوري ، ١٠٤.

(٣) أبن هشام، ج١، ٣٤٣-٣٤٦.

روى ابن إسحاق بسنده عن عمر قال: لما أسلمت تذكرت أي أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة، قال: قلت: أبو جهل، فأتيت حتى ضربت عليه بابه، فخرج إليّ، وقال: أهلاً وسهلاً، ما جاء بك؟ قال: جئت لأخبرك إني قد آمنت بالله وبرسوله محمد، وصدقت بما جاء به. قال: فضرب الباب في وجهي، وقال: قبحك الله، وقبح ما جئت به[١].

وفي رواية لابن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر بن الخطاب لم تعلم قريش بإسلامه، فقال: أي أهل مكة أنشأ للحديث؟ فقالوا: جميل بن معمر الجمحى. فخرج إليه وأنا معه، أعقل ما أرى وأسمع، فأتاه، فقال: ياجميل، إني قد أسلمت، قال: فو الله ما رد عليه كلمة حتى قام عامدًا إلى المسجد فنادى [بأعلى صوته] أن: يا قريش، إن ابن الخطاب قد صبأ. فقال عمر وهو خلفه: كذب، ولكنى قد أسلمت [وآمنت بالله وصدقت رسوله]، فثاروا إليه فما زال يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم، وطَلَح أي أعيا عمر، فقعد، وقاموا على رأسه، وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا. وبعد ذلك زحف المشركون إلى بيته يريدون قتله[٢].

ثم اتصلت قريش مباشرة مع الرسول ﷺ وفاوضته من خلال سيداً من ساداتها وهو عتبة بن ربيعة فجلس أليه وقال يا ابن أخي: إن كنت تريد بما جئت به شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وان كنت تريد مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وان كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وان كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فقال له الرسول ﷺ: أفرغت يا أبا الوليد قال نعم، قال: فاسمع مني تم تلا عليه آيات من القران الكريم، ثم عاد عتبة وصحبه بما سمعه من الرسول، ثم أرسلت قريشاً وفدا آخر من سادة قريش فيهم الوليد بن المغيره، والعاص بن

---

(١) نفس المصدر السابق، ج١، ٣٤٩ .

(٢) نفس المصدر السابق، ج١، ٣٤٩-٣٥١.

وائل وعرضوا عليه المال، والزواج من أجمل نساء قريش إلاّ انه رفض ثم دعـــوه إلى عبادة آلهتهم يوماً ونعبد إلهك يوما فرفض[١].

ثم طلبوا من الرسول إن يدعو ربه إن يسيّر جبال مكة عنهم، وان يفجّـــر لهـــم انهاراً كأنهار الشام والعراق، وان يبعث لهم ما مات من آبائهم وخاصة قـــصي وان يجعل لهم جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة، فان حقق لهـــم تلـــك المطالـــب صدّقوه، فأجابهم عليه الصلاة والسلام وما أنا بفاعل، وما أنا بالـــذي يـــسأل ربـــه هذا[٢]، ثم أخذوا ينشرون سمومهم بين القبائل التي جاءت في موسم الحج.

المقر السري للدعوه (دار الأرقم) :

وهي مكان يجتمع به المسلمين الذين آمنوا بالدعوة سراً ومكانها الصفا ، وفيها كا يعلمهم أمور دينهم ، ويقراء القرأن على مسامعهم ، ويتلقوا ما أنزل الله على رسوله وهم في أمن وسلام، وليدخل من يدخل في الإسلام ولا يعلم بهم المشركين من أهل قريش، فقد ذكر ابن إسحاق أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يجتمعون في الشعاب، فيصلّون فيها سرًا، فرآهم نفر من كفار قريش، فسبوهم وقاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص رجلاً فسال دمه، وكان أول دم هريق في الإسلام.[٣] فكانوا يُخْفُون إسلامهم وعبادتهم وجلساتهم السرية ، أما رسول الله ﷺ فكان يجهر بالدعوة والعبادة بين ظهرإني المشركين، لا يرده عن ذلك شيء [٤].

---

(١) الطبري / ج٢ / ٣٢٧

(٢) ابن هشام ، ٢٩٥-٢٩٨

(٣) أبن هشام، ج١، ٢٦٣

(٤) الطبري، ج٢، ٢٠٨

الهجرة إلى الحبشة:

تتفق المصادر أنه حين أشتدّ أذى قريش على المسلمين وخاف الرسول ﷺ أن يؤدي هذا إلى فتنتهم عن دينهم، فقال لأصحابه:" لو خرجتم إلى أرض الحبشة فان بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجا مما أنتم فيه"[١].

في السنة الخامسة من الدعوة إستجاب بعض المسلمين لنصيحة الرسول ﷺ فخرجوا متسللين سراً وكان عددهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة حتى انتهوا إلى الشعبية (ميناء مكة) ثم ركبوا سفينتين لبعض التجار حملتهم إلى أرض الحبشة مقابل نصف دينار عن كل شخص[٢].

ولما علمت قريش، لحقت بهم وذلك لإرجاعهم لكنها لم تدركهم، ثم تلت الدفعة الأولى دفعة ثانية وبلغ عددهم جميعاً ثلاث وثمانين رجلاً، ويذكر ابن إسحاق أسمائهم ويرجعهم إلى بطون من قريش وهم: من هاشم شخص واحد، جعفر بن أبي طالب، ومن بني أمية سبعة أشخاص بينهم عثمان بن عفان، ومن بني أسد بن خزيمة سبعة أشخاص، ومن بني عبد شمس شخصان، ومن بني نوفل رجل واحد، ومن بني أسد بن عبد العزى أربعة أشخاص، ومن بني عبد قصي رجل واحد، ومن بني عبد الدار بن قصي خمسة أشخاص، ومن بني زهرة سبعة أشخاص بينهم ثلاثة حلفاء، ومن بني تيم رجلان، ومن بني مخزوم ثمانية أشخاص بينهم حليف واحد، ومن بني جمح اثنا عشر شخصاً، ومن بني سهم أربع عشر رجلاً، ومن بني عدي ابن كعب خمسة بينهم حليف واحد، ومن بني عامر ثمانية أشخاص بينهم حليف واحد، ومن بني الحارث بن فهر ثمانية أشخاص[٣].

وبقي مع الرسول ﷺ في مكة عدد من المسلمين القادرين على الدفاع عن أنفسهم وعن الرسول ﷺ.

---

(١) أبن هشام، ٣٢١-٣٢٢.

(٢) المباركفوري ،٩٨ .

(٣) ابن هشام ، ٣٢٢ – ٣٣٠.

ووقع أختياره على الحبشة لتكن دار هجرة للمسلمين لعدة أسباب:

- لأنها بعيدة عن مكة وتنتشر فيها الديانة النصرانية التي تؤمن بوجود الله.
- عداء المكيين(اهل قريش) للأحباش منذ عهد أبرهة الحبشي الذي أراد هدم الكعبة.
- كانت قريش تميل إلى الفرس أعداء البيزنطينين، في حين كان النجاشي حليف للبيزنطينين أعداء الفرس.
- مأمن حصين لهم وبعيد عن مكة المكرمة.

أما عدم اختيار الرسول ﷺ للجزيرة العربية لتكن ملجأً لهجرتهم في ذاك الوقت، للأسباب الآتية:

- كانت اليمن خاضعة للفرس وهم حلفاء لقريش.
- كانت الجزيرة العربية مقراً لليهود والنصارى وهي غير مهيأة لاستقبال المهاجرين المسلمين في هذا الوقت، لان أهل الكتاب (اليهود والنصارى) كانوا في نزاع مستمر وغير مستعدين لقبول دين آخر.
- أما في الشام والحيرة، فكان لقريش فيها علاقات تجارية، وتنّفذ لدى الرهبان لمنع نشر هذه الدعوة في تلك المنطقة.

وكان لهذه الهجرة أثر في نشر الدين الإسلامي في مكة المكرمة، وبلغ أصحاب الرسولﷺ أنّ الحبشة هي مأوى لهم، إلاّ أنّ الرسول ﷺ بقي يدعو في مكة.ولما علمت قريش بذلك بعثت بوفد إلى ملك الحبشة محملاً بالهدايا، وتكوّن من عبد الله بن أبي ربيعه، وعمرو بن العاص، وطلبوا مقابلة ملك الحبشة، وقالا له:" أيها الملك انه قد ضوى إلى بلدك منّا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن، ولا أنت، وبعثنا إليك أشراف قومهم، وآبائهم، وعمومتهم، وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، واعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه". [١].

---

[١] زاد الميعاد : ج١ ، ٣٢ .

ثم أشاروا عليه البطارقة، وقالوا له: أيها الملك قومهم أعلم بهم عيناً، واعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما، فليرداهم إلى بلادهم، وقومهم، ثم طلب النجاشي إلى هؤلاء المهاجرين ليعرف حقيقة دينهم، فتقدم جعفر بن أبي طالب ووصف له حالة العرب قبل الإسلام، وتحدّث له عن دعوة سيدنا محمد ﷺ والتي تتمثل بترك الأوثان، والتخلق بمكارم الأخلاق، وترك عبودية العبيد، وعبادة الله ثم طلب منه النجاشي بشيء جاء من عند الله، فأجابه جعفر فقرأ عليه من سورة مريم، فبكى النجاشي وبكى أساقفته حتى ابتلت مصاحفهم حينما سمعوا ما تلا عليهم ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، إنطلقا فلا والله أسلمهم إليكما[١].

ثم عادوا بمحاولة ماكرة فكر بها عمرو بن العاص لردهم من ملك الحبشة، فقال عمرو بن العاص:" والله لآتينه غداً عنهم بما استأصل بهم خضرائهم ولأخبرنّ أنهم يزعمون أنّ عيسى ابن مريم عبد " وطلب مقابلة النجاشي، وقال له:" أيها الملك أنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسل أليهم واسألهم عما يقولون فيه"

فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال جعفر بن أبي طالب:" نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فقال النجاشي: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت، ثم قال: اذهبوا فأنتم آمنون بأرضي، من سبّكم عاقبناه، ثم عاد وفد قريش خائبين[٢].وبقي هؤلاء المهاجرون في الحبشة حتى أذن لهم النبي ﷺ بالعودة إلى وطنهم وذلك في السنة السابعة للهجرة.

---

(١) ابن هشام، ٣٣٣ –٣٣٨؛ الطبري / ج٢/ ٣٣٥.

(٢) نفس المصدر السابق / ص ٣٣٦ – ٣٣٧.

عودة المهاجرين وقصة الغرانيق:

يذكر الطبري والذي ينقل عن محمد ابن كعب القرضي قوله: " لما رأى رسول الله ﷺ تولى قومه عنه، وشق عليه ما يرى من مباعدتهم ما جاءهم به من الله، تمنى في نفسه إن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه، وكان يسره مع حبه قومه، وحرصه عليهم إن يلين له بعض ما قد غلظ عليه من أمرهم، حتى حدث بذلك نفسه وتمناه وأحبه، فأنزل الله عز وجل: (وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ۝١٨ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ۝٢٠)[١]

القى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه، ويتمنى إن يأتي به قومه: "تلك الغرانيق العلى، وان شفاعتهن لترتجي"؛ فلما سمع ذلك قريش، فرحوا، وسرهم وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم، فأصاخوا له والمؤمنون مصدقون نبيهم فيما جاءهم به عن ربهم، ولا يتهمونه على خطأ ولا وهم ولا زلل، فلما انتهى إلى السجدة منها وختم السورة سجد فيها، فسجد المسلمون بسجود نبيهم تصديقا لما جاء به، وإتباعا لأمره، وسجد من في المسجد من المشركين من قريش وغيرهم، لما سمعوا من ذكر آلهتهم، فلم يبقى في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد، إلا الوليد بن المغيرة فأنه كان

---

(١) سورة النجم، آية من (١–٢٠).

شيخاً كبيراً، فلم يستطع السجود، فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها ثم تفـرق الناس من المسجد، وخرجت قريش، وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم، يقولون: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وبلغت السجدة من بأرض الحبشة مـن أصـحاب رسول الله ﷺ وقيل: أسلمت قريش، فنهض منهم رجـال، وتخلـف آخـرون"[١]

ويذكرها ابن هشام عن ابن إسحاق: " وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ الذين خرجـوا إلى أرض الحبشة، إسلام أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك حتى إذا دنوا من مكة، بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحدا إلا بجوار أو مستخفيا "[٢].

ويشرح السهيلي ما جاء في قول ابن إسحاق من حديث عن عودة المهاجرين من الحبشة بسبب سماعهم أن أهل مكة قد اسلموا فيقول:" ذكر ما بلغ أهل الحبشة من إسلام أهل مكة وكان باطلاً، وسببه إن رسول الله ﷺ قرأ سورة النجم فألقى الشيطان في أمنيته أي في تلاوته عند ذكر اللات والعزى، وإنهم لهم الغرانقة العلى، وان شفاعتهم لترتجى، فطار ذلك بمكة فسرّ المشركين وقالوا قد ذكر آلهتنا بخير، فسجد رسول الله ﷺ في آخرها وسجد المشركون والمسلمون ثم انزل الله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِى ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ فاتصلوا بمن كان في أرض الحبشة وأبلغوهم إن قريشاً قد اسلموا.

وذكره موسى بن عقبة وأبن إسحاق من غير رواية البكائي؛ وأهـل الأصـول يدفعون هذا الحديث بالحجة ومن عدّله قال فيه إن الشيطان قـال ذلـك وأشـاعه، والرسول عليه الصلاة والسلام لم ينطق به، وهذا جيد لولا إنّ في حديثهم إنّ جبريل قال لمحمد: ما أتيتك بهذا، ومنها أنّ النبي ﷺ قال من قبـل نفـسه وعنـى بهـا الملائكة إن شفاعتهم لترتجى وانّ النبي عليه الصلاة والسلام قال حاكياً عن الكفـرة

---

[١] الطبري، ج٢، ص ٣٣٨.

[٢] ابن هشام ج ١/ ٣٦٤.

وإنهم يقولون ذلك فقالها متعجباً من كفرهم ويذكر السهيلي عن هذا الموضوع فيقول والحديث على ما خيّلت غير مقطوع بصحته[1].

تتحدث هذه الروايات عن السبب في عودة المهاجرين من الحبشة عندما علموا بإسلام قريش، ورواية أخرى تظهر رفض الرسول لعبادات قريش في الجزيرة العربية: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ۝٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ۝٢٣﴾ سورة النجم، الآية،(٢١-٢٣)، أما ابن سعد فيذكر انه لما قدم أصحاب النبي ﷺ مكة من الهجرة الأولى اشتدّ عليهم قومهم وسطت بهم عشائرهم ولقوا منهم أذىً شديداً، فأذن لهم رسول الله ﷺ، في الخروج إلى الحبشة مرّة ثانية وبلغ عددهم من الرجال ثلاث وثمانين رجلاً ومن النساء ثمانية نسوة[2].

أما عودة المهاجرين من الحبشة، قد يكون سببه دخول مسلمين أقوياء أمثال عمر وحمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ، أو لحدوث ثورة داخلية على النجاشي وخوفه على المسلمين إن ينالوا أذى ممن ثاروا عليه لإخراجهم من الحبشة، فهيأ لهم سفناً وقال لهم:" اركبوا فيها، وكونوا كما أنتم، فان هزمت، فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وان ظفرت فاثبتوا"[3].

وتذكر المصادر أنّ جبريل أتى الرسول ﷺ بعد قوله ما قال عن الغرانيق وقال له:" يا محمد، ماذا صنعت! لقد تلوت على الناس مالا آتيك به عن الله عز وجل " وهنا حزن الرسول وخاف من الله فأنزل الله عزّ وجل، وكان به رحيما يعزّيه " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ إلآ إذا تمنى ألقى الشيطان في

---

(١) الروض الانف، ج١، ص ٢٢٩.

(٢) ابن مسعود، ج١، ص ٢٠٧.

(٣) ابن هشام١/ ٣٤٠-٣٤١.

أمنيّته، فسينسخ الله ما يلقى الشيطان، ثم يحكم الله آياته، والله عليم حكيم"[١]، وبـذلك فرّج الله على نبيه .

ويذكر ابن الكلبي بأن قريش كانت تطوف بالكعبة وتقول: واللات والعزّى، ومناة الثالثة، فإنهنّ الغرانيق العلى وانّ شفاعتكن لترتجي، فقد تكون هذه القصة هي تلفيق من قريش وإلصاقها بسيدنا محمد ﷺ، والغرانيق مفردها غرنق، والغرنـق هو طائر يطير دائماً فوق البحار والمحيطات والمسطحات المائية، ولونه أبـيض أو أسود، فما دوره في أعادة المهاجرين، هل الغرنق يحمل رسائل لأهل قـريش، بـل برأيهم هي تشبيه للملائكة .

وأما قراءة الرسول ﷺ لسورة السجدة، ففي آخرها يوجد مدة سـجده ولا بـد من السجود، فسجد الرسول ﷺ والمؤمنين من حوله، وسؤالي أيـن كـان هـذا المسجد الذي ذكر في هذه الرواية الذي سجد فيه الرسول ﷺ والصحابة والكفـار أن كانوا صادقين، وهل يجتمع المؤمنين والكفار في المسجد ، فأول مسجد بني فـي الإسلام مسجد قباء بعد هجرته إلى المدينة المنورة، فهذه من دسائس وتلفيـق أهـل قريش، ومن ولاهم من المؤرخين المستشرقين الكفرة الذين أساءوا إلـى الإسـلام وأهله، وصدّقهم ضعاف الإيمان، فقصة الغرانيق ضعيفة جـداً، ومدسوسـة علـى الرسول ﷺ والمسلمين.

مقاطعة قريش لبني هاشم والمطلب:

أن هجرة المسلمين إلى الحبشة لم ترد أذى قريش للرسول ﷺ وأصحابه، إلا أن سيدنا محمد ﷺ بقي مقيماً في مكة يدعوهم إلـى عبـادة الله، وتـرك عبـادة الأوثان، وتحمّل أذاهم واستهزائهم وسخريتهم منه[٢].

---

(١) الطبري / ج٢/ ٣٣٨-٣٣٩؛ سورة الحج الآية ٥٢.

(٢) ابن هشام١/ ٣٥٤-٣٦٤.

إلا إن صبرهم، وحنقهم، وغضبهم، أجبرهم على البحث عن أساليب شتى للضغط على الرسول ﷺ، وأصحابه الذين آمنوا به، فكانت حربهم الاقتصادية ضد المؤمنين، فهذه أموال أبي بكر أخذت تتناقص من أربعين ألف درهم إلى خمسة الآلاف درهم، وأما حربهم النفسية والجسدية، فضاعفوا تعذيب المستضعفين، والعبيد الذين بقوا في مكة ومن بينهم بلال، وعامر بن مهيره، وأما سياستهم التفريقية فاتبعوا سياسية التفريق بين عشيرته ، ففرقوا بني هاشم، وحاولوا سحب حماية أبي طالب لابن أخيه، ونجحوا في جذب أبي لهب إلى صفهم، وفصله عن الصف الهاشمي، وانضم إلى أبي سفيان الذي زوجه إحدى أخواته، ووقف ضد ابن أخيه، وفسخ خطبة أولاده لبنات سيدنا محمد الاثنتين (رقية وأم كلثوم) إضافة إلى مصالحة التجارية والمادية التي كانت مع عبد شمس ثم دعوا إلى تجمع قرشي يضم كل البطون التي كانت تعيش في مكة المكرمة في تلك الفترة الزمنية، ما عدا هاشم والمطلب التي حمت الرسول ﷺ وصحبه الضعاف الذين آمنوا به.

وكان الهدف من ذلك هو إضعاف سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وإبعاده وفصله عن أهله وعشيرته، وتعاقدوا على مقاطعة بني هاشم، ويذكر ابن إسحاق عن ذلك فيقول:" لما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً، وان النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وان عمر قد أسلم هو وحمزة مع رسول الله وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، اجتمعوا وائتمروا بينهم على إن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب، فدخلوا معه في شعبه، واجتمعوا

إليه وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم"[1]

ولذلك منعت قريش كل أنواع المؤن والطعام عن بني هاشم والمطلب، ولا يخرجون للتجارة إلا في موسم الحج، وبلغ بهم الجهد حدّاً لا يطاق، وكان الناس في مكة يسمعون أصوات صبيانهم الجائعين[2].

وقد أخبرهم أبو طالب أنه نازل عند شروطهم فجاءوا بالصحيفة وهي مطوية، وتصديقاً لنبيه فقد قال لهم أبو طالب أن ابن أخي اخبرني، أن الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة، فأتت على كل ما كان فيها من جور وقطيعة رحم،فان كان الحديث كما يقول فأبقوا وارجعوا عن سوء رأيكم، فوالله لا نسلمه حتى يموت من عند أخرنا، وأن كان الذي يقول باطلاً دفعنا إليكم صاحبنا ففعلتم به ما تشاءون، وإن كان صادقًا رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا فقالوا: قد رضينا بالذي تقول، قالوا: قد أنصفت.

ففتحوا الصحيفة فوجدوا الأمر كما أخبر الرسول ﷺ،، وبعد أن دار الكلام بين القوم وبين أبي جهل، قام المطعم إلى الصحيفة ليشقها، فوجد الأرضة قد أكلتها إلا (باسمك اللهّم)، وما كان فيها من اسم الله فإنها لم تأكله.

فقالوا هذا سحر ابن أخيك،فرأوا بما حلّ بالصحيفة فقالوا هذا سحر ابن أخيك، (وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾) [القمر:٢] ـ أعرضوا عن هذه الآية وازدادوا كفرًا إلى كفرهم

واجتمع خمسة من رؤساء المشركين وقرروا في اجتماع سري على نقض الصحيفة وهؤلاء هم: هشام بن عمرو ابن الحارث العامري، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي (لان أمه عاتكة من بني عبد المطلب)، والمطعم بن عدي ابن نوفل بن عبد مناف، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود، ثم ذهب زهير بن أمية وطاف بالكعبة سبعاً ونادى بالناس وقال لهم:" يا أهل مكة، انأكل الطعام

---

[1] ابن هشام / ٣٥٠-٣٥١.

[2] ابن سعد / ج١/ ص ٢٠٩.

ونشرب الشراب، ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكى لا يبايعون ولا يبتاعوا منهم! والله لا اقعد حتى تشقّ هذه الصحيفة الظالمة"[١] ودار نقاش حاد بين الحاضرين حتى خرج المطعم بن عدي فشق الصحيفة وعلم آل هاشم والمطلب وعادوا إلى بيوتهم ليستأنفوا حياتهم وكان ذلك في السنة العاشرة للبعثة[٢]، واستمرت مقاطعتهم مدة ثلاث سنين.

لقد فشلت هذه المقاطعة لوجود من كان يمد بني هاشم وبني المطلب، بالمؤن والتجارة سرّاً فهذا حكيم بن حزام أحد أثرياء قريش ورغم وثنيته، إلا انه كان يأتي بالعير محملة بالمواد الغذائية ليلاً ويتركها تدخل شعب أبي طالب[٣]. وهشام بن عمرو بن ربيعة ابن الحارث، حيث كانت تربطه صلة القربى من خديجه زوجة الرسول ﷺ بأنها عمته، وهشام بن عمرو هو ابن أخي نضله بن هاشم بن عبد مناف لأمه، كذلك إن بني هاشم وبني عبد المطلب كانوا يخرجون للتجارة في مواسم الحج.

أن مدى إصرار الرسول ﷺ على دعوته، زادهم تمسكاً في دينهم وذلك بخروجه لملاقاة القبائل في وقت الحج، وكسبهم أنصار كثيرين في هذه الفترة مما أدى إلى فشل الكفار في الضغط على المتعاطفين مع المسلمين.

والنتيجة الحاسمة لقريش والتي أفقدت اتزان الرسول ﷺ (وفاة عمه أبي طالب، وزوجته خديجة بنت خويلد في عام واحد، سمي ذلك العام بعام الحزن).

عام الحزن:

لقد أنطلق المسلمون من الشعب يمارسون حياتهم بجد ونشاط بعد ما قطع قرابة عشرة أعوام تحمّل غضب وأذى قريش، وما أن ارتاحوا حتى أصيب الرسول ﷺ بموت عمه أبو طالب، وكانت وفاته في السنة العاشره من النبوة، بعد الخروج

---

(١) الطبري / ج٢/ ٣٤١-٣٤٣.

(٢) ابن سعد / ج١/ ٢١٠.

(٣) الزبير بن بكار /ج١/ ٣٥٥.

من الشعب بستة أشهر، وقيل توفي في رمضان قبل وفاة خديجة (رضي الله عنها) بثلاثة أيام. وزوجته، فكانت نكبة كبيرة على حياة الرسول فتألم عليه الصلاة والسلام لفقدانهما في عام واحد، وفي الصحيح عن ابن المسيب: قبل وفاة عمه ابي طالب دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل، فقال: (أي عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله) فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلماه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: (لأستغفرن لك ما لم أنه عنـــه) .

وتوفي وهو على دين آباءه ولم يفلح الرسول ﷺ في أقناعه بالتخلي عن دين أجداده ، عن العباس بن عبد المطلب، قال للنبى ﷺ: ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: (هو في ضَحْضَاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)، وعن أبي سعيد الخدرى أنه سمع النبي ﷺ، وذكر عنده عمه فقال: (لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار تبلغ كعبيه)[1].

وبعد وفاة عمه بشهرين توفيت أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) وكانت وفاتها في شهر رمضان في السنة العاشرة من البعثة ، ولها من العمر خمس وستون سنة [2].

لقد كانت خديجة من الزوجات الصالحات التي آزرت زوجها وأعانته على حمل وإبلاغ رسالته ، يقول رسول الله ﷺ: (آمنت بى حين كفر بى الناس، وصدقتنى حين كذبني الناس، وأشركتنى في مالها حين حرمنى الناس، ورزقنى الله ولدها وحرم ولد غيرها).[3]

---

(١) صحيح البخاري ، ١ / ٥٤٨ .

(٢) ابن الجوزي ، ٧ .

(٣) رواه الامام احمد في مسنده ، ٦/ ١١٨ .

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: أتى جبريل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، هــذه خديجة قــد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقــرأ عليها السلام من ربها، وبشرها ببيت في الجنة من قَصَبٍ لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ. واشتدّ عليه أذى قريش بعد وفاة عمه، وفي ذلك يقول: " ما نالت قريش شيء اكرهه، حتى مات أبو طالب"(١).

وبعد وفاة خديجة تزوج من سودة بنت زمعة في شوال من السنة العاشره للبعثه، وهن ممن أسلم قديمًا وهاجرت مع زوجها السكران بن عمرو إلى الحبشة .

خروج الرسول ﷺ إلى الطائف:

في السنة العاشرة من البعثة من شوال خرج الرسول ﷺ إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة، يلتمس من ثقيف النصر، وأقام فيها عشرة أيام دعا خلالها سادة ثقيف إلى نصرته، فلم يستجيبوا وخافوا على إحداثهم إن يتأثروا بدعوته، وطلبوا منه الخروج من بلدهم وأغروّا به سفهاءهم فصاروا يرمونه بالحجارة، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى شج في رأسه، وأخذوا يرمونه بالحجارة، وسبوه وشتموه ، وأتى رسول الله ﷺ إلى شجرة من عنب فجلس تحت ظلها إلى جدار. فلما جلس واطمأن(٢)، أخذ يدعوا الله ويقول: (اللهّم إليك أشكو ضَعْف قُوَّتِى، وقلة حيلتى، وهوإني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تَكِلُنى؟ إلى بعيد يَتَجَهَّمُنِى؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سَخَطُك، لك العُتْبَى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك).

---

(١) ابن هشام ١/ ٤١٦؛ صحيح البخاري ،٥٣٩/١١ .

(٢) الطبري، ج٢، ٣٤٤ – ٣٤٦

ويسير وهو يائساً كسير القلب، فلما وصل قرن المنازل بعث الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال، يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة.

وقد روى البخاري بسنده عن عروة بن الزبير، أن عائشة رضي الله عنها حدثته أنها قالت للنبى ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: (لقيت من قومكِ ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلاَل، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقَرْنِ الثعالب وهو المسمى بقَرْنِ المنازل فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ ثم قال: يا محمد، ذلك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين أي لفعلت، والأخشبان: هما جبلا مكة: أبو قُبَيْس والذي يقابله، وهو قُعَيْقِعَان قال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئا).[1] وقبل إن يدخل مكة اتجه إلى حراء، ومن هنا حاول إن يدخل إلى مكة من خلال أحد الأشخاص المتنفذين، وقد وافق على منحه هذه الجوار المطعم بن عدي سيد بني نوفل، وقد حفظ رسول الله ﷺ للمطعم هذا الصنيع، فقال في أسارى بدر: (لو كان المطعم بن عدى حيًا ثم كلمنى في هؤلاء النتنى لتركتهم له).[2]

ثم حصل الرسول (ﷺ) على حماية المطعم بن عدي، رجع إلى مكة، ووجـد أن قريشاً أشد مما كانت عليه من قبل، ورغم ذلك فقد بدأ يعرض نفسه على الحجاج في المواسم، ويدعوهم إلى الله.

---

(١) فتح الباري ، ج٦ / ٣٦٠ .

(٢) أبن هشام، ج١، ٤٢٣

ويذكر ابن إسحاق أن أبا لهب كان يتبع الرسول (ﷺ) من مكان إلــى آخــر، ويقول للناس " يا بني فلان إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا الــلات، والعــزى مــن أعناقكم وجاء ببدعة وضلالة، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه"(١).

ومن القبائل التي أتصل بها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قبيلة بنــو كلــب، وبنو حنيفة، وبنو عامر. لذا كان بعض الحجاج يرفض دعوته والبعض الآخر كــان يرد عليه رداً قبيحاً.

وفي السنة الحاديه عشر من دعوته تزوج رسول الله ﷺ من عائشة رضــي الله عنها وهي بنت ست سنين وبني بها بالمدينة في شوال في الــسنة الأولــى مــن الهجرة وهي بنت تسع سنين.(٢)

واقعة الإسـراء والمعـراج:

وبعد أضطهاد قريش لسيدنا محمد ﷺ حدثت الليلة المشهودة ، إذ تختلف الروايات في تحديد حدوثها فمنهم من حددها في السنة الثانية من البعثة، ومنهم من ذكر حدوثها في السنة الخامسة من البعثة، وذكرت في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب في السنة العاشرة للبعثة، وذكر حدوثها بستة عشر شهراً في رمضان من السنة الثانية عشرة للبعثة، وقبل سنة وشهرين من المحرم في السنة الثالثة عشر من البعثة، وذكرت قبل الهجرة بسنة في ربيع الأول من السنة الثالثة عشر من البعثة.يوردها المباركفوري بنصها عن أبن القيم (٣)

---

(١) ابن هشام ، ١/ ٤٢٣.
(٢) الطبري، ج٢، ص ٣٩٦-٤٠٨.
(٣)المباركفوري ، ١٣٥- ١٣٨.

أسرى برسول الله ﷺ بجسده من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، راكبًا على البُرَاق، صحبة جبريل عليهما الصلاة والسلام، فنزل هناك، وصلى بالأنبياء إمامًا، وربط البراق بحلقة باب المسجد.

ثم عرج به تلك الليلة من بيت المقدس إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبريل ففتح له، فرأي هنالك آدم أبا البشر، فسلم عليه، فرحب به ورد عليه السلام، وأقر بنبوته، وأراه الله أرواح السعداء عن يمينه، وأرواح الأشقياء عن يساره.

ثم عرج به إلى السماء الثانية، فاستفتح له، فرأي فيها يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم، فلقيهما وسلم عليهما، فردا عليه ورحبا به، وأقرّا بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الثالثة، فرأي فيها يوسف، فسلم عليه فرد عليه ورحب به، وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الرابعة، فرأي فيها إدريس، فسلم عليه، فرد عليه، ورحب به، وأقر بنبوته. ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فرأي فيها هارون بن عمران، فسلم عليه، فرد عليه ورحب به، وأقر بنبوته.

ثم عرج به إلى السماء السادسة، فلقى فيها موسى بن عمران، فسلم عليه، فرد عليه ورحب به، وأقر بنبوته ، فلما جاوزه بكى موسى، فقيل له: ما يبكيك ؟ فقال: أبكى؛ لأن غلامًا بعث من بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتى ، ثم عرج به إلى السماء السابعة، فلقى فيها إبراهيم عليه السلام، فسلم عليه، فرد عليه، ورحب به، وأقر بنبوته.

ثم رفع إلى سدرة المنتهى، فإذا نَبْقُها مثل قِلاَل هَجَر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، ثم غشيها فراش من ذهب، ونور وألوان، فتغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها. ثم رفع له البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم

سبعون ألف ملك ثم لا يعودون. ثم أدخل الجنة، فإذا فيها حبائل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك. وعرج به حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صَرِيف الأقلام[1]

ثم عرج به إلى الجبّار جل جلاله، فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة، فرجع حتى مرّ على موسى فقال له: بم أمرك ربك؟ قال: (بخمسين صلاة). قال: إن أمتك لا تطيق ذلك، ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فالتفت إلى جبريل، كأنه يستشيره في ذلك، فأشار: أن نعم إن شئت، فعلا به جبريل حتى أتى به الجبار تبارك وتعالى، وهو في مكانه فوضع عنه عشرًا، ثم أنزل حتى مر بموسى، فأخبره، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل، حتى جعلها خمسًا، فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف، فقال: [قد استحييت من ربي، ولكني أرضى وأسلم]، فلما بعد نادى مناد: قد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى. ثم ذكر ابن القيم خلافًا في رؤيته ﷺ ربه تبارك وتعالى، ثم ذكر كلامًا لابن تيمية بهذا الصدد، وأن الرؤية بالعين لم تثبت أصلاً، وهو قول لم يقله أحد من الصحابة. وما نقل عن ابن عباس من رؤيته مطلقًا ورؤيته بالفؤاد فالأول لا ينافي الثاني. ثم قال: وأما قوله تعالى في سورة النجم: (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾) [النجم:٨] فهو غير الدنو الذي في قصة الإسراء، فإن الذي في سورة النجم هو دنو جبريل وتدليه، كما قالت عائشة وابن مسعود، والسياق يدل عليه، وأما الدنو والتدلى في حديث الإسراء فذلك صريح في أنه دنو الرب تبارك وتعالى وتدليه، ولا تعرض في سورة النجم لذلك، بل فيه أنه رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى.

وقد جاء في بعض الطرق أن صدره ﷺ شق في هذه المرة أيضًا، وقد رأى النبي ﷺ في هذه الـــرحلة أمورًا عديدة: عرض عليه اللبن والخمر، فاختار اللبن، فقيل: هديت الفطرة أو أصبت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك.

---

(١) صحيح البخاري، ج١، ٥٠، ٤٥٥، ٤٧١

ورأي أربعة أنهار يخرجن من أصل سدرة المنتهى: نهران ظاهران ونهران باطنان، فالظاهران هما: النيل والفرات، عنصرهما. والباطنان: نهران في الجنة.

ولعل رؤية النيل والفرات كانت إشارة إلى تمكن الإسلام من هذين القطرين[١]

ورأى مالكًا خازن النار، وهو لا يضحك، وليس على وجهه بشر ولا بشاشة، وكذلك رأي الجنة والنار ، ورأى أكلة أموال اليتامى ظلمًا لهم مشافر كمشافر الإبل، يقذفون في أفواههم قطعًا من نار كالأفهار، فتخرج من أدبارهم، ورأى أكلة الربا لهم بطون كبيرة لا يقدرون لأجلها أن يتحولوا عن أماكنهم، ويمر بهم آل فرعون حين يعرضون على النار فيطأونهم.

ورأى الزناة بين أيديهم لحم سمين طيب، إلى جنبه لحم غث منتن، يأكلون من الغث المنتن، ويتركون الطيب السمين، ورأى النساء اللاتى يدخلن على الرجال من ليس من أولادهم، رآهن معلقات بثديهن، ورأى عيرًا من أهل مكة في الإياب والذهاب، وقد دلهم على بعير نَدَّ لهم، وشرب ماءهم من إناء مغطى وهم نائمون، ثم ترك الإناء مغطى، وقد صار ذلك دليلاً على صدق دعواه في صباح ليلة الإسراء [٢].

قال ابن القيم: فلما أصبح رسول الله ﷺ في قومه أخبرهم بما أراه الله عز وجل من آياته الكبرى، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم واستضرارهم عليه، وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس، فجلاه الله له، حتى عاينه، فطفق يخبرهم عن آياته، ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئًا، وأخبرهم عن عيرهم في مسراه ورجوعه، وأخبرهم عن وقت قدومها، وأخبرهم عن البعير الذي يقدمها، وكان الأمر كما قال، فلم يزدهم ذلك إلا نفورًا، وأبي الظالمون إلا كفورًا، يقال: سُمى أبو بكر رضي الله عنه صديقًا؛ لتصديقه هذه الوقعة حين كذبها الناس.

---

[١] أبن هشام، ج١ ٤٠٢ – ٤٠٦

[٢] نفس المصدر السابق، ج١، ٣٩٩

المقر الثاني (يثرب) لدعوة الرسول(ﷺ):

تقع يثرب على أرض خصبة نسبياً، ولا تصلح للزراعة، وعرف سكانها بأسم بني قيله، وضمت قبائل من الأوس والخزرج (وهم من عرب الجنوب) وقد سبقهم في سُكنى يثرب قبائل تُدين باليهودية هما: (بنو قريظة، وبنو النضير، وبني قينقاع)، وكان بين الأوس والخزرج نزاعات وحروب طويلة، كان آخرها يوم بُعاث الذي وقع قبل هجرة الرسول (ﷺ) بأعوام قليلة، إضافة الى أحداث سياسية كانت تعيشها يثرب، بالإضافة إلى أزمات أقتصادية سببها ازدياد عدد السكان، وقلة المؤن وظهرت القبيلة القويه التي تحتل أرض القبيلة الضعيفة ذات الخصوبة الرعوية والزراعية، أما الأوضاع الاجتماعية فظهرت العصبية القبلية، وبرزت عندهم عادة الثأر والديه[١].

فجاء الرسول ﷺ يدعوهم إلى الوحدة والتضامن والايمان بالله ، فكان لدعوته هذه الأثر باتصالاته بأهل يثرب، فيذكر ابن إسحاق أن أول اتصال للرسول ﷺ بهم جرى في دعوة القبائل القادمة في موسم الحج إلى مكة، بعد أن فشلت رحلته إلى الطائف، ثم أخذ يدعو العرب إلى عبادة الله، وكانت أولى لقاءاته، أنه اجتمع برهط من الخزرج عند العقبة فعرض عليهم، وتحدث إليهم فاستجابوا إليه وقبلوا ما عرض عليهم من دين جديد، ووعدوه أن يحدّثوا بما جرى بينهم، وقالوا: " إن قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، وتعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه، فلا رجل أعز منك[٢].

ثم عادوا إلى بلادهم وكان عددهم ستة أشخاص ينتمون إلى بطون مختلفة، وعند وصولهم إلى يثرب، أخذوا يتحدثوا بما جرى بينهم وبين الرسول (ﷺ) عن

---

(١)أبن هشام، ج١ ٤٢٠

(٢)نفس المصدر السابق، ١/ ٤٢٩

رسالته وعوته الجديده، وينبذ كل الخلافات، والعصبيات القبلية، ويسقط عادة الثـأر، والديه، ومنعه إحتلال أراضي الغير بغير حق.

وفي موسم حج العام القادم عاد إلى مكة خمس من الذين قابلوا الرسول (ﷺ) في العام السابق ومعهم سبعة آخرون، بينهم ثلاثة من الأوس والباقي من الخـزرج، ثم التقيا في موقع العقبة، وتمت البيعة بينهم وعرفت (ببيعة العقبة الأولى)، فيـذكر عبادة بن الصامت، فيقول: " كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا أثني عشر رجلاً، فبايعنا رسول الله (ﷺ) على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفترض الحرب علـى أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفترية من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف"[1].

وقد جاء ذكر هذه البيعة في القرآن الكريم في قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾)[2].

وسميت ببيعة النساء لأنها لم يكن فيها بيعه على القتـال، وإنمـا أخـذ للعهـد والميثاق، وأرسل معهم مصعب بن عمير، وأمـره أن يقـرئهم القـرآن، ويعلّمهـم الإسلام، ويفقههم في الدين، ولم يمضي عام حتى أصبحت كل أسـره مـن عـرب يثرب تضم فريقاً ممن دخل في الإسلام على يد مصعب بن عمير[3].

ولم يدخل الإسلام إلى الأوس وذلك لأنهم عرفوا بأوس مناة، أو أوس الله، وفي موسم حج السنة الثانية من البيعة الأولى سنة ٦٢٢م، توجهت جماعة مـن يثـرب عددهم ثلاث وسبعين رجلاً وامرأتان (وهما نسيبه بنت كعب أم عمارة مـن بنـي

(١) نفس المصدر السابق، ص ٤٣٣

(٢) سورة الممتحنة، آية ١٢

(٣) الطبري، ج٢، ص٣٥٧

مازن بن النجار ، وأسماء بنت عمرو من بني سلمة) إلى مكة لأداء فريضة الحج، وتواعدت هذه الجماعة على اللقاء ليلاً بالعقبة مع الرسول (ﷺ) في أواسط أيام التشريق (والعقبة الثانية: مكان في الشعب عند العقبة حيث الجمرة الأولى).

وفي ثلث الليل الأخير من الليلة الموعودة، تسللوا متخفين حتى اجتمعوا في الشعب عند العقبة، وكان عددهم ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين وجاء الرسول (ﷺ) ومعه عمه العباس، وأبو بكر، وعلي بن أبي طالب، وكان عمه العباس ما يزال على دين قومه إلا أنه حضر ليثق منهم، وإنّ ابن أخيه في مأمن، وتحدّث عمه العباس، وقال: "يا معشر الخزرج، إنّ محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه، ومنعه في بلده، وأنه قد أبى إلاّ الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك وأن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعه من قومه وبلده"[1].

ثم تحدّث الرسول بعد عمه، فتلا من القرآن الكريم وعرض شروط لترك مكة والانتقال إلى يثرب وهذه الشروط تتلخص بأن اليثربيين يجب أن يمنعوه مما يمنعون عنهم نسائهم وأبنائهم، ثم أجابه أحد اليثربيين بالموافقة والتأكيد على ما طلب، وجرى نقاش بين الرسول (ﷺ) وبين مالك بن التيهان أبو الهيثم أحد رجال الأوس، وقال: " يا رسول الله إنّ بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنّ قاطعوها، يعني اليهود، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا. تبسّم الرسول(ﷺ) ثم قال: بل الدم الدم والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أُحارب من حاربتم وأُسالم من سالمتم"[2].

واختاروا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ليكونوا نقباء عليهم، ثم رجع الوفد إلى مساكنهم، وعلمت قريش بأنباء المفاوضات التي جرت بين الوفد اليثربي

---

(1) ابن هشام، ١/ ٤٤١-٤٤٢.

(2) نفس المصدر السابق، ص ٤٤٢.

وسيدنا محمد (ﷺ) فجاء فريق من قريش إلى الجماعة اليثربية وهدّدوهم فـأنكر بعضهم ما حدث وذلك تفادياً لحدوث أي شر وخرجوا يريدون العودة إلـى يثـرب فتعقبهم أهل قريش وقبضوا على بعضهم وضربوهم وعذبوهم[1]. واعتبـرت هـذه البيعة(ببيعة العقبة الثانية) والتي مهّدت لرسول الله (ﷺ) وصحبه بـالهجرة إلـى يثرب وأخذ سيدنا محمد(ﷺ) يشجع أصحابه بالهجرة إلـى يثـرب، وكـان أول المهاجرين أبو سلمى بن عبد الأسد وهو من بني مخزوم، ويذكر أبن إسحاق: أنـه هاجر قبل العقبة الثانية بسنة إذ أنه كان في الحبشة قبلها، ولما قدم إلى مكة وآذتـه قريش، وعلم بإسلام أهل يثرب ، خرج مهاجراً إلى يثرب ً[2]، ثم توالـت هجـرات المسلمين من مكة إلى يثرب

أما أهل قريش فلّما علموا بهذه الهجرة أجتمع رجالها بدار الندوة، واتفقا على قتل سيدنا محمد (ﷺ) فأبلغه الله سبحانه وتعالى عن طريق جبريل عليه السلام بذلك، وخرج من داره متفقاً مع علي بن أبي طالب أن ينام في فراشه، وصحب بهجرته إلى المدينة المنورة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ومضى به إلى غار بجبل ثور، ثم أخذت قريش تراقب تحركاته ودخل الخوف في قلب أبي بكر الصديق، وأخذ الرسول ﷺ يهدّأ من روعه ويشير القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى: إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [3].

---

(1) نفس المصدر السابق، ص٤٦٨.

(2) ابن هشام ، ٤٤٩.

(3) سورة التوبة، الآية رقم ٤٠

ومضى عليهما ثلاث ليال وهما بالغار، إذ أتاهما دليلاً ثم نزل وركب كل منهما راحلته وساروا في طريقهم حتى وصلوا منطقة قُباء، فنزل الرسول (ﷺ) على بني عمرو بن عوف، وأقام عندهم أربعة أيام وأسس مسجداً كان أول مسجد بني في الإسلام هو قُباء، ثم أتى بني سالم وجمع المهاجرين والأنصار في صلاة واحدة، كانت أول جمعة أقامها الرسول (ﷺ) في الإسلام وألقى خطبة جاء بها: (أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم تعلمن والله ليسقعنّ أحدكم، ثم ليدعن عن غنمة ليس لها راع، ثم ليقولنّ له ربّه ليس له تُرجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسول الله فبلّغك؟ وأتيتك مالاً وأفضلت عليك؟ فما قدّمت لنفسك؟ فلينظرنّ يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ثم لينظرنّ أمامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمره فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيّبة، فإنّ بها تجزي الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته"[1].

---

(1) الطبري، ج٢، ٣٦٩-٣٨١.

الوحدة الرابعة

إنشاء الدولة الإسلامية في المدينة المنورة

- مراحل بناء المجتمع الاسلامي:

أولاً: بناء المسجد.

ثانياً: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة.

ثالثاً: تنظيم العلاقات بين مختلف العناصر في المدينة المنورة (الصحيفة).

رابعاً: الجيش الإسلامي وبدأ الأعمال العسكرية.

- معركة بدر الكبرى.
- الفترة الممتدة بين معركتي بدر وأُحد (النشاط العسكري للمسلمين).
- غزوة بني سُليم بالكُدر.
- مؤامرة لاغتيال النبي ﷺ.
- غزوة بني قينقاع.
- غزوة السّويق.
- غزوة ذي أمر.
- غزوة بُحران.
- سرية زيد بن حارثة.
- معركة أُحد.
- حادثة يوم الرجيع.
- حادثة بئر معونة.
- إجلاء بني النضير.
- غزوة دومة الجندل.
- غزوة الخندق (غزوة الأحزاب).
- غزوة بني قريظه.



الوحدة الرابعة

إنشاء الدولة الإسلامية في المدينة المنورة

بدأ الرسول(ﷺ) ومنذ وصوله إلى المدينة المنورة، يستطلع المهام التي يمكن أن ينطلق منها ليؤسس الدولة الجديدة، وقاعدتها نشر الدعوة الإسلامية، والتآخي ما بين المهاجرين والأنصار، ووضع دستور جديد للدولة، وتشكيل الـدرع العـسكري لحمايتها والعمل على تحقيق أهدافها، ويتفق كثير من المؤرخين والمحدثين على أنّ العهد المدني يمك ن تقسيمه إلى ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة تأسيس المجتمع الإسلامي، وتمكين الدعوة الإسلامية.

المرحلة الثانية:مرحلة الصلح مع العدو، ومراسلة ملوك الدول المجاورة إلى الإسلام

المرحلة الثالثة: مرحلة إستقبال الوفود، ودخول الناس من مختلف الفروع والـشعب والبطون إلى الإسلام.

المرحلة الأولى: وهي مرحلة تأسيس المجتمع الإسلامي.

أولاً : بناء المسجد:

فعند وصول الرسول (ﷺ) إلى المدينة يوم الجمعة الثاني عـشر مـن ربيـع الأول من السنة الأولى للهجرة، حيث دخل الرسول (ﷺ) قُباء وهي ضـاحية أو قرية ومكث فيها أربعة أيام الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس ثم انتقـل إلـى المدينة، وكان راكباً ناقته القصواء حتى إذا أتت دار ابن النجار وبركت فيـه فـأمر الرسول(ﷺ) ببناء المسجد فيها، وكانت الأرض لغلامين يتيمين من بني النجـار، هما سهل وسُهيل إبني عمر واشتراها الرسول(ﷺ) منهما وبنى عليـه المـسجد،

وبنى إلى جانبه مساكنه التي انتقل إليها بعد أن استغرق بناؤها سبعة أشهر قضاها في ضيافة أبي أيوب[1].

ثم أمر ببناء المسجد ليكن المنارة الرئيسية للمسلمين وجعل قبلته إلى بيت المقدس، وأقيمت جدرانه من اللبن والطين، وسقفه من جريد النخيل، وعَمَدْه الجذوع، وفُرشت أرضه بالرمال والحصباء، وجُعلت له ثلاثة أبواب، وطوله من القبلة إلى المؤخرة مائة ذراع، ولم يكن المسجد موضعاً لأداء الصلوات، إنما كان منبراً علمياً وحضارياً، ومركزاً شوريّاً يلتقي فيه المسلمين ليتلّقوا فيه التعاليم والتوجيهات، وكان بمثابة بيت النواه ليتم فيه بناء الأسرة والجماعة، وأداه لصهر العادات والتقاليد، وتقام فيه حلقات العلم، والقضاء، والعبادة.

وفي أوائل الهجرة أمر الرسول (ﷺ) بالأذان لتُسمع في اليوم خمس مرّات، ويذكر أنّ أحد الصحابة وهو عبد الله بن زيد بن عبد ربه رضي الله عنه قد رآه في المنام فأقرّه الرسول(ﷺ)، وقد رآه في منامه عمر بن الخطاب فأقرّه أيضاً الرسول(ﷺ)[2].

ثانياً: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة:

وبعد تفكير أراد الرسول(ﷺ) أن يُنهي الأزمة المالية المعاشية التي مرّبها المهاجرين بعد مغادرتهم مكة، فقد قام بعمل رائع ألا وهو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وفي ذلك يقول ابن القيّم: "ثم آخى رسول الله(ﷺ) في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلاً نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار آخى بينهم على المواساة، ويتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر[3]، فلما أنزل الله عز وجل قوله تعالى: (وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ)[4].

---

(1) ابن هشام،١/ ٤٩٦، ابن سعد، ج١، ص٢٣٧.
(2) رواه الترمذي : كتاب الصلاة ، ١/ ٣٥٨ .
(3) المباركفوري ، ١٧٥ .
(4) الأنفال، الآية ٧٥.

ردت التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوّة، فاعتمد أسلوب المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وقال: " تآخوا في الله أخوين أخوين" فقد تآخى أبو بكر الصدّيق مع خارجة بن زهير، وعمر بن الخطاب مع عتبه بن مالك، وأبو عبيده مع سعد بن معاذ، وعبد الرحمن بن عوف مع سعد بن ربيع، والزبير بن العوّام مع مسلمه بن سلامة، وعثمان بن عفان مع أوس بن ثابت، وطلحة بن عبيد الله مع كعب بن مالك[1].

فيروي البخاري، ويقول: أنهم لما قدموا المدينة آخى رسول الله(ﷺ) بين عبد الرحمن وسعد بن الربيع فقال لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهم إليك فسمّها لي، أُطلّقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، وأين سوقكم؟ فدلّوه على سوق بني قينقاع، فمن أنقلب إلاّ ومعه فضل من أقطن وسمن، ثم تابع الغدو ثم جاء يوماً وبه أثر صفره، فقال النبي (ﷺ) (مُهيم) قال: تزوجت، كم سُقت إليها؟ قال: نواه من ذهب [2]، وبذلك تيسّرت سُبل النجاح في حياة الصحابة في المدينة المنورة حتى أنّ الله أراد لهم القوّة والعزيمة في نشر الدعوة وإلحاق الهزيمة بالمشركين في غزوة بدر، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾[3].

إن أهمية هذه الخطوة تكمن في كونها عززت من وحدة الأمة وتساندها وتماسكها بفضل المحبة والمودّة التي تفشّت بين افرادها لتؤلف منهم دولة جديدة أساسها الأخوّة، والمساواة والعدالة بين جميع افراد المجتمع .

---

(1) عاقل ، ١٧٦ .
(2) صحيح البخاري ١/ ٥٥٣ .
(3) الأنفال، آية ٧٥.

ثالثاً: تنظيم العلاقات بين مختلف العناصر في المدينة المنورة (الصحيفة):

رأى الرسول(ﷺ)هذا الاستقرار لأمور المسلمين من مهاجرين وأنصار ، أن يضع لهم دستوراً تتضح فيه المسؤوليات وتتضبط فيه العلاقات، خصوصاً وأنهم من أصول متفرّقة وبينهم تعيش فئة اليهود.

وقد أورد ابن هشام نص كتاب أورده ابن إسحاق وهو النص الذي كتبه الرسول(ﷺ) وحدّد فيه صورة العلاقات في المجتمع المدني الجديد بفئاته المختلفة وما يترتب عليهم من حقوق وواجبات، ويقول: " بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي(ﷺ) بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تَبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس، وأنّ المؤمنين لا يتركون مُفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف، وفي فداء أو عقل، وألاّ يُحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وأنّ المؤمنين المتقين على مَنْ بغي منهم أو ابتغى دسيعة (العظيمة) ظلم، أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليهم جميعاً، ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن، وإنّ ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وإنه من تبعنا من يهود فإنّ له النصر والإسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وإنه لا يجير مشرك ما لا قريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن، وإنه لا يحل لمؤمن أقرّ ما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر محدّثاً ولا يؤويه، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإنّ مردّه إلى الله عز وجل وإلى محمد(ﷺ) وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم (مواليهم وأنفسهم) إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ (يهلك) إلا نفسه وأهل بيته، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد(ﷺ)، وإنه لا ينحجز على ثأر جرح، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم

يأثم أمرؤ بحليفه وأن النصر للمظلوم، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الـــصحيفة، وإنه ما كان من أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرّدة إلى الله عز وجل وأهل محمد رسول الله(ﷺ) وإنه لا تجار قريش ولا من نـــصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يـــصالحونه ويلبـــسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه إلا من حارب في الدين، وأنه لا يحول هذا الكتـــاب دون ظالم أو أثم، وأنه من خرج آمن ومن قعد أمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم) [1].

لقد نصت هذه الصحيفة على ما جاء به القرآن الكريم من أن المـــسلمين أمـــة واحدة يتصفون بالتراحم، والتعاون، والاحتفاظ برابطة الولاء لله عز وجل ولرسوله الكريم ، ومراعاة حقوق وواجبات القربى والـــصُحبى، والجـــوار ونبـــذ العـــصبية الجاهلية وثاراتها والخضوع لنصوص هذه الصحيفة وقت السلم والحرب، والعمـــل على الاحتماء، واحترام الدولة؛ وأقرت الحرية الدينية ضمن ضوابط محـــددة ممـــا يبرز العمق السياسي والاجتماعي لما جاء فيها ، لذا أرسى الرسول(ﷺ) قواعـــد المجتمع الاسلامي الجديد ورفع من شأن ونظّم حياة أفـــراده ، اســـتعداداً للمرحلـــة القادمة المتمثلة في نشر الدعوة الاسلامية خارج المدينة المنورة وبقـــراءة متمعنـــة لما جاء في الصحيفة نستخلص الامور التالية :

١. أن المسلمين أمة واحدة من دون الناس.
٢. المهاجرون من قريش على رِبْعَتِهم (على حالهم قبل الاسلام) يتعاقلون بينهم، وهم يَفْدُون عَانِيهم(أسيرهم) بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وكل قبيلة من الأنصار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
٣. وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحًا (المثقل من الدين والعيال) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.
٤. وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دَسِيعة (عظيمة) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين.

---

(١) ابن هشام، ١/ ٥٠١-٥٠٤ .

٥. ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر.
٦. ولا ينصر كافرًا على مؤمن.
٧. وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم.
٨. وإن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.
٩. وإن سلم المؤمنين واحدة؛ لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم.
١٠. وإن المؤمنين يبيء(يمنع ويكف) بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.
١١. وإنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفسًا، ولا يحول دونه على مؤمن.
١٢. وإنه من اعتبط (قتله بلا جناية) مؤمنًا قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول.
١٣. وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه.
١٤. وإنه لا يحل لمؤمن أن ينصر محدثًا ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صَرْف ولا عَدْل.
١٥. وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله ورسوله ﷺ [١].

رابعاً : الجيش الإسلامي وبدء الأعمال العسكرية :

بدء الرسول (ﷺ) بإعداد جيش من المسلمين مهمته الجهاد في سبيل الله، ونشر الدعوة الإسلامية داخل الجزيرة العربية وخارجها ، والعمل على نشر الإسلام، وبناء الدولة الإسلامية الحديثة.

فقد شرع الله الجهاد في السنة الثانية للهجرة، ويتفق المؤرخون، والمحدثين أنّ شروع الجهاد هدفه:

([١])أبن هشام،ج١، ٥٠٣ – ٥٠٤

١. الدفاع عن النفس في حالة التعدي عليهم.

٢. الدفاع عن الدعوة وصد من يقف في سبيلها حتى لا يفتن أحد، ويرد المسلمين عن دينهم، ولا يخشى من يريد الدخول في الإسلام.

٣. محاربة المشركين والمغتصبين لأموالهم في مكة.

فقد نصت الآية (٣٩) من سورة الحج: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ) فالمبرر لهذه الآية هو القتال ضد قريش وأذاهم الذي لحق بالمسلمين في مكة ثم تلا هذه الآية آية (٣٩) من سورة الأنفال: (وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾) ثم قرّر الجهاد في الآية (٢١٦) من سورة البقرة أنه واجب على كل مسلم: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾) ثم جاء مبرر آخر في سورة التوبة وهي سورة مدنية: "وإن نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون" وكان أمر القتال قاصراً على قريش ومن يتفق معها من يهود المدينة فلّما انضمت بعض القبائل إلى قريش نزل قوله تعالى: (وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ) سورة التوبة، الآية ٣٦.

ثم دعت الرسالة المحمدية أن السلام هو الأساس في الإسلام وما اللجوء إلى القتال إلا لظروف قهرية أو جبرية أرادها المشركين لقوله تعالى: (لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟

إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾)[1].

ويأتي قوله تعالى: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾) وجاء مخاطباً المؤمنين المدافعين عن الإسلام، ورفع رايته ويتوعدهم بالخلود الدائم، والنعيم المقيم ولذة القربى من الله مخاطباً المؤمنين بقوله تعالى: (وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ) ولما أذن بالقتال رأى الرسول (ﷺ) أن يُبسط سيطرته على الطريق الرئيسي التي تسلكه قريش من مكة إلى الشام في تجارتهم، فعقد معاهدات الحلف وعدم الاعتداء مع القبائل التي كانت مجاورة لهذه الطريق وعقد معاهدة مع جُهينة قبل الأخذ في توجيه السرايا، وعقد معاهدات أخرى أثناء دورياته العسكرية، وعمل على إرسال السرايا الواحدة تلو الأخرى على هذا الطريق، حيث هدف الرسول(ﷺ) الى زعزعة الأمن التجاري، والأمن القبلي لقريش، فبعث السرايا وعمل على إرباكهم وإضعافهم، وتحطيم معنوياتهم، وشل نشاطهم التجاري، والحصول على موارد للتمويل والتسليح، وإنذار أعداء الدولة الإسلامية من غير قريش وحلفائها كاليهود في الداخل، وجماعات البدو في الخارج، بأنّ المسلمين قادرون على التصدي والرّد، وأن هذه السرايا كانت عبارة عن مناورات حيّة لجس نبض الأعداء، ومعرفة إمكاناتهم المادية والمعنوية وهذه السرايا هي :

([1]) سورة الممتحنة، الآية ٨.

١- سرية سيف البحر (سرية حمزة بن عبد المطلب):

أرسلها في رمضان في السنة الأولى للهجرة، وأمّر عليها حمزة بن عبد المطلب ومعه ثلاثين رجلاً من المهاجرين هدفها الوقوف في وجه عير قريش القادمة من الشام ، برئاسة أبو جهل بن هشام ومعه ثلاثمائة رجل، فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص، فالتقوا واصطفوا للقتال، فتدخل مجدي بن عمرو الجني (وهوحليفاً للفريقين) حتى جحز بينهم فلم يقتتلوا[١].

٢- سرية رابغ (سرية عبيدة الله بن الحارث) :

في السنة الأولى للهجرة من شوال، وأمّر عليهم الرسول (ﷺ) عبيدة بن الحارث بن المطلب في ستين رجلاً من المهاجرين، فلقى أبا سفيان ومعه مائتين في رابغ، وقد ترامي الفريقان بالنبل، ولم يقع قتال[٢].

٣- سرية الخرار (سرية سعد بن أبي وقاص):

في ذي العقدة من السنة الأولى للهجرة، بعث لها رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص في عشرين رجلا يعترضون عيراً لقريش، الا أنهم لم يجدوا العير [٣] .

٤- غزوة الأبواء أو ودان:

في صفر من السنة الثانية للهجرة، خرج رسول الله ﷺ فيها بنفسه في سبعين رجلاً من المهاجرين ليعترض عيراً لقريش، حتى بلغ ودان، واستخلف على المدينة سعد بن عبادة رضى الله عنه، وفيها عقد معاهدة حلف مع عمرو بن مخشى الضمري [٤] .

---

(١) المباركفوري ، ١٨٥ .
(٢) نفس المصدر السابق ، ١٨٥ .
(٣)نفس المصدر السابق ، ١٨٦ .
(٤)نفس المصدر السابق ، ١٨٦ .

٥- غزوة بواط:

في شهر ربيع الأول سنة ٢ هـ، خرج فيها رسول الله ﷺ في مئتين من أصحابه، يعترض عيراً لقريش فيها أمية بن خلف الجمحي ومائة رجل من قريش، وألفان وخمسمايةبعير،ووصل الى بواط ولم يجدهم واستخلف في هذه الغزوة على المدينة سعد بن معاذ، ولوائها أبيض، وحامله سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه[١].

٦- غزوة سفوان (غزوة بدر الاولى):

في شهر ربيع الاول سنة ٢ هـ، أغار كرز بن جابر الفهري في قوات خفيفة من المشركين على مراعي المدينة، ونهب بعض المواشي للمسلمين فخرج رسول الله ﷺ في سبعين رجلاً من أصحابه لمطاردته، حتى بلغ وادياً يقال له: سفوان من ناحية بدر، ولم يمسك به وسميت غزوة بدر الأولى. واستخلف في هذه الغزوة على المدينة زيد بن حارثة، وكان اللواء أبيض، وحامله علي بن أبي طالب[٢].

٧- غزوة ذي العشيره:

في جمادى الآخرة سنة ٢ هـ، خرج فيها رسول الله ﷺ في مائتين من المهاجرين، ولم ينل منها وكانت مقدمه لغزوة بدر الكبرى .
وفيها عقد الرسول ﷺ معاهدة عدم اعتداء مع بنى مدلج وحلفائهم من بنى ضمرة.
واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وكان اللواء أبيض، وحامله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه[٣].

---

(١)نفس المصدر السابق ، ١٨٦ .
(٢)نفس المصدر السابق ، ١٨٦ .
(٣)نفس المصدر السابق ، ١٨٦- ١٨٧ .

٨-سرية نخلة:

في السنة الثانية للهجرة من رجب وجه الرسول ﷺ عبدالله بن جحش، وطلب منه المسير ، فمرت عير لقريش، وفيها عمرو بن الخضرمي، وعثمان ونوفل ابنا عبد الله بن المغيرة، والحكم ابن كيسان مولى بني المغيرة. فتشاور المسلمون وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب الشهر الحرام، فإن قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم، ثم اجتمعوا على اللقاء، فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمي فقتله، وأسروا عثمان والحكم وأفلت نوفل، ثم قدموا بالعير والأسيرين إلى المدينة، وقد عزلوا من ذلك الخمس، وهو أو خمس كان في الإسلام، وأول قتيل في الإسلام، وأول أسيرين في الإسلام(١).

ونهاهم الرسول ﷺعن القتال في الشهر الحرام وجد المشركون فيما حدث فرصة لاتهام المسلمين بأنهم قد أحلوا ما حرم الله(٢)، وفي ذلك نزل قوله تعالى: (يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ) [البقرة: ٢١٧].

وبعد ذلك أطلق رسول الله ﷺ سراح الأسيرين، ،ودفع دية المقتول إلى أوليائه، ثم فرض عليهم القتال بعد هذه السرية ، وفي السنة الثانية للهجرة جاءهم أمر الله تعالى بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام(٣).

---

(١) أبن هشام،ج ١، ٥٩١-٦٠٥

(٢)المباركفوري ، ١٨٧- ١٨٨.

(٣)نفس المصدر السابق ، ١٨٨ .

أهداف السرايا التي بعثها الرسول ﷺ :

١. **الاستطلاع:** وذلك لمعرفة الطرق المحيطة بالمدينة والمؤدية إلى مكة، وخاصة طرق التجارة.

٢. **القتال:** وذلك لمعرفة قوة المسلمين ودفاعهم عن أنفسهم وعقيدتهم ليتمكنوا من نشر الدعوة الإسلامية.

٣. **الكتمان:** وذلك كاتباع استراتيجية حربية أتبعها الرسول(ﷺ) وذلك لحرمان العدو من معرفة تحركات المسلمين، واعتباره من عوامل المُباغته تجاه العدو.

٤. **الحصار الاقتصادي:** حيث أتبع الرسول (ﷺ) هذا الأسلوب ليهدد مكة وتجارتها، ويعمل على ضرب منافذهم الاقتصادية.

معركة بدر الكبـرى

(ليلة الجمعه ١٧ رمضان سنة ٢ هجري / ٦٢٤ ميلادي)

تعتبر هذه المعركة أول معركة فاصلة بين المسلمين والمــشركين، فيــذكر أنّ سببها أن قافلة كبيرة لقريش تضم ألف بعير قادمة من الشام صوب مكة يقودها أبــو سفيان (صخر بن حرب) وكانت العير تحمل ثــروات طائلــة لكبــار أهــل مكــة ورؤسائها ويقودها نحو أربعين تاجراً مكيّاً فوجدها المسلمين فرصة ليصيبوا أهــل مكة بضربة اقتصادية قاسية، فخاطبهم الرسول (ﷺ) قائلاً: (هذه عيــر قــريش، فأخرجوا إليها، لعل الله ينفلكموها) وتهيأ المسلمون للخروج لمهاجمة القافلة ، ولمــا علم أبو سفيان بنبأ تحرك المسلمين أرسل ضمضم بن عمر الغفاري وأمره أن يأتي قريشاً ويستنفرهم ويخبرهم بما حدث، ولما وصل ضمضم إلى مكــة حتــى جــدع بعيره (قطع أنفه) وحوّل رحله وشقّ قميصه وراح يصرخ يا معشر قريش اللطيمــة اللطيمة (أي الإبل التي تحمل البزّ، والطيب) أن محمداً قد تعرّض لأموالكم مع أبــي سفيان، ولا أرى أن تّدركوها وحضر الناس إلى الكعبة وهم يقولون أيظــن محمــداً وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي الذي قُتل في سرية إبن جحش وحشدوا له جيشاً مع قبائل العرب، ولم يتخلّف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عُدي، وكان تعداد جيشهم نحو ألف وثلاثمائة مقاتل في بداية سيره، وكان معهــم مائــة فــرس، وستمائة درع، وعدد كبير من الجمال .

وقد استطاع أبو سفيان أن يفلت من قبضة المسلمين، وأرسل إلى أهــل مكــة، ويقول لهم أنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم وأمــوالكم ورجــالكم، فقــد نجّاهــا الله فأرجعوا، الأّ أن أبا جهل أصرّ على الخروج والنزول ببدر، وأقسم أن يقيموا ببــدر ثلاثة أيام قائلاً: (والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم عليها ثلاثــاً، فننحــر الجــزر، ونّطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتُعزف علينا القيّان (الجواري) وتسمع بنــا العــرب وبمسيرنا، وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها فأمضوا).

ثم استعد الرسول ﷺ وأصحابه للخروج ومعه ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً، ولم يكن معهم إلا فرس أو فرسان: فرس للزبير بن العوام، وفرس للمقداد بن الأسود الكندي، وكان معهم سبعون بعيراً يتعقب الرجلان والثلاثة على بعير واحد، وكان الرسول وعلي ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يتعقبون بعيراً واحداً[1]، واستخلف على المدينة وعلى الصلاة ابن أم مكتوم، فلما كان بالروحاء، ردّ أبا لبابه ابن عبد المنذر، واستخلفه على المدينة[2].

ثم بعث الرسول ﷺ اثنين من اتباعه ليتحسا له الأخبار عن قافلة أبي سفيان، وانطلق هو وأصحابه في أعقابهما حتى عسكر قريباً من ماء بدر، وعندما حلّ المساء بعث بثلاثة من رجاله هم (الزبير بن العوّام، وعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص) على رأس جماعة من المسلمين، ليعرفوا الأخبار عن المشركين والقافلة، فألقوا القبض على اثنين من سُقاة قريش فأحضروهما إلى الرسول (ﷺ) فسألهم الرسول عليه الصلاة والسلام عن أخبار قريش، فقالوا هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوى القصوى، فقال لهم كم القوم؟ قالا: لا ندري، قال: كم تنحرون كل يوم، قال يوماً تسعاً ويوماً عشراً، فقال الرسول ﷺ القوم بين التسعمائة والألف، ثم سألهما: فمن فيها من أشراف قريش؟ فطفق يستعرضان عدداً من قادة قريش فيهم عُتبة وشيبة أبنا ربيعة، وأبو جهل، وأمية بن خلف، وسهيل بن عمر، وعمر بن عبدود.

ثم أقبل الرسول ﷺ على أصحابه فقال: هذه مكة ألقت إليكم أفلاذ كبدها وقد أدرك الرسول(ﷺ) رغم ضياع الهدف القريب المتمثل بقافلة أبي سفيان أنّ عليه أن يقود أصحابه إلى هدف أبعد، وأن تظلّ كلمتهم تتردد في جمبات الصحراء، والاّ يتراجع وجودهم العسكري الذي بنته السرايا السابقة صوب المدينة، فتكون الهزيمة بعينها في نظر العرب جميعهم.

---

(1) الامام احمد ، المسند / ١/١٢٥ – ١٣٨ .

(2) المباركفوري، ١٩٠

واستشار الرسول ﷺ أصحابه بالقتال مع المشركين من أهل قريش ،ونزل قوله تعالى فيهم: (كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾)[1].

ثم أجابه أبو بكر وعمر فأحسنوا الإجابة ثم قام المقداد بن عمر فقال: يا رسول الله أمض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾[2].

ولكن أذهب أنت وربك فقاتلا إنّ معكم مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سـرْت بنا إلى برك الغماد(برك الغماد: مدينة بالحبشة) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغـه، فقال لهم الرسول(ﷺ) خيراً ودعا له به، ثم أراد الرسول سـماع رأي الأنـصار فسألهم ﷺ أشيروا عليّ أيها الناس " وإنما يريد الأنصار" فقام سعد بن معاذ فقـال والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل قال سعد: " قد آمنا بك وصدّقناك وشهدنا إنما جئت به هو الحق، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معكم فوالـذي بعثـك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلّـف عنـك رجـل واحد فَسرْ، على بركة الله"فَسرّ الرسول ﷺ: ثم قال (سيروا وأبـشروا، فـإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم.[3].

ثم سار الرسول ﷺ من ذفران، فسلك على ثنايا، وقال لهـا: الأصـافر، ثـم انحطّ منها إلى بلد يقال له: الدُبة، وترك الحنان بيمين (وهو كثيب عظيم كالجبل) ثم نزل قريباً من بدر، ثم قام ومعه أبو بكر الصديق بعمليـه استكـشاف، فـإذا هـم يتجولان حول معسكر مكة إذ هما بشيخ من العرب، فـسأله الرسـول ﷺ عـن قريش، وعن محمد وأصحابه، ولكن الشيخ قال: لا أخبركما حتى تخبرانـي ممـن

---

(1) الأنفال، الآية ٥-٦.
(2) المائدة، الأية ٢٤.
(3) ابن هشام، ٦١٥ .

أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ: (إذا أخبرتنا أخبرناك) قال: أو ذاك بذاك؟ قال: نعم، قال الشيخ: فإنه بلغني أنّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به جيش المدينة، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، أي للمكان الذي به جيش مكة، ولما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ (نحن من ماء) ثم أنصرف عنه وبقي الشيخ يتفوّه: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟

وأنزل الله في تلك الليلة أمطاراً كانت خسارة على المشركين وطهارة للمسلمين مما منع المشركين من التقدم، وانزل في قلوبهم الرعب والخوف .

ويسبق جيش المسلمين المشركين إلى ماء بدر ، ثم اقترح سعد بن معاذ على الرسول ﷺ أن يبني المسلمون مقرّاً لقيادته استعداداً للطوارئ وتقديراً للهزيمة قبل النصر، حيث قال: (يا نبيّ الله ألا نبني لك عريشاً وتكون فيه، ونعدّ عندك ركائبك، ثم نلقي عدونا، فإن أعزّنا الله، وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، قد تخلّف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حُباً منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلّفوا عنك، يمنعك الله بهم، ينصحونك ويجاهدون معك[1]، فأثنى عليه رسول الله ﷺ ودعا له بخير وبنى المسلمون عريشاً على تل مرتفع يقع في الشمال الشرقي لميدان القتال ويشرف على ساحة المعركة، وتمّ اختيار فرقة من الأنصار يحرسون مقر قيادة رسول الله ﷺ، ثم عبّأ الرسول جيشه وتجول في ميدان المعركة وجعل يشير بيده، (هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله، وهذا مصرع فلان غداً إن شاء الله).

وفي تلك الليلة بات الرسول إلى جذع شجرة هناك وبات المسلمون مطمئنين على أنفسهم[2]. (إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً

---

(1) ابن هشام ج١ / ٦١٧ .

(2) مشكاة المصابيح ٢/ ٥٤٣ .

لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ)[1].

أما قريش فقضت ليلتها بعدم استقرار، وأقبل نفر منهم إلى البئر، فقال دعوهم فما شرب أحد منهم يومئذ إلا قُتل، سوى حكيم بن حزام، ويُذكر أنه أسلم بعد ذلك، ثم بعثت قريش عمير بن وهب الجمحي، ليتعرف على عدد جيش المسلمين فعاد إليهم، وقال لهم: ثلاثمائة رجل ثم حدث معارضة في جيش قريش تدعو بالعودة إلى مكة، ومشى حكيم بن حزام إلى عتبة بن ربيعة، فقال له: إنك كبيرهم والمطاع عندهم فقال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس، وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي المقتول في سرية نخلة، فقال عتبة قد فعلت أنت ضامن عليّ بذلك، إنما هو حليفي، فعلى عقله (ديته) وما أصيب من ماله، ثم قال عتبة لحكيم بن حزام: فأتي إبن الحنظليّة-(أبا جهل، والحنظلية أمة) فإني لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره[2].

وتحدث عتبة بن ربيعة الى أهل قريش قائلاً : إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر من وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا وخلّوا بين محمد والقبائل الاخرى، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون.

وأنطلق حكيم إلى أبي جهل قال: يا أبا الحكم إن عتبه أرسلني بكذا وكذا، فقال أبو جهل: كلاّ والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعتبة ما قال، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أكله جزور، وفيهم ابنه وهو أبو حذيفه بن عتبه كان قد أسلم قديماً وهاجر فتخوّفكم عليه، ولما بلغ عتبه قول أبي جهل،تردد في مراجعته ، فخاف أن تقوى هذه المعارضة، فبعث إلى عامر بن الحضرمي أخ عمر ابن الحضرمي المقتول في سرية عبدالله بن جحش، فقال هذا حليفك يقصد عُتبه يريد ان يعود بالناس، وقد رأيت ثأرك بعينيك، فقم فانشد خفرتك، ومقتل أخيك، فقام

---

(١) الأنفال، الآية ١١.

(٢)المباركفوري، ١٩٧ .

عامر فكشف عن أسته، وصرخ: واعمراه، واعمراه، فحمى القوم وحقب أمرهم واستوثقوا على ما هم عليه من الشر، ورد خطة عتبة .

وبدأت المواجهة بين المسلمين وقريش، وأمر الرسول صحابته ألا يهاجموا حتى يأذن لهم، وأن يبعدوا مهاجميهم القرشيين بالنبال، وسوّى صفوفهم، وعاد إلى العريش يصحبه أبو بكر الصديق وأخذ يقول " اللهم أن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبد ، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ".

فيرد عليه أبو بكر إن الله منجز لك ما وعدك وما لبث الرسول أن انتبه فجأة وقال: والفرح يكسو وجهه (أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع) وانطلق الرسول يحضّهم على القتال (والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة) [1].

وبدأت شرارة المعركة، بأن خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي وقال: أُعاهد الله لا شربنّ من حوضهم أو لأهدمنّه أو لأموتنّ دونه، فخرج إليه حمزه بن عبد المطلب فضربه فأطنّ قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دماً ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن تبرّ يمينه، ولكن حمزه ثنى عليه بضربه أخرى أتت عليه وهو داخل الحوض، ثم خرج عتبه وأخوه شيبه أبناء ربيعة، والوليد بن عتبه لمبارزة المسلمين فخرج إليهم ثلاثة من شباب الأنصار، عوف ومعوذ أبناء الحارث، وعبد الله بن رواحة، فقالوا من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار، قالوا: أكفّاء كرام، ما لنا بكم حاجة، وإنما نريد بني عمنا، ثم ناد مناديهم يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا فقال رسول الله ﷺ: (قم يا عبيده بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي) فلّما قاموا ودنوا منهم، قالوا من أنتم؟ فأخبروهم، فقالوا أنتم أكفاء كرام فبارز عبيده عتبه، وبارز حمزه شيبة، وبارز علي الوليد، فأما حمزه وعلي، فلم يمهلا قرينيهما أن قتلاهما، وأما عبيده فاختلف بينه وبين قرنه ضربتان، فأثخن كل واحد منهما صاحبه، ثم كرّ علي وحمزة على عتبه فقتلاه، واحتملا عبيده، وقُد قطعت رجله فلم ينزل ضمناً حتى مات بالصفراء بعد

([1]) ابن هشام، ٦٢٢-٦٢٨.

أربع أو خمسة أيام من الواقعة، ثم استشاط الكفار غضباً وكرّوا على المسلمين ثم ردوهم المسلمين، ثم أخذ الرسول حفنة من الحصباء واستقبل قريشاً بها وصاح: شاهت الوجوه وضربها بوجوههم ونادى أصحابه شدّوا، فحمل المسلمون حمله صادقة تسوقهم إلى أعدائهم موجه من الإيمان العارم ورغبة في الاستشهاد وأوحى الله إلى ملائكته: أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ [1]. وأوحى إلى رسوله: أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾[2]. أي يأتون دفعة دفعة، وراحوا يحصدون صناديد قريش، ويأسرون أبطالها، وما لبثت الهزيمة، أن حاقت بالمشركين مخلّفين وراءهم سبعين قتيلاً، ومثلهم أسرى.

أما خسائر المسلمين فقد بلغت أربع عشر شهيداً، ستة من المهاجرين،وثمانية من الأنصار، والتمس الرسول(ﷺ) رأس أبي جهل فجاء به عبد الله بن مسعود.

أهم التشريعات التي أبرزتها هذه الغزوة :

١. **توزيع الغنائم:** قال تعالى: ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ[3].

٢. **رد المواريث إلى الأرحام:** وذلك لمن أسلم بعد الولاية بين المهاجرين والأنصار، وبذلك ألغى نظام المؤاخاة وذلك لقوله تعالى: وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ۗ[4].

---

(١) الأنفال، ١٢
(٢) الأنفال ٩
(٣) سورة الأنفال
(٤) سورة الأنفال

٣. **تقسيم الأنفال:** وذلك لقوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، ثم توجّه الرسول إلى مكان يُقال له **سير** فقسّم هذه الغنائم بين المسلمين.

٤. **معاملة الأسرى:** وفي ذلك استشار أصحابه فقال أبو بكر يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والأخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فعسى أن يهديهم الله فيكون لنا عضدا، ثم سمع إلى قول عمر بن الخطاب: فقال أرى أن تُمكني من فلان (قريب له) فأضرب عنقه، وتمكّن علياً من عقيل بن أبي طالب فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هِوادة للمسلمين، ثم مال قلب الرسول(ﷺ) إلى رأي أبي بكر[١].

وفي اليوم الآخر أتيت إلى النبي وأبي بكر وهما يبكيان، فقلت يا رسول الله: أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فقال الرسول(ﷺ):" أبكي الذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء، فقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة، وأنزل الله قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾﴾[٢]. وأذن الله لهم بأخذ الفدية من الأسرى، لقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾[٣]. وفي فداء أسراهم، ففُدي كل أسير بين الألف والأربع آلاف درهم، ومَنْ لم يكن يملك منهم شيئاً، مَنّ عليه

---

(١) تاريخ عمر، لابن الجوزي، ٣٦

(٢)سورة الأنفال/الآية٦٧-٦٨

(٣)سورة محمد/الآية ٤

الرسول (ﷺ) ومنهم الشاعر أبو عزّة الجُمعي، وكان فداء بعض الأسرى الذين يعرفون الكتابة يعلّم عشرة صبيان،

الأسباب التي أدت إلى انتصار المسلمين في غزوة بدر الكبرى:

١. خضوع المسلمين لتوجيهات سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام باعتباره القائد العام للمسلمين.

٢. التعبئة التي شكّلها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام من جيشه الحديث في القتال واستخدامه أسلوب الصفوف، بينما استخدم المشركون أسلوب الكر والفر. [١].

٣. عقيدة المسلمين المؤمنة بالله والهادفة إلى رفع كلمة الله.

٤. رفع المعنويات في جيش المسلمين من قبل الرسول (ﷺ) [٢].

العبر والعظات من غزوة بدر الكبرى :

لقد كانت غزوة بدر أولى المعارك الإسلامية الحاسمة التي خاضها المسلمين ضد قريش، وهدف المسلمين من ورائها الاستيلاء على عير قريش، إلا أن إرادة الله انعكست ليكن نصراً عظيماً، وعملاً ينسجم مع نشر الدعوة الإسلامية، والجهاد في سبيل الله والتضحية بأنفسهم، وردَّ عليهم غنائم اكتسبوها بطريقة شرعية بدلاً من أموالهم التي أخذت منهم عنوة وهم في مكة المكرمة .

ثم أبرزت مبدأ التشاور ولم تقتصر على الفئة المهاجرة، إنما اشركت فئة الأنصار لتجمع المسلمين على كلمة واحدة، كما أجازت إرسال العيون لجلب الأخبار، ومعرفة قوتهم وعددهم، ولم يُغفل الرسول(ﷺ) طلبه من الله النصر وقت الشّدة، وجاءت بنص صريح من القران الكريم لتبين أنّ للشهداء بقوله تعالى

---

(١) خطاب/الرسول القائد/ص ٧٨-٨٤

(٢) خليل/دراسة السيرة/ص ١٨٦

: {أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون}وهذه من كرامات الله للشهداء، وهذا ما أثبته الطب الحديث لكرامات الشهداء، وذلك أنّ أجسامهم لا تبلى، ويحفظها الله، وان الشهادة اصطفاء، وتكريم للمؤمنين، فكرّمهم الله في الدنيا وحفظ أجسادهم في القبور، ورفع من شأنهم في الدنيا والآخرة.

فجاء قول أبي هريرة رضي الله عنه:" أيستطيع أحدكم أن يقوم فلا يفتر، ويصوم فلا يفطر ما كان حيّاً؟ قيل: ومَنْ يُطيق ذلك يا أبا هريرة؟ قال: والذي نفسي بيده أنَّ نوم المجاهد في سبيل الله أفضل منه".

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي (ﷺ): " لغدوة في سبيل الله أو روحة خيرٌ من الدنيا وما فيها "رواه مسلم.

وقوله الشريف: " أنَّ للجنة مائة درجة، أعدَّ الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنها وسط الجنة وأعلاها، وفوقها عرش الرحمان، ومنه تُفجَّر أنهار الجنة " رواه البخاري.

نتائج غزوة بدر الكبرى :

أنها أعلت من شأن المؤمنين الذين دافعوا عن الدعوة ، وكسرت شوكة أعداء الإسلام وخاصة قتل أبي جهل، وعدد آخر من الكفار، وهزّت قوة المشركين حيث أبلغهم أبو جهل: بأنّ محمداً ليس بالسهل، وعزّزت قوة الرسول (ﷺ) في المدينة، كذلك انتعاش حال المسلمين المادي وذلك بأن أفاء الله عليهم من غنائم، وزاد التضامن بين المهاجرين والأنصار ودخل كثير من المشركين في الإسلام.

ما بعد بدر الكبرى :

لقد كانت غزوة بدر أول لقاء بين المسلمين والمشركين، أذ حققت لهم نصراً مؤزراً وحاسماً، فمنذ أن انتصر المسلمون في غزوة بدر كان اليهود يحترقان غيظاً وحنقًا على المسلمين؛ (۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ

وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ) [المائدة:٨٢]، والمنافقين من أهل المدينة ويمثلهم عبدالله بن ابيّ، والقبائل البدوية الضاربه حول المدينة، لم يكن يهمهم مسألة الكفر والإيمان، ولكنهم كانوا أصحاب سلب ونهب، فأخذهم القلق، واضطربوا لهذا الانتصار، وخافوا أن تقوم في المدينة دولة قوية تحول بينهم وبين اكتساب قوتهم عن طريق السلب والنهب، فجعلوا يحقدون على المسلمين وصاروا لهم أعداء، وأخذ اليهود يظهرون العدواة للمسلمين ويجهزون لهم[١].

غزوة بني سُلَيم بالكُدْر:

في السنة الثانيه للهجرة من شوال بلغ الرسول (ﷺ) أخبار بني سليم وبني غَطَفَان أنهما يحشدان قواتهما لغزو المدينة، فباغتهم النبي ﷺ في مائتي مسلم حتى بلغهم بموضع في الكُدْر. ففر بنو سليم، وتركوا في الوادي خمسمائة بعير اصبحت غنيمه للمسلمين ، وقسمها رسول الله ﷺ بعد إخراج الخمس فأصاب كل رجل بعيرين، وأصاب غلاما يقال له: (يسار) فأعتقه. وأقام النبي ﷺ في ديارهم ثلاثة أيام، ثم رجع إلى المدينة[٢].

مؤامرة لاغتيال النبي ﷺ :

بعد الهزيمه التي حلت بالمشركين استشاط اليهود غضباً من الرسول (ﷺ) اتفق عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية في الحِجْر بعد وقعة بدر بوقت قصير (وكان عمير من شياطين قريش ممن كان يؤذي النبي ﷺ وأصحابه وهم بمكة) وكان ابنه وهب بن عمير في أساري بدر، فذكر أصحاب القَلِيب ومصابهم، فقال صفوان: والله إن في العيش بعدهم خير.

---

(١)أبن هشام، ج٢، ٤١؛ المباركفوري ، ٢١٣ .

(٢)نفس المصدر السابق، ٢١٤ .

قال له عمير: صدقت والله، أما والله لولا دَيْن على ليس له عندي قضاء، وعيال أخشي عليهم الضَيّْعةَ بعدي لركبتُ إلى محمد حتى أقتله، فإن لي قِبَلَهُمْ عِلَّةً، ابني أسير في أيديهم، فاغتنمها صفوان وقال: عليّ دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيإلى، أواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم[1].

فأجابه عمير: فاكتم عني شأني وشأنك. قال: أفعل. ثم أمر عمير بسيفه فشُحِذَ له وسُمَّ، ثم انطلق حتى قدم به المدينة، فبينما هو على باب المسجد ينيخ راحلته رآه عمر بن الخطاب فقال عمر: هذا الكلب عدو الله عمير ما جاء إلا لشر. ثم دخل على النبي ﷺ، فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير قد جاء متوشحاً سيفه، قال: (فأدخله علي)، فأقبل إلى عمير فلَبَّبَهُ بحَمَالة سيفه، وطلب من أصحابة أن يدخلوا على رسول الله ﷺ، فراقبوه ، فلما رآه رسول الله ﷺ، وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه، قال: (أرسله يا عمر، ادن يا عمير)، فدنا وقال: أنْعِمُوا صباحاً، فقال النبي ﷺ: (قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة).

ثم قال: (ما جاء بك يا عمير ؟) قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم، فأحسنوا فيه. قال: (فما بال السيف في عنقك؟) قال:قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئاً ؟ قال: (اصدقني، ما الذي جئت له ؟) قال: ما جئت إلا لذلك.

قال: (بل قعدتَ أنت وصفوان بن أمية في الحِجْر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني، والله حائل بينك وبين ذلك).

قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان،

---

(1)نفس المصدر السابق، ٢١٤ -٢١٥ .

فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم تشهد شهادة الحق. فقال رسول الله ﷺ: (فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره)وبشرهم صفوان بخبر حسن سيقوم به عمير ، فأجابه احدهم أن عمير أسلم ، فغضب صفوان لذلك الخبر[١].

---

(١) أبن هشام، ج١، ٦٦١ – ٦٦٣ ، المباركفوري ، ٢١٦ – ٢١٧ .

غزوة بني قينقاع

(السنة الثانية للهجرة)

تتلخص احداثها انه أراد اليهودي شاس بن قيس إثارة البلبه بين مجموعة من الأوس والخزرج يجلسون مع بعضهم فذّكرهم بأيامهم ، وكادت أن تقع بينهم ولما بلغ الخبر الرسول ﷺخاطبهم قائلاً : (يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوي الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم) [1] ، وحالوا اليهود التضيق في سبل العيش على الذين آمنوا بالرسول ﷺ، وكانوا يهود بني قينقاع يسكنون داخل المدينة في حي باسمهم، وكانوا صاغة وحدادين وصناع الظروف والأواني وهم أول من نكث العهد والميثاق من اليهود.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر، وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع. فقال: (يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً). قالوا:يا محمد، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا [2] ، فأنزل الله تعالى: (قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَاۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾) [آل عمران ١٢، ١٣].

---

(1)أبن هشام، ج١، ٥٥٥

(2)نفس المصدر السابق، ج٢، ٤٧ – ٤٨ .

وسبب الغزوة أن امرأة من العرب قدمت بجَلَبٍ لها، فباعته في سوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ، فطلب منها تكشف عن وجهها، فأبت، فَعَمَد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها وهي غافلة فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع [1].

ولما بلغ الرسول ذلك جهز جيشاً وحاصرهم في معاقلهم خمس عشرة يوماً حتى أستسلموا للرسول ﷺوتوسط كبير المنافقين عند الرسولﷺ عبد الله بن أبي سلول ليخلي سبيلهم فرفض نفاقه وتوسطه، وطلب منهم الرسول ﷺ أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أذْرُعَات الشام، فقل أن لبثوا فيها حتى هلك أكثرهم.

وقبض رسول الله ﷺ منهم أموالهم، فأخذ منها ثلاث قِسِي ودرعين وثلاثة أسياف وثلاثة رماح، وخمس غنائمهم، وكان الذي تولي جمع الغنائم محمد بن مسلمة[2].

غزوة السَّوِيق (السنة الثانية للهجرة) :

لم يهدأ لأبي سفيان بال حتى يرد اعتبارهم، وثأرهم ليحفظ مكانة قومه، ويظهر ما لديهم من قوة، وكان قد نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً، فخرج في مائتي راكب ليبِرَّ يمينه، حتى نزل بصدْر قَناة إلى جبل يقال له: ثَيبٌ، من المدينة ، ولكنه لم يجرؤ على مهاجمة المدينة جهاراً، ودخل في ضواحي المدينة في الليل مستخفياً متخفياً، فأتي حيي بن أخطب، فاستفتح بابه، فأبي وخاف، فانصرف إلى سَلاَّم بن مِشْكَم سيد بنِي النضير، فاستأذن عليه فأذن، فَقَرَاه وسقاه الخمر، وبَطَن له من خبر الناس، ثم خرج أبو سفيان في عقب ليلته حتى أتي

([1])المباركفوري ، ٢٢٠ .

([2]) أبن هشام، ج٢، ٤٨؛ نفس المرجع السابق ، ٢٢١ .

أصحابه، فبعث مفرزة منهم، فأغارت على ناحية من المدينة يقال لها: العُرَيض، فقطعوا وأحرقوا أشجار النخيل، وقتلوا رجلاً من الأنصار ، وفروا راجعين إلى مكة، ولما بلغ الخبر الى الرسول ﷺ ، طاردهم ولم يمسك بهم ، وتركوا بعض من أسواقهم وأزوادهم وتمويناتهم، وتابعهم الرسول ﷺ إلى قَرْقَرَةِ الكُدْر [1].

غزوة ذي أمَرّ: (السنة الثالثة للهجرة)

إذ أن جمعاً من بني ثعلبة ومحارب جمعوا جيشاً كبيراً ، يريدون الإغارة على المدينة، ولم بلغ الرسول ﷺجهز جيشاً قوامه أربعمائة وخمسين مقاتلاً ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان.

وفي الطريق وقع بأيديهم رجل يقال له: جُبَار من بني ثعلبة، وجئ به الى رسول الله ﷺ، فدعاه إلى الإسلام فأسلم، وصار دليلاً لجيش المسلمين إلى أرض العدو، ولما بلغهم الخبرتفرقوا في رؤوس الجبال وأقام جيش المسلمين شهر صفر عند ماء " ذي أمر" ليشعروا بقوة المسلمين، ، ويستولي عليهم الرعب والرهبة، ثم رجح إلى المدينة[2].

غزوة بُحْران: (ربيع الآخر من السنة الثالثة للهجرة)

توجه الرسول ﷺ بدورية قتال كبيرة، قوامها ثلاثمائة مقاتل، إلى أرض يقال لها: بحران (وهي مَعْدِن بالحجاز من ناحية الفُرْع) فأقام بها شهر ربيع الآخر ثم جمادى الأولى، ثم رجع إلى المدينة، ولم يحدث بينهم قتال [3].

---

(1)نفس المصدر السابق، ٤٩ ؛ المباركفوري ، ٢٢٢ .

(2) زاد المعاد، ج٢، ٩١

(3)أبن هشام، ج٢، ٥٠-٥١

سرية زيد بن حارثة : (السنة الثالثة للهجرة)

توجهت دورية لمنع تجارة قريش المارة من طريق الساحل من نجد شرقي المدينة بقيادة صفوان بن أمية، وتم أسر دليلها فرات بن حيان ورجلين ثم أسلم فرات[١].



(١)نفس المصدر السابق، ٥١

غزوة أُحد

(٧ شوّال سنة ٣هـجري /٦٢٥ميلادي)

بعد هزيمة قريش التي حلت بهم في معركة بدر، أخذت قريش تعد العدّة كي تثأر من المسلمين في أعقاب الهزيمة التي حلّت بهم، واتفقت قريش على أن تُجهِّز ضد المسلمين لتردَّ هيبتها وتشفي غيظها، وبرز صناديد جدد يُلَّوحون لخوض معركة جديدة ضد المسلمين، مثل (عكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وأبو سفيان،وعبدالله بن ابي ربيعه)، قد حجزوا العير التي أنقضها ابو سفيان، وخاطبوا قريشاً قائلين يا معشر قريش: إنّ محمداً قد وتركم (ظلمكم) وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه، لعّلنا أن نُدرك منه ثأراً فوافقوه [١].

وأخذوا يُحرّضون القبائل ضد المسلمين مثل كنانه، وأهل تُهامه، والأحابيش، وزاد ذلك عودة أبي سفيان من غزوة السَّويق وما أصابهم في سرية زيد بن حارثة، وجمعوا جيشاً تعداده ثلاثة آلاف مقاتل من قريش وحلفائهم، واصطحبوا معهم خمس عشرة امرأة،ومعهم مائتا فرس، وسبعمائة درع، وثلاث آلاف بعير يقودهم أبي سفيان، وقيادة الفرسان الى خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل وما أن لبثت حتى وصلت تحركات العدو لملاقاة جيش المسلمين .

ويسير أبي سفيان بطريقه الى الأبواء لنبش قبر أم الرسول(ﷺ) بناءاً على اقتراح هند زوجة أبي سفيان،إلا أنّ هذا الاقتراح واجه الرفض[٢]، وسلكوا وادي العقيق، ثم انحرف الى اليمين حتى نزل بجبل أُحد(أُحد: هوالجبل المعروف بالمدينة المنورة، وسمي بهذا الإسم لتوّحده، وانقطاعه عن جبال أخرى) (انظر الكامل في التاريخ، وابن كثير في البداية والنهاية) في مكان يُقال له عينين في بطن السبخة من

([١]) المباركفوري ، ٢٢٥ .
([٢])نفس المصدر السابق ، ٢٢٧ .

قناة على شفير الوادي الذي يقع شمال المدينة بجانب أُحد فعسكر هناك يوم الجمعة السادس من شهر أيلول في السنة الثالثة للهجرة .

واستشار الرسول ﷺ أصحابة فيخبرهم عن رؤية قد رآها قال: " إني قد رأيت والله خيراً، رأيت بقراً يُذبح، ورأيت في ذُباب سيفي ثُلماً،ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة ". وتفسير ذلك البقر تبقر من أصحابه يُقتلون، والثُلمة رجل من أهل بيته يُصاب، ثم استمع الى رأي: بأن يتحصنوا في المدينة، ويدافعون عن أنفسهم ويوافق هذا الرأي عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين، وهو من زعماء الخزرج ولكن إرادة الله افتضح أمره، ثم بادر جماعة من الصحابة الذين لم يخرجوا يوم بدر، فطلبوا من الرسول (ﷺ)الخروج لملاقاة الأعداء، ثم استقرّ رأي الرسول (ﷺ)على الخروج لملاقاة جيش المشركين.

وصلّى النبي(ﷺ) بهم يوم الجمعة، ورفع من همتهم ومعنويتهم وطلب منهم الجدَّ في ملاقاة العدو، ويُعاتبهم سعد بن معاذ وأُسيد بن حُضير فقالا: استكرهتم الرسول (ﷺ)على الخروج، فردوا الأمر إليه، فندموا جميعاً على ما قالوا. فلما خرج الرسول قالوا يا رسول الله: ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت، إن أحببت أن تمكث في المدينة فافعل، فقال رسول الله (ﷺ): " ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته (درعه) أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه "[١].

ثم قسم الرسول جيشه الى ثلاث كتائب:

١. كتيبة المهاجرين وأعطى لواءها لمصعب بن عُمير العبدري.
٢. كتيبة الأوس من الأنصار وأعطى لوائها لأُسيد بن حُضير.
٣. كتيبة الخزرج من الأنصار واعطى لوائها للحبّاب بن المُنذر.

---

(١)ابن الأثير/ج٢/ص١٠٤؛ابن كثير/ج٤/ص١٣؛الطبري/ج٢/ص٥٠٣.

وبلغ تعداد جيشه ألف مقاتل واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم وأثناء خروجه رأى كتيبة مُنفرده فسأل عنهم فأجابوه أنهم اليهود من حلفاء الخزرج فسألهم هل اسلموا؟ فقالوا: لا، فأبى أن يستعين بمشاركتهم في القتال لأنهم على الشرك. [١].

وعند استعراض جيشه أجاز لرافع بن خديج وسمره بن جُندب على صِغر سنّهما، ثم اختار خمسين رجلاً لحراسة المعسكر بقيادة محمد بن مسلمه الأنصاري،وبات في هذا المكان بين أُحد والمدينة،وعند صلاة الفجر وبمقربة من العدو انسحب عبد الله بن أبي سلول ومعه ثلاث مائة مُقاتل متظاهراً بالاحتجاج مبرراً ذلك، بأنّ الرسول (ﷺ) ترك رأيه، وأطاع غيره. وكان هدفه إثارة البلبلة والإضطراب في صفوف المسلمين، وزعزعة معنوياتهم، وكاد أن يحقق هدفه فقد همّت طائفتان هما بنو حارثه من الأوس، وبنو سلمة من الخزرج، أن تفشل وهمّتا بالرجوع والإنسحاب، وذلك لقوله تعالى: (إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾) [٢].

إلا أنّ إرادة الله قد ثبتتهم، وتابع الرسول(ﷺ) سيره نحو العدو فقال: " مِن رجل يخرج بنا على القوم من كثب(قرب) من طريق لا يمرُّ بنا عليهم " فقال أبو خثيما: أنا يا رسول الله، ثم اختار طريقاً ليصل الى أُحد تاركاً جيش المشركين الى الغرب، وماراً بحرّة بني حارثة، ومرّ الجيش بحائط مربع بن قيضي، وهو من المنافقين، ضرير البصر، فلمّا أحسّ قام يحثوا التراب في وجوه المسلمين ويقول لا أحلُّ لك أن تدخل حائطي إن كنت رسول الله، فأراد القوم قتله فمنعهم الرسول وقال لهم: هذا الأعمى أعمى القلب، أعمى البصر.

ثم وصل الرسول ﷺ الى الجبل وعبّأ صفوفه واختار خمسين مُقاتلاً بقيادة عبد الله بن حُبير بن النعمان الأنصاري الأوسي البدري، وأمرهم بالتمركز على قمة الجبل، وقال لقائدهم:" انضح الخيل عنّا بالنبل، لا يأتون من خلفنا، إن كانت لنا أو

([١])المباركفوري ، ٢٢٨ .

([٢]) سورة آل عمران/الآية ١٢٢

علينا فاثبت مكانك،لا نؤتين من قبلك "[١] وقال للرُماه: " احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تُشركونا "[٢] ثم جعل على الميمنة المنذر بن عمرو على الميسرة الزبير بن العوّام، ويسانده المقداد بن الأسود وكانت مهمة الزبير الصمود في وجه فرسان خالد بن الوليد وردهم عن المسلمين.

وفي صبيحة يوم السبت السابع من شهر شوّال في السنة الثالثة للهجرة نادى بأصحابه وهو يُثير حماستهم ويقول مَن يأخذ هذا السيف بحقه فسأله أبو دُجانه: وما حقّهِ يا رسول الله؟ أجابه: أن تضرب به العدو حتى ينحني، فقال أبو دُجانة: أنا آخذه بحقهِ يا رسول الله وأخذ السيف وهو يتبختر فقال رسول الله (ﷺ): " إنها لمشيةٌ يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن " [٣].ثم عصّب رأسه بعصابة حمراء واندفع الى قلب المعركة لا يعترضه أحد من المشركين إلاّ وقتله.

أما جيش المشركين فقد تمت تعبئتهم بقيادة أبي سفيان،وعلى ميمنته خالد بن الوليد، وعلى ميسرته عكرمة بن أبي جهل،وعلى المُشاة صفوان ابن أمية وعلى رماة النبل عبد الله بن ربيعة، ثم أرسل أبا سفيان الى الأنصار يقول لهم: خلّوا بيننا وبين ابن عمنا فننصرف عنكم فلا حاجة لنا الى قتالكم الأ أن الأنصار ردّوا عليه وخيّبوا طلبه، وفي محاولة أخرى فقد جنّدوا أبا عامر عبد عمرو ابن صيفي الرّاهب الذي أطلق عليه الرسول (ﷺ) بالفاسق. وخرج الى الأنصار ويقول يا معشر الأوس أنا أبو عامر. فقالوا: لا أنعم الله بك يا فاسق [٤].

وأخذت هند بنت عتبة ونساء من قريش يُثيرنّ الحماسة، ويضربنّ الدفوف، ويحرّكنَّ مشاعرهم لقتال المسلمين، ثم التقى الطرفان وخرج طلحة بن أبي طلحة العبدري ينادي هل من مُبارز؟ وقفز إليه الزبير وقتله فكبّر المسلمون وقال الرسول:" إنّ لكل بني حوارياً، وحواري الزبير"، ثم اندلعت نيران المعركة فتقدم حمزة لأبو شيبة (عثمان بن أبي طلحة) فضربه ضربة بترت يده مع كتفه، ثم رفع

---

(١)أبن هشام، ج٢، ٦٥ – ٦٦

(٢)فتح الباري ٧/ ٣٥٠ .

(٣) المباركفوري ، ٢٣١ .

(٤) نفس المرجع السابق ، ٢٣٢ .

اللواء أبو سعد بن أبي طلحة فأصابه سعد بن أبي وقاص بسهمٍ أصاب حنجرته، ثم رفع اللواء مُسافح بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح بسهمٍ فقتله، ثم حمل اللواء أخوه كلاب بن طلحة فهجم عليه الزبير فقتله، ثم حمل اللواء الجُلاّس بن طلحة بن أبي طلحة فطعنه طلحة بن عُبيد الله فقضى عليه، ثم حمله من بني عبد الدار أرطأة بن شرحبيل فقتله علي بن أبي طالب ثم حمله شُريح بن قارض فقتله قزمان، ثم حمله أبو زيد عمرو بن عبد مناف فقتله قزمان، ثم حمله ولد لشرحبيل بن هاشم العبدري فقتله قزمان، ثم حمله غلام حبشي اسمه صؤاب فقُتل، ودارت معركة حاسمة أبلى فيها المسلمون بلاء عظيم وأخذ حمزة يقطف رؤوس القُرشيين، واحداً تلو الآخر لولا أن كمن له وحشي وهو عبد جُبير بن مطعم وكان عمه طُعيمه بن عدي قد أُصيب يوم بدر فطلب منه جُبير إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق. [١]

ويقول وحشي وكنت أراقب تحركات حمزه، واتبصرُها حتى رأيته مثل الجمل الأورق فهززت حربتي حتى دفعت بها في ثنّه (أحشائه) حتى خرجت من بين رجليه وذهب لينوء نحوي فغلب، وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتي ثم رجعت الى العسكر، ولما عُدت الى مكة عُتقت، واستمر المسلمون رغم هذه الخسارة التي وقعت فيهم من قتل حمزة. [٢]

وهذا حنظلة الغسيل: وهو حنظلة بن أبي عامر. وكان حنظلة حديث عهده بعُرس وكان في أحضان عروسه فأسرع ودخل ساحة القتال والتقى مع أبي سفيان لولا شدّاد بن الأسود الذي ضربه حتى قتله لقضى على أبي سفيان. [٣]

وأخذ يهاجم خالد الرُماة، الا أنه فشل في هجماته الثلاث. ودارت بينهم معركة حتى كاد جيش المشركين يتفتت عن اليمين والشمال ولم تستطع قريش ردَّ هجوم المسلمين، وانهزمت من أمام المسلمين، وتبعهم المسلمون يقتلون ويغنمون، وينزل الرُّماه عن الجبل ليجمعوا الغنائم مع أصحابهم، ولم يستجيبوا لنداء رئيسهم عبد الله

---

(١)ابن هشام ، ج٢ ، ٦٧ .
(٢)نفس المصدر السابق ، ج٢ ، ٦٩ – ٧٢ .
(٣)المباركفوري ، ٢٣٦ .

بن جُبير، أنسيتم ما قال لكم رسول الله (ﷺ) وبقي معه تسعة من الصحابة ثم يُجهز عليهم خالد بن الوليد ليدور من خلفهم ويتبعه عكرمة بن أبي جهل فقتلوهم، ثم انقضوا على المسلمين من خلفهم، وأسرعت امرأه من المشركين واسمها عمره بنت علقمة الحارثية فرفعت لواء المشركين، واحاطوا بالمسلمين من الأمام والخلف، وكان الرسول (ﷺ) مع مجموعة من أصحابه يرقُب ملاحقة المسلمين بالمشركين،فما أن بوغت بفرسان خالد والتحم القتال مع المشركين وأخذوا يقتلون على غير نظام ورُمي الرسول(ﷺ) بالحجارة حتى شُقت شفته وكُسرت رُباعيته وشُج في وجهه وأخذ الدم يسيل على وجهه، فيمسحه وهو يقول،كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم، وأسرعت إليه فاطمة وعلي ليغسلا عنه الدم، ولما رأت أن الماء يزيد الدّم، اتخذت قطعة حصير فأحرقتها حتى صارت رماداً ثم ألصقته بالجرح، فأنزل الله عزّ وجل: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾)[1].

ثم أخذ يدعو ويقول: " اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون "[2] وأثناء ذلك شاع الخبر بأن الرسول(ﷺ) قد قتل، وخرج ضعاف الإيمان يقولون فما مقامنا هنا إذا كان قد قُتل الرسول وذهبوا يولون الأدبار وأخذ أنس بن النضر يقول بل ما فائدة حياتكم بعد رسول الله (ﷺ)، ثم أشار الى المنافقين والى ضعاف الإيمان قائلاً: اللهم إني أبرءُ إليك مما يقول هؤلاء وانطلق يقاتل المشركين حتى قُتل.

وما أن هدأت الحرب بين الطرفين وانصرف المشركين فرحين بنصرهم فزع الناس بقتلاهم ، وتأثر النبي بمقتل عمه حمزه وقد مثّل به وبقربطنه وجدع انفه وأُذناه واشتد حزنه [3].

---

(1) سورة آل عمران/الآية ١٢٨
(2)صحيح مسلم ، ٢/ ١٠٨ .
(3) أبن هشام، ج٢، ٦٨

قال ابن مسعود: ما رأينا رسول الله ﷺ باكياً قط أشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب.وضعه في القبلة، ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نَشَع من البكاء، وكان منظر الشهداء مريعاً جداً يفتت الأكباد[1]. قال خباب: إن حمزة لم يوجد له كفن إلا بردة مَلْحَاء، إذا جعلت على رأسه قَلَصَت عن قدميه، وإذا جعلت على قدميه قلصت عن رأسه، حتى مدت على رأسه، وجعل على قدميه الإِذْخَر . وقال عبد الرحمن بن عوف: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه، وروي مثل ذلك عن خباب، وفيه: فقال لنا النبي ﷺ: (غطوا بها رأسه، واجعلوا على رجليه الإذخر). ثم أمر رسول الله ﷺ بدفنه مع عبد الله بن جحش، وهو ابن أخته، وأخوه من الرضاعة[2].

روي الإمام أحمد: لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون، قال رسول الله ﷺ: (استووا حتى أثني على ربي عز وجل)، فصاروا خلفه صفوفاً، فقال: (اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مبعد لما قربت. اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم، الذي لا يحُول ولا يزول. اللهم إني أسألك العون يوم العيلة، والأمن يوم الخوف. اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا. اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين. اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين. اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك. اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق)[3].

---

(1)نفس المرجع السابق ، ٧٣ . .

(2)زاد الميعاد ، ٢/ ٩٢ .

(3)صحيح البخاري / ٦٩٩ .

ثم أمرهم بأن يجمع بين الرجلين من القتلى في ثوب واحد ثم يقول أيهم أكثر أخذاً للقرآن فإذا أشير إلى أحدهم قدمه في اللحد وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامه وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يُصلي عليهم ولم يُغسلوا، وفقدوا نعش حنظلة فتفقدوه فوجدوه في ناحية فوق الأرض يقطر منه الماء، فأخبر رسول الله (ﷺ) أصحابه أن الملائكة تغسله ثم قال: (سلوا أهله ما شأنه) فسألوا أمرأته فأخبرتهم الخبر ومن هنا سُمي حنظلة: غسيل الملائكة[1].

وأظهر اليهود والمنافقون الشماته بما حل بالمسلمين فهذا كبير المنافقين عبدالله بن سلول يقول: لو أطعتمونا ما قُتل منكم من قُتل وأخذوا يتساءلون عن النصر فأنزل الله قوله تعالى: " وإذ غدوت من أهلك تبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم" [2]. ثم عاد رسول الله (ﷺ) من أحد إلى المدينة وأخذ المسلمون يداون جرحاهم.

وفي صباح الأحد أمر بلال أن ينادي بالمسلمين الذين خرجوا معه يوم أُحد ولوائه معقود، فأعطاه إلى علي بن أبي طالب وخرج القوم وجرحاهم ويرافقهم الجو المشؤوم، وعسكروا بحمراء الأسد قريب من المدينة بعشرة أميال، ثم أوقد المسلمون ناراً عظيمة حتى تُرى من المكان البعيد، وتوهم كثيرة من أصحابها، ثم مر بهم معبد الخزاعي وهو من المشركين وبعد أن رأى ذلك من المسلمين تجاوزهم، ومر بالمشركين وكانوا يريدون العودة إلى المدينة للقضاء على المسلمين، وكان صفوان بن أمية ينهاهم عن العودة للمسلمين،ثم دار حوار بين أبي سفيان، ومعبد فقال له أبو سفيان: ما وراءك يا معبد؟ فقال: ويحكم أن محمداً قد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ويتحرقون عليكم تحرقن، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أرى مثله قط وتأتي إرادة الله لتدخل الرعب في قلوبهم، وهبّوا مسرعين عائدين إلى مكة، ثم أقام الرسول في حمراء الأسد أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء ثم عاد إلى المدينة[3].

---

(1) أبن هشام، ج٢، ٨٨-٩٥ ؛ زاد الميعاد ، ٢/ ٩٤- ٩٥ .

(2) سورة آل عمران/ الآية ١٢١-١٦٨.

(3) الطبري/ ج٢/ ص٥٣٤؛ ابن الأثير/ ج٢/ ص١١٣؛ ابن كثير/ ج٤/ ص٤٨.

العبر والعظات من معركة أُحد :

١. أهمية مبدأ الشورى بين المسلمين والالتزام بما اتفق عليه المسلمون.
٢. ظهور المنافقين قبل بدء المعركة.
٣. رفض الرسول(ﷺ) الاستعانة بالمشركين والكفار في المعركة إلى جانب المسلمين وذلك لقوله الشريف: " لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك".
٤. إشتراك صغار السن من المسلمين في القتال، إنما يظهر صورة رائعة للعقيدة الراسخة عند المؤمنين.
٥. إتصاف عبقرية الرسول(ﷺ) بالذكاء والحنكة في المعارك العسكرية والتي تجلت بحنكته وطلبة من المسلمين بإشعال النيران.
٦. بالرغم من الهزيمة التي حلت بالمسلمين إلا أن الرسول(ﷺ) وأصحابه قد ثبتوا بالحرب والعودة إلى ميدانها في اليوم الثاني.
٧. لم ينكر الرسول(ﷺ) تبختر أبي دُجانه في المعركة، وإن دل على شيء إنما يدل على قوة إيمانه طلبه لنيل النصر أو الشهادة وإعلاء كلمة الله.
٨. كانت الإشاعة حول موت الرسول(ﷺ) لها من الحكمة والبراعة في ثبات المؤمنين على نشر دينهم وعدم ضعفهم وعدم هزيمتهم في المعركة عند سماع مقتل الرسول (ﷺ) وذلك لقوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾).
٩. أظهرت صورة المؤمنين المحبين لنبيهم والحامين له بأجسادهم من النبال.
١٠. ظهور جواز دفن شهداء المسلمين بدمائهم ولم يصلي عليهم وجمع بين الرجلين في قبر واحد.

١١. الصبر والخضوع لأوامر النبي أو القائد إنما هو احراز للنصر والثبات في المعركة وخذل العدو[١].

حادثة يوم الرجيع:

في السنة الثالثة للهجرة قدم وفد من قبائل عضل والقارة على رسول الله(ﷺ) يطلبون منه أن يبعث معهم من يعلمهم الدين الإسلامي، ثم بعث معهم مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت، وخبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، وعبدالله بن طارق وأمّر عليهم عاصم بن ثابت.

وعند وصولهم مكان ما بين عسفان ومكة حتى أحاط بهم جماعة من بني لحيان من هذيل يقدّرعددهم بمائة رجل، فقاتلوهم حتى قُتلوا ولم يبقى إلا خبيب وزيد فأسروهما وباعوهما في مكة، أما خبيب فاشتراه بنو الحارث فقتلوه، وزيد اشتراه صفوان بن أمية فقتله[٢].

حادثة بئر معونة:

في السنة الرابعة للهجرة قدم عامر بن مالك المشهور بملاعب الأسنة، وأهدى الرسول(ﷺ) فرسين، وراحلتين، فرفض الرسول (ﷺ) هذه الهدية وقال له لا أقبل هدية مشرك، وعرض عليه الرسول الإسلام، فرفض بسبب مركزه في قومه، وأظهر وداً وعطفاً على الإسلام، ثم طلب من الرسول (ﷺ) أن يبعث معه رجالاً إلى أهل نجد فيدعوهم إلى أمرك، فقال الرسول إني أخاف عليهم أهل نجد فقال له: لا تخف عليهم، أنا لهم جار، فبعث سبعين رجلاً من أصحابه فساروا حتى نزلوا ببئر معونه وهي بين أرض بني عامر وحدة بني سليم.

فلما نزلوا بعثوا بكتاب إلى عامر بن الطفيل أحد رجالات بني عامر فلم ينظر في الكتاب وقتل الرسول ثم استصرخ عامر بن الطفيل قبائل من قبائل بني سليم

---

(١) البوطي/ فقه السيرة، ص ٢٤١-٢٥١

(٢) الطبري، ج١، ص٥٣٨-٥٤٢، ابن الأثير، ج٢ ص١١٥-١١٦، ابن كثير، ج٤، ص٦٢-٦٧.

(عُصية ورعل) فأجابوه وداهموا المسلمين وهم في رحالهم وأحاطوا بهم فقتل المسلمون عن آخرهم، ولم ينجى منهم إلا عمر بن أمية الضمري، لأنه كان بعيداً عنهم ثم عاد ووجد أصحابه قد قتلوا فأُخذ اسيراً، ومن ثم أطلق سراح عامر بن طفيل بعد أن جزّ ناصيته. والثاني كعب بن زيد الذي جرح في المعركة، وظنوه قتيلاً وعاد عمر إلى المدينة ليخبر الرسول (ﷺ) بما جرى في بئر معونه، وفي عودته صادف رجلين من بني عامر كان لهما من رسول الله(ﷺ) أمان فقتلهما انتقاماً لأصحابه دون عمله بأمان الرسول لهما ولما قدم أبلغ الرسول بما حدث فقال له الرسول(ﷺ)، بئس ما صنعت قد كان مني لهما أمان وجوار، وبعث الرسول بديتهما إلى قومهما[١].

إجلاء بني النضير:

في السنة الرابعة للهجرة خرج الرسول ﷺ فصلى في مسجد قباء ومعه نفر من أصحابه ثم طلب من بني النضير إعانته في أمر دية الرجلين العامريين اللذين قتلهما عمر بن أمية الضمري وذلك لأنه كان بين بني النضير وبني عامر حلف[٢].

فجلس إليهم وطلب منهم أن يعنيوه بدفع دية الرجلين الكلابين اللذين قتلهما عمرو الضمري، فقالوا له: نفعل يا أبا القاسم، ما أحببت إلا أنهم هموا بغدره فأصروا عليه تناول الطعام، ثم خلا بعضهم إلى بعض يتباحثون الأمر فقال لهم حيي بن أخطب: يا معشر اليهود قد جاءكم محمد في نفير من أصحابه لا يبلغون عشرة فأطرحوا عليهم حجاره من فوق هذا البيت فاقتلوه، وكان الرسول(ﷺ) يجلس مسنداً ظهره إلى بيت من بيوت بني النضير فإن قُتل تفرق أصحابه فلحق من كان معه من قريش وبقي من هاهنا من الأوس والخزرج حلفاؤكم [٣].

---

(١) ابن هشام ، ج٢ / ١٨٣- ١٨٦ .
(٢) ابن كثير، ج٤، ٧١.
(٣) المصدر السابق، ص٤٨٦.

وقام رجل منهم وجلب صخرة ليرميها على الرسول(ﷺ)، فشعر الرسول بما يدبر له وعادة هو وأصحابه إلى المدينة قبل تنفيذ جريمتهم وحدثهم بما هم به بني النضير وأمرهم بالتجهيز لحربهم، وجمع لهم جيشاً وخرج اليهم وأمرهم بقطع نخيلهم وحرقه وتحصنوا بحصونهم وحاصرهم طويلاً وقلت مواردهم واشتد بهم الخوف، لذا طلبوا من الرسول(ﷺ) أن يجلوا من المدينة وأن يكفّ عن دمائهم ويسمح لهم بأخذ ما تستطيع الإبل حمله من متاعهم فقبل الرسول(ﷺ) وتفرقوا بين خيبر، والشام ونزلت بهم سورة الحشر، ثم بين حُكم الأموال التي تركوها وسماها فيئاً[١].

غزوة دومة الجندل:

وفي ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة حدثت غزوة دومة الجندل وخرج فيها ألف مقاتل من أصحابه ليفرّق تجمعاً مُعادياً من قبائل قضاعة وغسان، كانوا يعدون ضده ويهدفون إلى غزو الحجاز[٢].

ودومة الجندل تبعد ٥٠٠ ميل عن المدينة، والسبب في خروج الرسول إليها أن خطوط المواصلات بين الشام والمدينة كانت تتعرّض لهجمات معادية، وتوّقف وصول المؤن إلى المدينة، وسبب آخر رد القبائل العربية القاطنة في الشمال لمنعها للإنظمام إلى تحالف تقيمة قريش ضده ولذلك أعطاه قوة إستراتيجية دفعته إلى إمكانية التوسع في الجزيرة العربية، وعند وصوله إلى هذا الموقع هربت جموع قضاعة وغسان، وأمر أصحابه بالعودة إلى المدينة بعد أن غنموا بعض الإبل والشاه[٣].

---

(١) ابن هشام، ج٢ / ١٩٠ – ١٩٢ .
(٢) ابن كثير، ج٤، ٧٣.
(٣) البلاذري، ج١، ص٣٤١.

غزوة الخندق (غزوة الأحزاب):

حدثت في شوال من السنة الخامسة للهجرة وسميت بالخندق لأن الرسول(ﷺ) أحاط المدينة بخندق ليحول دون مهاجمة العدو لها وصده عنها وسميت بغزوة الأحزاب لأن قريشاً قد انضم إليها قبائل عربية ويهودية شاركوها في الحرب ضد المسلمين، أما سببها فيذكره البلاذري بقوله: "أن رسول الله (ﷺ) لما أجلى بني النضير أتوا خيبر، فلما قدموها، خرج حيي بن أخطب، وكُنانة بن أبي حقيق اليهودي وغيرهما، حتى أتوا مكة، فدعوا أبا سفيان بن حرب وقريشاً إلى قتال الرسول (ﷺ)، فسُرّ أبا سفيان بذلك وعاقدهم على ما دعوه إليه.

ثم أتت يهود غطفان، فجعلوا لهم تمر خيبر سنة على أن يعينوهم على حرب رسول الله (ﷺ)، فأنعموا لهم بذلك وأجابوهم إليه وكان عينيه بن حصن الفزاري أسرع القوم إلى إجابتهم، ثم أتوا بني سُليم ابن منصور، فسألوهم مثل ذلك، فانجدوهم، وساروا في جميع العرب ممن حولهم، فنهضوا معهم" وبذلك تألف تحالف يهودي قرشي يضم قبيلتي بني قينقاع وبني النضير وقريش وبعض القبائل العربية من بني غطفان وبني سليم وبلغ الخبر إلى الرسول " فندب المسلمين إلى قتال الأحزاب وخرج فارتاد لعكسر المسلمين موضعاً وأشار عليه سلمان الفارسي بالخندق، ولم تكن العرب تُخندق عليها، فجعل سلعاً (اسم جبل بشمال المدينة) وراء ظهره، وأمر فحفر الخندق أمامه، وجعل المسلمون يتحارسون في عسكرهم"[١].

ويذكر البلاذري أن قبيلة بين قريظة امتنعت من المظاهره على النبي (ﷺ).

وبدء المسلمون بحفر الخندق واعترضت سلمان الفارسي وفرقته صخرة، فطلبوا من سلمان أن يرفع ذلك إلى الرسول (ﷺ) ولما بلغ ذلك الرسول أخذ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لبتيها، فكّبر الرسول وكبر المسلمون تكبير الفتح، ثم ضربها ثانية فصدعها وبرق منها برقة أضاءت ما بين لبتيها فكبروا للمرة الثانية، ثم ضربها الثالثة

---

(١) البلاذري، ج١، ص٣٤١

فكسرها وبرق منها برقة أضاءت ما بين لبتيها فكبروا تكبيرة الفتح وأجابهم لما أضاءت للمرة الأولى أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى، والضربة الثانية أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم، والضربة الثالثه أضاءت لي منها قصور صنعاء، وأخبرهم أن جبريل قد بشّره النصر.

ثم انتدب أبو سفيان حيي بن أخطب التعزلي ليستميل قومه عن العهد الذي بينهم وبين الرسول (ﷺ) ثم عدلوا عن حلفهم مع الرسول[1]. ولم بلغ الرسول ذلك أرسل إليهم سعد بن معاذ وسعد بن عباده ولم تحققا من الخبر وعلم المسلمون بذلك دخل الذعر بينهم وعدا الأحزاب يحيطون بالمسلمين، ويشير القرآن الكريم إلى ذلك: (إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾)[2].

وأمر الرسول (ﷺ) مجموعة من الصحابة لحراسة المدينة من غارات بني قريظة، ويذكر البلاذري أنه جرت مراسلات بين أبي سفيان والرسول (ﷺ) يتوعده، ويرد عليه الرسول بنصر من الله، ثم أراد القرشيون إيجاد منفذ للخندق إلا أن المسلمين كانوا لهم بالمرصاد، وحدثت مبارزات فردية بين أفراد من الطرفين خلال فترة الحصار.

إلا أن آثار الحصار كان سيئاً على المسلمين، لذلك طلب الرسول (ﷺ) من نعيم بن مسعود الغطفاني تفريق كلمة الأحزاب وذلك عند مجيئه إلى الرسول (ﷺ) ليعلن إسلامه، وكلفه الرسول (ﷺ) وقال له: " إنما أنت فينا رجل واحد، فخذّل عنا أن استطعت فإن الحرب خدعة"[3].

---

(1) ابن سعد، ج٢، ص٦٧

(2) سورة الأحزاب الآية ١٠-١١

(3) ابن هشام، ج٢ ، ٢٢٩.

ثم توجه إلى بني قريظة وحدثهم " إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره وأن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونسائهم بغيره فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزه أصابوها، وأن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم"[١].

ثم سألوه النصيحة فأشار عليهم أن لا يقاتلوا مع قريش وغطفان حتى يأخذوا منهم رهائن من أشرافهم، فقبلوا رأية ثم توجه إلى أبي سفيان وقال له أن بني قريظة خانتة وستعود لحلفها إلى محمد وتسلمه سبعين رجلاً من أشراف قريش وغطفان ليضرب أعناقهم ويعيد بن النضير إلى يثرب، واشار عليهم ألا يعطوا بني قريظة ما تطلبه من رهائن، ثم ذهب إلى غطفان ونصحها بعدم إعطاء رهائن[٢].

وفي اليوم التالي أرسل أبو سفيان إلى بني قريظة أنه سيحارب محمداً، وردوا عليه سيكون غداً السبت وهم لا يقاتلون فيه ولا يعملون عملاً ولن يقاتلوا حتى يأخذوا منهم رهائن ونجحت الخطة بين جميع الأطراف ثم عاد أبو سفيان إلى حيي بن أخطب لمعاودة الكرة مع بني قريظة إلا أنه فشل، ثم أرسل الله ريحاً شدديده في ليلة مظلمة شاتية شديدة البرد، فدمرت خيامهم وقلبت قدورهم وفي اليوم التالي ولوا الأدبار كلهم، وعاد الرسول (ﷺ) وصحبه إلى المدينة[٣].

بعث الرسول(ﷺ) إلى عُينية بن حصن يعرض عليه ثلث ثمر نخيل المدينة خلال الحصار إلا أن عُينية طلب النصف فرفض صحابة الرسول(ﷺ) أن يعطوه شيئاً سوى السيف[٤]. وكانت هذه حيلة أيضاً لتفريق كلمة المشركين، أما نتائجها فقد استشهد من المسلمين ستة أشخاص، وقُتل من الأحزاب ثلاثة رجال.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص ٢٢٩-٢٣٠
(٢) نفس المصدر السابق، ص٢٣٠
(٣) هيكل، ٣٢٧-٣٣٧.
(٤) البلاذري، ج١، ص٣٤٦

العبر المستفادة من غزوة الخندق:

- ضم تحالف قريش عشر آلاف مقاتل، بينما لم يستطع سيدنا محمد(ﷺ) تجميع ثلاث آلاف مقاتل.
- أتبع الرسول (ﷺ) أستراتيجية حربية جديدة ضد الآحزاب.
- وحدة صف المسلمين، ووقوفهم وراء قائدهم كان له الأثر الأيجابي ضد عدوهم.
- أهتزت هيبة قريش بين القبائل المتحالفه معها، وفقدت مصداقيتها، وانعكس ذلك على تجارتها مع بلاد الشام.
- بدءت قريش تفكر جلياً بمهادنة محمد وأصحابه، لتحفظ ماء وجهها أمام القبائل الأخرى، وتستمر بتجارتها مع بلاد الشام، وحماية قوافلها التجارية.
- بالرغم من كل المكر والدسائس التي أتبعتها قريش، الا أنّ نصر الله قريب (ومكروا ومكر الله، والله خير الماكرين).

غزوة بني قريضه:

توجه الرسول (ﷺ) وأصحابه بعد غزوة الأحزاب إلى بني قريضة في السنة الخامسة للهجرة ليقاضيهم على نقض العهد وقد حاصرهم خمسة وعشرين ليلة حتى دب الرعب والخوف في قلوبهم، فقبلوا أن يحكم بهم سعد بن معاذ حليفهم السابق، فكان حكمه أن تقتل المقاتل منهم وأن تُسبى النساء والذرية، وأن تقسم اموالهم بين المسلمين[1]. فأجابه الرسول(ﷺ)، وقال لهم: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات [2]، وبذلك طُهّرت المدينة من اليهود.

([1]) نفس المصدر السابق، ص٣٤٧

([2])صحيح البخاري ، ٢ / ٥٩٢ .



الوحدة الخامسة

الفتح الإسلامي خارج المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ

- فتح مكة.
- غزوة بني لحيان.
- البعوث والسرايا التي بعثها الرسول ﷺ.
- غزوة ذي قرد.
- غزوة بني المصطلق.
- البعوث والسرايا بعد غزوة بني المصطلق.
- عمرة الحديبية.
- توجيه الرسائل الى ملوك وأمراء القبائل العربية.
- ما بين الصلح وفتح مكة.
- غزوة ذات السلاسل.
- غزوة خيبر.
- عمرة القضاء.
- غزوة مؤتة.
- فتح مكة.
- غزوة حنين.
- حصار الطائف.
- غزوة تبوك.
- عام الوفود.
- حجة الوداع.



الوحدة الخامسة

الفتح الإسلامي خارج المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ

فتح مكة :

برزت أهمية مكة المكرمه لمكانتها الدينية ووجود الكعبة المشرفة فيها ومكان نزول الرسالة على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لتطهيرها من الأصنام والأوثان، ثم نقضت قريش صلحها الحديبية مع المسلمين، وعمل على إخضاع مكة للدولة الأسلامية ونشر الأسلام فيها وتضم الكعبة المشرفة، باعتبارها أرض الرسالات ، وثاني قبلة المسلمين .

المراحل التي سبقت فتح مكة.

غزوة بني لحيان:

في السنة السادسة للهجرة خرج الرسول(ﷺ) إلى بني لحيان يطالبهم بأصحابه يوم الرجيع ولما علموا بقدومه هربوا واعتصموا برؤوس الجبال ثم عاد إلى المدينة دون أن يلقي كيداً[1].

البعوث والسرايا التي بعثها الرسول ﷺ :

١ ــ سرية عُكَّاشَة بن مِحْصَن:

في السنة السادسة للهجرة من ربيع الأول، خرج عكاشة إلى الغَمْر في أربعين رجلاً ، (ماء لبني أسد)، ولما بلغهم خبر مجئ المسلمين فروا وهربوا، وعاد المسلمين ومعهم مائتا بعير [2].

---

(1)ابن هشام /٥٧٥ .

(2)المباركفوري ، ٢٨٤ .

٢ ــ سرية محمد بن مَسْلَمَة:

في نفس السنة، خرج ابن مسلمة إلى ذي القَصَّة ومعه عشرة رجال، فكمن القوم لهم وعددهم مئة، فلما ناموا قتلوهم إلا ابن مسلمة عاد وهو جريح [١].

٣ ــ سرية أبي عبيدة بن الجراح:

في نفس السنة من ربيع الآخرة، بعثه الرسول ﷺ للاخذ بثأر سرية محمد بن مسلمة في ذي القصة، فخرج ومعه أربعون رجلاً ، فساروا ليلتهم مشاة، ووصلوا بني ثعلبة مع الصبح فأغاروا عليهم، فهربوا الى الجبال، وأسروا رجلاً واحداً فأسلم، وأخذوا ما بقي كغنائم[٢].

٤ ــ سرية زيد بن حارثة:

في السنة السادسة للهجرة من ربيع الآخر، خرج زيد إلى الجَمُوم (والجموم ماء لبني سليم في مَرِّ الظَّهْرَان) فأصاب امرأة من مُزَيْنَة يقال لها: حليمة، فدلتهم على محلة من بني سليم فأسروا وغنموا[٣].

٥ ــ سرية زيد:

توجه زيد إلى العِيص في مائة وسبعين رجلاً في نفس السنة ، حيث أخذ المسلمين عير قريش، أفلت منهم أبو العاص (كان قائدها) فأتي زينب فاستجار بها، وسألها أن تطلب من رسول الله ﷺ رد أموال العير عليه ففعلت، وأشار رسول الله ﷺ على الناس برد الأموال من غير أن يكرههم، فأجابوا ما طلب

---

(١)نفس المرجع السابق ، ٢٨٤ .
(٢)نفس المرجع السابق ، ٢٨٤ .
(٣)نفس المرجع السابق ، ٢٨٤ .

الرسول حتى رجع أبو العاص إلى مكة، وأدي الودائع إلى أهلها، ثم أسلم وهاجر، وردّ له زينب[١] .

٦ ــ سرية زيد:

توجه زيد في السنة السادسة للهجرة من رجب في اثني عشر رجلاً إلى وادي القري؛ لرصد تحركات العدو، فهجم عليهم السكان ؛ وقتلوا تسعة وأفلت ثلاثة فيهم زيد بن حارثة[٢].

٩ ــ سرية الخَبَط:

بعث الرسول ﷺ سرية بقيادة أبو عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة رجل من المسلمين ، لرصد عيراً لقريش، فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط، فسمي جيش الخبط، فنحر الرجال تسع جزائر ،حتى نهاهم أبو عبيدة ، فألقي إلينا البحر دابة يقال لها: العَنْبَر، فأكلنا منه نصف شهر، وادَّهَنَّا منه حتى ثابت منه أجسامنا، وشفيت، وأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه، فنظر إلى أطول رجل في الجيش وأطول جمل، فحمل عليه، ومر تحته، وتزودنا من لحمة وَشَائِق، فلما قدمنا المدينة، أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا له ذلك، فقال: (هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمة شيء تطعمونا؟) فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه[٣].

غزوة ذي قرد:

بعد أن عاد الرسول (ﷺ) إلى المدينة بعد غزوة بني لحيان بليال قليلة جاءته أخبار غارة قام بها عينية بن حصن الفزاري في خيل من غطفان على إبل للرسول(ﷺ) كانت ترعى في مكان يقال له (الغابة قرب المدينة باتجاه الشام)

---

(١)نفس المرجع السابق ، ٢٨٥ .
(٢)نفس المرجع السابق ، ٢٨٥ .
(٣)نفس المرجع السابق ، ٢٨٥- ٢٨٦ .

وكان يرعاها ابن أبي ذر الغفاري وأمرأته ليلى، فقتلوه، وأخذوا المرأة مع الإبل وهربوا.

ثم أرسل الرسول(ﷺ) سعد بن زيد يناوشهم لحين لحاق الرسول وصحبه بهم، وأستطاع سعد أن يسترد عشراً من الإبل التي كانت عدتها عشرين ولحق بهم الرسول (ﷺ) في موقع يقال له (ذي قرد) وقد مضوا ومعهم بقية الإبل وأمر الرسول(ﷺ) بعدم لحاقهم وعادو وصحبة قافلين إلى المدين وأعاد المرأة معه، وكان خسارتهم شهيداً واحداً(١).

غزوة بني المصطلق:

وعند عودته إلى المدينة حيث أقام فيها حتى شهر شعبان من السنة السادسة للهجرة، خرج يريد بني المصطلق، وعلم أنهم يجمعون للإغارة على المسلمين بقيادة الحارث بن ضرار، فبعث بُرَيْدَة بن الحصيب الأسلمي لتحقيق الخبر، فأتاهم، ولقي الحارث بن أبي ضرار وكلمه، ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر. فلّما علم بذلك، خرج إليهم فلقيهم على ماء يقال له(المريسيع من جهة قُديد) ووقعت بينهم معركة أنهزم فيها الخزاعيّون، وغنم منهم المسلمين أبنائهم، ونسائهم، وأموالهم، فقسّم ذلك بين المسلمين (٢).

وكان في السّبي جويرية بنت الحارث بن ضرار فتزوجها الرسول(ﷺ) وقد أدى ذلك الزواج إلى إطلاقهم السّبي الذي كان في أيديهم أكراماً للرسول الله(ﷺ) الذي أصهر إليهم. وتذكر عائشة فتقول " لقد اعتق بتزوجه اياها مئة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم أمرأة كانت أعظم على قومها بركة منه ". وأهم وقائعها ما حنقه عبدالله بن ابي على المسلمين بعد إسلام الأوس والخزرج، إذ اتفقوا على

---

(١) الطبري، ج٢، ص ٥٩٦-٦٠٤.
(٢) ابن هشام، ص (٢٨١).

سيادته، فصرفهم عن ابن أبي، فكان يرى أن رسول الله ﷺ هو الذي استلبه ملكه.

وكانت له اتصالات ببني النضير يتآمر معهم ضد المسلمين حتى قال لهم: (لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾) (سورة الحشر، الاية ١١).

وكذلك فعل هو وأصحابه في غزوة الأحزاب من إثارة القلق والاضطراب وإلقاء الرعب والدهشة في قلوب المؤمنين .

حادثة الإفك:

لم يكتفي يهود المدينة من معادة الرسول العلنية إنما كانوا ينتظرون الفرصة للمساس به فيتخذون من هذه الحادثه فتنة لتثير البلبة بين الرسول وزجه أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها ، حيث خرجت مع الرسول في غزوة بني المصطلق بقرعه مع زوجاته وإثناء عودتهم من الغزوة نزلوا في مكان، فخرجت عائشة لحاجتها، ففقدت عقداً لأختها كانت أعارتها إياه، فرجعت تلتمس عقدها ، فجاء النفر الذين كانوا يحملون هَوْدَجَها فظنوها فيه فحملوا الهودجولا يعرفون أنها فيه ؛ وعند حملهم الهودج لم ينكروا خفته، وعادت ولم تجدهم ، وظنت أنهم سيفقدونها فيرجعون في طلبها، فغلبها النعاس فنامت، فلم تستيقظ إلا بقول صفوان بن المُعَطَّل: إنا لله وإنا إليه راجعون، زوجة رسول الله ﷺ؟ إذ كان صفوان يتفقد رحيل الجيش، فلما رآها عرفها، وكان يراها قبل نزول الحجاب، فاسترجع وأناخ راحلته، فقربها إليها، فركبتها، وما كلمها كلمة واحدة، ولم تسمع منه إلا استرجاعه، وسار بها حتى الحقها الركب، فلما رأي ذلك الناس تكلم كل منهم بشاكلته، وما يليق به، ووجد الخبيث عدو الله ابن أبي متنفساً، فتنفس من كرب النفاق والحسد الذي بين

ضلوعه، فأخذ ينشر سمومه في المدينة، ورسول الله ﷺ ساكت لايتكلم، ثم استشار أصحابه، لما تأخر نزول الوحي طويلاً.

أما عائشة فلما رجعت مرضت شهراً، وهي لاتعلم عن حديث الإفك شيئاً، سوي أنها كانت لا ترى من رسول الله ﷺ اللطف الذي كانت تعرفه حين تشتكي، فلما نَقِهَتْ خرجت مع أم مِسْطَح إلى البَرَاز ليلاً، فعثرت أم مسطح في مِرْطِها، فدعت على ابنها، فاستنكرت ذلك عائشة منها، فأخبرتها الخبر، فرجعت عائشة واستأذنت رسول الله ﷺ؛ لتذهب الى والديها لتعرف الخبر، وأتتهما حتى عرفت الأمر، فجعلت تبكي، وجاء رسول الله ﷺ في ذلك، فتشهد وقال: (أما بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب إلى الله تاب الله عليه)[1].

وطلبت من والديها أن يجيب ويردا على الحدث ، فقالت: والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم، وصدقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقونني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتُصَدِّقُنّي، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا قول أبي يوسف، قال: (وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾) [يوسف: ١٨]

ثم نزل الوحي ليبرئها من فوق سبع سموات ويرد كيد المتآمرين ، فَسُرِّي عن رسول الله ﷺ وهو يضحك. فكانت أول كلمة تكلم بها: (يا عائشة، أما الله فقد

---

(1)أبن هشام،ج٢، ٢٩٧ – ٣٠٧ .

برأك)، فقالت لها أمها: قومي إليه.. فقالت عائشة ــ إدلالاً ببراءة ساحتها، وثقة بمحبة رسول الله ﷺ ــ والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله[١].

ونزل قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾) [النور: ١١: ٢٠].

وجُلِد مِسْطَح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحَمْنَة بنت جحش، ثمانين ثمانين، الا أن فاعلها توعده الله العذاب الاكبر [١].

([١]) المباركفوري ، ٢٩١ .

البعوث والسرايا بعد غزوة بني المصطلق

- **سرية عبد الرحمن بن عوف:**

توجه عبد الرحمن بن عوف إلى ديار بني كلب بدَوْمَة الجَنْدَل في شعبان من السنة السادسة للهجرة، وأوصاه بأحسن الأمور في الحرب، وقال له: (إن أطاعوك فتزوج ابنة ملكهم)، فمكث عندهم ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم القوم وتزوج من تُمَاضِر بنت الأصبغ، وهي أم أبي سلمة، وهي أبنة رئيسهم وكبيرهم[٢].

- **سرية علي بن أبي طالب:**

توجه علي بسرية الى بني سعد بن بكر في السنة السادسة للهجرة وهاجمهم وغنم منهم خمسمائة بعير وألفي شاة، وهربت بنو سعد بالظُّعنُ، وكان رئيسهم وَبَر بن عُلَيْم[٣].

- **سرية أبي بكر الصديق إلى وادي القري:**

في رمضان من السنة السادسة للهجرة، كان بطن من فَزَارة يريد اغتيال النبي ﷺ، فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق. قال سَلَمَة بن الأكْوَع: وخرجت معه حتى إذا صلينا الصبح أمرنا فشننا الغارة، فوردنا الماء، فقتل أبو بكر من قتل، ورأيت طائفة وفيهم الذراري، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل فأدركتهم، وكانت منهم بنت أم قِرْفَة وتريد اغتيال النبي ﷺ، وجهزت ثلاثين فارساً من أهل بيتها لذلك، فلاقت جزاءها، وقتل الثلاثون[٤].

([١]) صحيح البخاري .

([٢]) المباركفوري ، ٢٩٣ .

([٣]) نفس الرجع السابق ، ٢٩٣ .

([٤])نفس الرجع السابق ، ٢٩٤ .

- **سرية كُرْز بن جابر الفهري:**

حيث أسلام مجموعة من عُكَل وعُرَينَة أظهروا الإسلام، وأقاموا بالمدينة وبعثهم الى المراعي، وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبوالها، فلما صحوا قتلوا راعي رسول الله ﷺ، واخذوا الإبل، وكفروا بعد إسلامهم، فبعث في طلبهم كرزاً الفهري في عشرين من الصحابة في السنة السادسة من شوال ، ودعا على العرنيين: (اللّهم أعم عليهم الطريق، واجعلها عليهم أضيق من مَسَك)، فعمي الله عليهم البصيره فأدركوا، فقطعت أيديهم وأرجلهم، وسَمُلَتْ أعينهم، جزاء وقصاصاً بما فعلوا، ثم تركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا [١].

عمرة الحديبية في ذي القعدة سنة ٦ هـ

في السنة السادسة للهجرة أمر الرسول(ﷺ) أصحابه للتهيؤ للذهاب إلى مكة لأداء العمرة، ويظهر هنا ان الرسول قد تحول موقفه الى موقف المتحدي لهؤلاء المشركين ومن يساندهم، لقد كانت هي سياسة اتبعها الرسول(ﷺ) ليصل خبرها إلى الملوك، والأمراء في بلاد الشام، ليّرغّبهم بدخول الإسلام، ويقيم علاقات دبلوماسية معهم قاعدتها الإيمان بالله.

فخروجه بالغزوات، وأرساله هذه السرايا إنما هدفت إلى كسر هيبة قريش وإيجبارها على الدخول في الإسلام، وتأديبيه للجاليات اليهودية التي كانت تثير النعرات والفتن ما بين محمد وقريش، وشل حركتهم التجارته لتكن لهم رسائل بأن محمداَ وأصحابه قد جاءوا بدعوة صريحة وواضحه، أساسها الإيمان بالله، والخضوع له، والألتزام بما جاءت به الرسالة التي نزلت على سيدنا محمد (ﷺ) والتي دعت الناس إلى التعايش السلمي في الداخل وخارج جزيرة العرب،ألا أن الجزيرة العربية كانت تعيش تحت ظلم المسيطر عليهم.

---

(١)المباركفوري، ٢٩٤ – ٢٩٥ .

إلا أن دعوة الرسول (ﷺ) قد جاءت لتحمي سكان هذه المنطقة، وتنشر العدل بينهم، وتخرجهم من ظلم الدولة الفارسية والحبشية والرومانية.

فخرج بألف وأربعمائة رجل من الأنصار والمهاجرين ومن لحق من الأعراب ليس معهم من السلاح إلا السيوف في أغمادها[1]. وأحرم من موقع ذي الحليفة (وهو موقع على مقربة من المدينة به آبار تسمى آبار علي وبها كان يحرم أهل يثرب إذا أرادوا الخروج إلى الحج أو العمره)، وأحرم المسلمن وساقوا معهم الهدي، ولما علمت قريش أتصلت بحلفائها من ثقيف، وأحابيشهم لمنع الرسول وأصحابه من الدخول إلى مكة، وكان خالد بن الوليد على رأس فريق من قريش، لرصد تحركات المسلمين، ثم غير الرسول (ﷺ) طريقة حتى وصل إلى مكان يقال له الحديبية (والحديبية قرية متوسطة،وسميت بئر هناك عند مسجد الشجرة التي بُويع الرسول(ﷺ) تحتها بيعة الرضوان، وبينها وبين مكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل) معجم البلدان، ياقوت الحموي.

وأرسلت قريش إليه بوفد يرأسه عروة بن مسعود الثقفي، وبيّن للرسولﷺ إن أصرّ على موقفه قد تقع بهم أخطار إلا أن الرسول(ﷺ) قد أصرّ على تنفيذ ما جاء من أجله، ثم أنتدب الرسول (ﷺ)عثمان بن عفان لُيطلع قريشاً عن مقاصدهم الدينية السليمة، وأنهم لم يأتوا لقتال قريش، وإنما جئنا زواراً لهذا البيت، معظمين لحرمته، ومعنا الهدي ننحره وننصرف، ونزل عثمان بن عفان عند أبان بن سعيد بن العاص، وأبلغهم رسالة سيدنا محمد (ﷺ) إلا أنهم أصرّوا بعدم السماح بدخول المسلمين مكة، وأرسلت قريش جماعة ليضربوا المسلمين دون علمهم إلا أنهم كانوا لهم بالمرصاد ، وقد ذيع خبر قتل عثمان ومعه عشرة من المسلمين، قد سمح لهم الرسول(ﷺ) بزيارة أهلهم في مكة، وعند سماع الرسول ذلك الخبر طلب من أصحابه مبايعته على محاربة قريش، والأخذ بثأر عثمان والمسلمين،(وسميت هذه البيعة ببيعة الرضوان) وذكرها القرآن الكريم بقوله تعالى:" لقد رضي الله عن

---

(1) ابن سعد، ج٢، ص٩٥

المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة، فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً، ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً"[1].

إلا أن قريشاً خافت على نفسها وأرسلت بوفد يرأسُه سُهيل بن عمر ليفاوض الرسول(ﷺ) وينهي الأزمة دون اللجوء إلى قتال، فكان طلب الرسول عودة عثمان والمسلمين،فوافقه سهيل، ووافقت قريش وعاد عثمان واصحابه إلى الرسول(ﷺ)، وعاد سهيل إلى مكان ليستطلع رأي قريش فأشاروا عليه بالصلح، بشرط عودة الرسول إلى المدينة في هذا العام، ويأتي في العام القادم معتمراً، ثم عاد سهيل إلى الرسول (ﷺ)، واتفق الطرفان على الصلح، **(وسمي بصلح الحديبية) وجاءت بنودها كما يلي :**

١. أن تضع الحرب أوزارها بين المسلمين وقريش لمدة عشر أعوام.
٢. أن يرد الرسول(ﷺ) من يأتي من قريش مسلماً بدون إذن وليّه، ولا تلتزم قريش برد من يأتيها من عند محمد.
٣. من أراد الدخول في عهد قريش فله ذلك، ومن أراد الدخول في عهد محمد من غير قريش جاز له ذلك.
٤. أن يؤجّل الرسول(ﷺ) عمرته إلى العام القادم ويأتيهم وليس معه سلاح المسافر بعد أن تخرج قريش من مكة.

ثم دعا علياً ليكتب الكتاب، فأملي عليه: (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل: أما الرحمن فوالله لا ندري ما هو؟ ولكن اكتب: باسمك اللّهم. فأمر النبي ﷺ بذلك. ثم أملي: (هذا ما صالح عليه محمد رسول الله) فقال سهيل: لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله فقال: (إني رسول الله وإن كذبتموني)، وأمر علياً أن يكتب: محمد بن عبد الله، ويمحو لفظ رسول الله، فأبي علي أن يمحو هذا اللفظ. فمحاه ﷺ بيده، ثم تمت كتابة الصحيفه

([1]) سورة الفتح، الآية ١٨-١٩.

وما أن وقعّت شروط الصلح حتى دخلت قبيلة خزاعة إلى حلف محمد ودخلت قبيلة بني بكر إلى حلف قريش، وبرز موقف المسلمين من الصلح، فاعتبروا أن موقف الرسول(ﷺ) من قريش كان متساهلاً دون تبرير، وظهر ذلك أنه حينما دعاهم إلى التحلل، وحلق الشعر، ونحر الهدي، فلم يجيبوه في أول الأمر، ولكنه حين شرع بنحر هديه اقتدوا به ثم أمرهم بالرحيل إلى المدينة، وأنزل الله عليه في كتابه العزيز وهو في طريق عودته (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾)[1].

وسُرّ المسلمين بنزول هذه السورة وأقبلوا على الرسول (ﷺ) فرحين بما أتاهم الله من ذلك [2].

نتائج صلح الحديبية :

- أعترفت قريش بالدولة الإسلامية، وبالدين الإسلامي كدين جديد في الجزيرة العربية.
- أن القبائل العربية في حل من أمرها، وللمسلمين الحرية بالاتصال بالقبائل العربيه في الجزيرة العربية، أذ أن خزاعة قد دخلت في حلف محمد(ﷺ). وهي قبيله كبيرة من الأحابيش وتعيش في مكة.
- أن سياسية سيدنا محمد (ﷺ) الجديدة قد نجحت في تحقيق أهدافه.
- تأكيد القرآن الكريم بنص صريح بالصلح في سورة الفتح.
- رفعت من معنوية المسلمين أمام القبائل الآخرى.
- سمحت للمسلمين بتفريق مواثيق قريش مع القبائل الآخرى، ومتابعة القبائل اليهودية في المدينة المنورة وخارجها.

([1]) سورة الفتح (١-٣).

([2])ابن هشام ج٢ / ٣٠٨ .

وفي سنة ٧ من الهجرة بعد هذا الصلح أسلم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة، ولما حضروا عند النبي ﷺ قال: (إن مكة قد ألقت إلينا أفلاذ كبدها). وسهلت على المسلمين الاتصال بجنوب الجزيرة العربية، وأن الإسلام قد انتشر في اليمن بسرعة[1].

أما نتائجها على قريش:

فقد استطاعت أن تحمي ماء وجهها وذلك بعودة الرسول (ﷺ) في هذا العام دون أن يدخل مكة، وأنها بررت في البند الثاني بأن من جاءها من محمد دخل في حلفهم، فهذا يظهر عدم التكافئ برأيهم، إلا أنها حققت نصراً للرسول (ﷺ) وهو إقامة حلف قبلي يقف في وجه قريش إذا فكرت بالعدوان عليه.

توجيه الرسائل الى ملوك وأمراء القبائل العربية:

بعد توقيع صلح الحديبية بعث الرسول (ﷺ) بالرسائل إلى القبائل العربية، والكتب إلى الملوك وأمراء الولايات المجاورة للجزيرة العربية وختمها بختمه نقُش عليه (محمد رسول الله) وختم به الكتب وحملها نفر من المسلمين وتوجهوا في السنة السادسة للهجرة وهؤلاء هم:

١. العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العبدي أمير البحرين.
٢. عمرو بن العاص إلى جيفر وعبّاد ابني الأزديين في عُمان.
٣. سُليط بن عمر بن عبد شمس إلى ملكي اليمامة، ثُمامة بن آثال، وهوذه بن علي.
٤. عمر بن كعب الغفاري إلى ذات أطلاح وهي على حدود الشام ومعه خمسة عشر من الدُعاه، قُتلوا جميعاً، وعاد عمرإلى المدينة.

---

(1)المباركفوري ، ٣٠٢ .

٥. معاذ بن جبل ومالك بن مرارة إلى اليمن وحملوا الرسائل إلى أمراء كندة وحضرموت.
٦. عمرو بن أمية الضمري إلى نجاشي الحبشة.
٧. دُحية بن خليفة الكلبي إلى أمبراطور الروم وهرقل.
٨. عبدالله بن خدافة السهمي إلى كسرى فارس.
٩. حاطب بن أبي بلتعه إلى المقوقس حاكم مصر.
١٠. الحارث بن عُمير الأزدي إلى بصرى الشام.
١١. شجاع بن وهب الأزدي إلى صاحب دمشق (الحارث الغساني) [١].

فمنهم من ردّ رداً جميلاً، ومنهم من مزّق الرسالة مثل كسرى الفرس، ومنهم من قتل المبعوث، وأخذت بعض الوفود تفد على الرسول(ﷺ) تعلن إسلامها، وتدخل في دين الله أفواجا تصديقاّ لقوله تعالى: (إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣)

ما بين الصلح وفتح مكة :

تتفق معظم المصادر التاريخية أن الرسول (ﷺ) قام بعدة غزوات وسرايا لمعرفة أوضاع المشركين بعد الصلح ، وهذه الغزوات والسرايا هي :-

سرية كعب بن عمير إلى ذات أطلاح من أراضي الشام :

اشترك فيها خمسة عشر رجلاً ولما وصلوا إلى ذات أطلاح وجدوا عددهم كثيراً فقاتلوهم وقتلوا جميعاً إلا واحداً عاد إلى الرسول (ﷺ) وأخبره بما حدث،

---

(١)ابن هشام ، ج٢/ ٣٥٩ .

وأمر الرسول (ﷺ) بتجهيز حملة والتوجه اليهم، إلا أن القوم هربوا وتفرقوا جميعاً، فعدّل عن رأية[1].

غزوة ذات السلاسل:

علم الرسول (ﷺ) أن جمعاً من قبائل بَلي وقضاعه، قد تجمعوا يريدون غزو المدينة، فعقد لواء لعمرو بن العاص ومعه ثلاثمائة رجل من سراه المهاجرين والأنصار، وعند وصول عمرو إلى الأرض التي اجتمعت فيها القبائل وكانت كبيرة جداً، فأرسل إلى الرسول (ﷺ) يستنجده، فبعث إليه الرسول بسرية يرأسها أبو عبيده ومعه أبو بكر وعمر، وكان تعدادها مائتي رجل وتزعمها عمرو وأصابت بعض الغنائم، وتفرقت الجموع، وعادت سرية عمرو منتصرة[2].

غزوة خيبر:

في السنة السابعة للهجرة من نهايه محرم، توجه الرسول (ﷺ) إلى خيبر ليلاً، وفي صبيحة اليوم التالي نازل حصونها حصناً حصناً، وصار يفتحها حتى جاء على آخرها وصالحه أهلها على أن يبقوا فيها، ويدفعوا نصف خراجها.

ثم توجه إلى وادي القرى فحاصر أهلها عدة ليال، ولما علم أهل فدك ما حل بأهل خيبر، أرسلوا إليه يصالحوه على ما صالحه أهل خيبر فوافق الرسول (ﷺ).

عمرة القضاء:

بعد مضي عام على عمره الحديبية خرج الرسول (ﷺ) بأصحابه الذين حضروا الصلح معه ليقضوا العمرة التي فاتتهم في العام الماضي، ووصل إلى مكة

---

(١) الطبري / ج٤، ص ٢٤.
(٢) نفس المصدر السابق، ج٢، ص٧٦٩ ؛ أبن هشام، ج٢، ٣٧٤ – ٣٨٦ .

في ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة، وحينئذ خرج أهلها منها ودخل المسلمون وأقاموا فيها ثلاثة أيام أدوا خلالها عمرة القضاء، ثم عادوا إلى المدينة المنورة وساق في عمرة القضاء ستين بدنه[١].

غزوة مؤته :

بعث الرسول في جمادي الأول من السنة الثامنة للهجرة جيشاً بقيادة زيد بن حارثه والسبب في ذلك أن الرسول (ﷺ) عندما أرسل رسولاً إلى الغساسنة يدعوهم إلى الإسلام قتلوه[٢]. فلما نزل موفد النبي أرض مؤته عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني وقال له: أين تريد، قال: الشام، قال: لعلك من رُسل محمد قال: نعم، أنا رسول رسول الله فأمر شرحبيل فأوثق الرجل وضربت عنقه، فلما بلغ الخبر إلى النبي وجه إليهم هذه الحملة وأعلن لهم، أن إمارة الجيش لزيد وإن استُشهد لجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فعبدالله بن رواحه، فإن أصيب فليتفق المسلمون على رجل بينهم، وعُقد لزيد لواءً أبيض، وبلغ عدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف رجل، وأوصاه وصيته المشهوره ثم ودعهم ومضى الجيش حتى نزل بأرض معان، وبلغها أن هرقل امبراطور الروم قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف جندي من الروم، وانضمت إليه قبائل لخم، وجذام، والقين، وبهراء، وبَلى بقيادة مالك بن رافلة[٣].

وكان هرقل قد أنهى حروبه مع فارس وعاد إلى القدس ليعيد نصب الصليب المقدس الذي أعاده من الفرس.

ولما علم بقدوم جيش زيد سار للقائه، ثم أخذ المسلمون يفكرون بلقاء جيش الروم إلا أن عبدالله بن رواحه أخذ يشجّعهم على القتال، ويقول لهم: يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة،

---

(١) الطبري/ ج٤، ص ٢٥.
(٢) حسن/ ج١، ص ١٣٧
(٣) الطبري/ ج٣، ص٣٧

ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما النصروإما الشهادة ومضى الجيش حتى التقى الجمعان في مؤته[١].

وجعلوا على ميمنتهم قطبه بن قُتادة من بني عذرة وعلى ميسرتهم عناية بن مالك وهو من الأنصار[٢].

ثم اشتدّ القتال بينهم حتى أستشهد زيد ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، فقطعت يده اليمنى ثم حملها بيده اليسرى، فقطعت حتى احتضنها بعضديه، وبقي يقاتل حتى أُستشهد وكان يبلغ ثلاثاً وثلاثين من العمر، وأطلق عليه جعفر الطيّار لأن الله أثابه جناحين في الجنة ليطير بهما حيثما شاء، فلما أُستشهد تسلّم الراية عبد الله بن رواحه وقاتل حتى أستشهد، ثم تسلم الراية ثابت بن أقدم الأنصاري ونادي بالمسلين أن اتفقوا على رجل منكم فاتفقوا على خالد بن الوليد أميراً لهم، فقاتل بمهارة حتى أتبع سياسة المتراجع، وتبديل تنظيم جيش المسلمين ليوهم العدو بالامداد،ويخرج بهم سالماً.

وفي هذه الأثناء أوحيّ الرسول (ﷺ) بما حدث بالمسلمين مع الروم فنودي بالصلاة جامعة فلما اجتمع إليه المسلمين، قال: باب خير، باب خير أخبركم عن جيشكم الغازي فقال: عليه الصلاة والسلام: أخذ الراية زيد بن حارثه فقاتل حتى أُستشهد، ثم أخذها جعفر فقاتل حتى أستشهد ثم سكت الرسول برهة، فتغيّرت وجوه الأنصار، ثم قال: أخذها عبدالله بن رواحه فقاتل حتى أستشهد، فقال: لقد رُفعوا إليّ في الجنة[٣].

وأطلق على خالد بن الوليد بسيف الله المسلول، وحزن الرسول (@) على أصحابة، وخرج إلى آل جعفر وقال: لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً، فإنهم قد شُغلوا بأمر صاحبهم، أما خالد فعاد بالجيش فتلقاهم الرسول (@) والمسلمين قبل وصولهم المدينة، فأخذ الناس يحثّون التراب على الجيش ويقولون يا

---

(١) الطبري/ ج٣، ص ٣٧-٣٨.
(٢) ابن كثير، ج٤، ص٢٤٤
(٣) ابن هشام، ج٣، ص٣٨٠

فُرارّ فررتم في سبيل الله، فيقول الرسول الله: ليسوا بالفرار ولكنهم الكُرارّ إن شاء الله[1].

فتح مكة:

لقد اختلفت آراء قريش بالصلح فمنهم من أراد الاستمرارية في الصلح،ومنهم من أراد نقضه، فهذا موقف أبي جندل بن سهيل بن عمرو يتسرب إلى معسكر المسلمين ليعلن أسلامه، ووالده يفاوض الرسول(ﷺ) وقد أمرة بالعودة إلى أبيه ويطلب منه الصبر، وكان ذلك تطبيقاً لنصوص شروط الصلح، وأن قريشاً في هذه الأثناء تكمن للمسلمين وتنقض شروط صلحها، إذ أنّ مجموعة من بني بكر طلبوا من قريش العون ضد خزاعة، فأجابتهم وهاجموا خزاعة التي دخلت في حلف محمد، وقتلوا عشرين رجلاً، فأخبروا الرسول(ﷺ) بما حدث فلم بلغه الخبر جهزّ جيشاً تعداده عشرة آلاف من المسلمين لفتح مكة.

ويتسلل أبو سفيان ليتوسط عند الرسول(ﷺ) محاولاً تجديد الصلح[2]. إلا أن الرسول(ﷺ) والمسلمين رفضوا ذلك، وجهز الرسول جيشه واستخلف كلثوم بن حسين على المدينة وقال: اللهم خذ على أبصار قريش فلا يروني إلا بُغته.

وفي العاشر من رمضان خرج اليهم وأرسل إلى القبائل العربية (أسلم، وغفّار، ومزينة، وجُهينة) والتقى بهم بالظهران بين مكة والمدينة، وفي هذه الاثناء أرسلت قريش العيون لتعرف أخبار المسلمين فلما وصلوا رأوا ناراً عظيمه، فتسألوا عنها، فرآهم أناس من حرس الرسول(ﷺ) فأتوا بهم وكان من بينهم أبو سفيان، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء، فأسلم أبا سفيان فسار الرسول(ﷺ) وجيشه إلى مكة، وطلب من العباس أن يحبس أبو سفيان بمضيق الوادي حتى تمر الجنود فيراها، وكانت تمر والرايات معقودة وأبو سفيان يسأل عن كل قبيلة حتى مرّت المهاجرون

---

(1) ابن الأثير، ج٢، ص ١٦٠-١٦١.
(2) الطبري، ج٣، ص ٤٤-٤٧.

والأنصار ومعهم الرسول (ﷺ)، فقال: له العباس هؤلاء هم المهاجرين والأنصار ورسول الله معهم.

وقال أبو سفيان: مالاحد بهؤلاء قوة ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد اصبح مُلك ابن أخيك الغداة عظيماً فقال: إنها النبوة، ثم طلب منه النجاة إلى قومه، فأسرع أبو سفيان حتى دخل مكة قبل أن يصلها الرسول(ﷺ) وصرخ بأعلى صوته يا معشر قريش: هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، وإذ أن النبي قد لبّى لعمه العباس طلبه أن يجعل شيئاً لأبي سفيان من المكانه، وقال عليه الصلاة والسلام: " من دخل دار أبي سفيان فهو أمن، ومن أغلق بابه فهو أمن، ومن دخل المسجد فهو آمن ".

وقسم جيشه إلى أربعة أقسام لدخول مكة:

- يدخلها الزبير بن العوام من الشمال ومعه المهاجرون والأنصار.
- جيش سعد بن عباده من الشرق.
- جيش خالد بن الوليد من الجنوب.
- الرسول (ﷺ) وأبو عبيده من الغرب.

ولم يجد أحد منهم مقاومة إلا خالد بن الوليد حيث التقى ببعض القريشين وأحابيشهم في الخندمة، وجاءت قريش معلنه إسلامها، وبايعته على السمع والطاعة لله وللرسول(ﷺ) وعندما سألوه التسامح والمحبة فأجابهم: إذهبوا فأنتم الطُلقاء.

وأمرهم بتحطيم الأصنام الموجودة في الكعبة وأعلن عن انتهاء الهجرة، وأبقى السقاية في يد عمه العباس، وسدانه الكعبة في يد عثمان بن طلحة، وأمر بقتل عكرمة بن أبي جهل، وهّبار بن الأسود، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح، ومقيس بن حُبابه الليثي، والحويرث بن نقد، وعبدالله بن هلال، وهند بنت عُتبه وساره مولاة عمرو بن هشام، وفرتني وقرينه وهما جاريتان كانتا تهجيان الرسول دائماً، فعبدالله

بن سعد أسلم وجعله من كتاب الوحي إلا أنه ارتد إلى الشرك وعاد إلى قريش إلا أن عثمان بن عفان تشفع له عند الرسول فشفعا له لأنه أخوه في الرضاعة[1].

أما صفوان بن أميه الذي هرب من مكة إلى جدة ليركب منها البحر إلى اليمن فتوسط له القوم، فعفا عنه الرسول(ﷺ) أما عكرمه ابن أبي جهل الذي فرّ إلى اليمن وأسلمت زوجته أم حكيم فتوسطت له، ووافق الرسول(ﷺ) وجاءت به إلى مكه ليشهر إسلامه، أما هند فجاءته متنكره من النساء وطلب مبايعته، وعرفها الرسول ﷺ وبايعها.

غزوة حنين:

لقد كان فتح مكة نصراً من الله وتأييداً لدعوته فكانت هي نقطة الفصل ما بين الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة ومكة التي كانت تسعى لتقضي على محمد ودعوته، فبعد أن دخلها بجيش قوي وتأييد آلهي، فقد أنهت حقبة تاريخية عاشتها قريش بعباداتها، وعاداتها التي تتنافى ودعوة سيدنا محمد(ﷺ) وخلال إقامته في مكة أرسل السرايا للقبائل المجاورة لمكة لينذرهم ويخضعهم، وقد حققت أهدافها.

فلما بلغه نبأ حشود تُهيؤ قبيلتي ثقيف وهوزان تحت أمرة مالك بن عوف وقد نزلوا بمكان بين الطائف ومكة يسمى **بأوطاس**، وأمرهم بالصمود أمام محمد وصحبة، فخرج إليهم الرسول بستة ليالٍ خلون من شوّال في اثني عشر ألف من المسلمين، وعشر آلاف من أهل المدينة، وألفين من أهل مكة، وبعث عبدالله بن أبي حدر الأسلمي ليدخل بالمشركين ويجلب أخبارهم، ثم أبلغ الرسول بخبرهم، وعلم مالك بن عوف بقدوم الرسول(ﷺ) وجهز أصحابه في وادي حُنين يمكنون للمسلمين، ووصل الرسول إلى حنين (هو وادي بالقرب من الطائف بينه وبين مكة ثلاثة أميال) في العاشر من شوال سنة ٨ للهجرة[2].

---

(١) ابن هشام، ج٢ ، ٤٠٩.

(٢)فتح الباري ٢٧/٨-٣٥ .

عسكر بها وفي اليوم التالي توجهت تشكيلات الجيش الإسلامي باتجاه وادي حُنين يتقدمهم خالد بن الوليد، حيث كمنت لهم ثقيف وهوزان في شعاب الوادي وبدأ هجوم المسلمين مُبكراً وما تزال الظُلمة مختلطة بالنور فلم يروا عدوهم، وفجأة خرج بنو هوزان وثقيف وانّقضوا على المسلمين بحركة مباغته، أثارت الفوضى بينهم فتفرق المسلمين وخاصة المتقدمين من بني سُليم الذين كانوا في المقدمة مع خالد بن الوليد، وبقي الرسول صامداً، وناد في الناس: إلى عباد الله أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب. ونزل قوله تعالى : (لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾) ثم عادة المسلمون ينتظمون في صفوفهم وأقبلوا يهاجمون بحماسة ويقول الرسول الآن حمى الوطيس ثم أخذ حصّيات من الأرض، فرمى بها وجوه الكفار، ثم قال انهزموا ورب محمد وقذف الله في قلوب المشركين الرعب، وتمكن المسلمون من إيقاع الهزيمة بهوزان وثقيف وأجبروهم على الفرار وسار بعضهم إلى الطائف وبعضهم إلى نخلة، وفرّ فريق منهم إلى أوطاس تاركين أموالهم وأبنائهم غنيمة للمسلمين، وأمر الرسول(ﷺ) بجمع الغنائم وحبسها في جعرانه، وجعل عليها مسعود بن عمر الغفاري واتجه بمن معه إلى الطائف.

وتتفق المصادر على أن شهداء المسلمون أربعة أو خمسة شهداء، واعتبرت هذه الغزوة من أهم الأعمال الحربية التي جرت زمن الرسول(ﷺ) إذا اجتمع فيها أعداد كبيرة من الطرفين، وأظهرت نتائج هذه المعركة قدوم عدد كبير من القبائل

لمبايعة الرسول (ﷺ) وحدد المسلمين علاقتهم بالقبائل البدوية في الجزيرة العربية[١].

حصار الطائف:

توجه الرسول(ﷺ) بجيشه إلى الطائف متعقباً ثقيف وهوزان، ودخلت الطائف حيث كانت محصنة بسور قوي، وألقى عليهم الرسول أدوات الحصار وجرت مناوشات، وتراشق بالنبال عبر السور مما أضطر الرسول(ﷺ) أنّ يعسكر بمكان آمن وأمر منادية أن ينادي، أن من يأتيه من عبيد أهل الطائف يصبح حرّاً فهرب إليه ثلاثة وعشرون عبداً وأمر بالنفقة عليهم وتعليمهم القرآن، والحديث، مما زاد غضب أهل الطائف[٢].واستمر الحصار للطائف خمسة عشره يوماً، ورأي آخر أربعين يوماً[٣].

ورفع عنهم الحصار في شهر ذي القعدة وهو من الأشهر الحُرم ثم عاد إلى الجعرانة، ثم جاءه وفد من هوزان معلنين إسلامهم، وتوسلوا إليه برد أموالهم وأبنائهم، وذكّروه بأيام طفولته وهو في كنف هوزان، وقربته لهم بالرضاع فخيّرهم بعد أن رقّ إليهم بين أخذ السّبي أو الأموال، ففضلوا النساء والأولاد، وأعلمهم الرسول تنازله وآل عبد المطلب عن حصتهم من سبي هوزان فاقتدى به باقي المسلمين.

أما الأموال فقد قسّمها الرسول(ﷺ) على أصحابه حيث نال كل واحد منهم أربعة جمال، وزاد حصة حديثي الإسلام مثل أبو سفيان وأبنائه يزيد ومعاوية ومالك بن عوف، وعينية بن حصة، وصفوان بن أمية وغيرهم وأطلق عليهم **بالمؤلفة قلوبهم**.

---

(١)نفس الرجع السابق ، ٢٩-٣٢ .

(٢) ابن سعد، ج٢، ١٥٨-١٥٩.

(٣) الطبري، ج٣، ٨٢؛ ابن سعد، ج٢، ١٥٩.

ثم عادة إلى مكة لإداء العمرة وأعلن أنه يولي أمر مكة لعتّاب بن أُسيد، لينظم شؤونها ويشرف على إدارتها، وأبقى فيها معاذ بن جبل، وأبا موسى الأشعري ليعلم الناس القرآن، ويفقههم في الدين.

أما ثقيف فقد بقيت على موقفها حتى لحق عروة بن مسعود على رأس وفد من زعماء ثقيف ليعلنوا إسلامهم، واستأذنوه في العودة إلى الطائف لتحويل عشيرتهم إلى الإسلام، ولما عاد إلى قومه وبلغهم أنه أسلم قتلوه، ولم يستمر ذلك طويلاً حتى بعثت ثقيف بوفد إلى الرسول(ﷺ) برئاسة عبديا ليل بن عمر بن عامر ليعرض على الرسول ﷺ الصلح والاتفاق على دخول ثقيف في الإسلام، وتكون الوفد من الحكم بن عمر بن وهب، وشرحبيل بن غيلان وثلاثة من بني مالك هم عثمان بن أبي العاص، وأوس بن عوف، ونمير بن خرشه، ثم التقى بهم الرسول (ﷺ) ورغبهم بالإسلام، وطلبوا من الرسول(ﷺ) أن يترك لهم اللات فلا يهدمها، فرفض الرسول وأمر أبا سفيان والمغيره بن شعبه، أن يقوما بهذه المهمة، وسألوه أن يعفيهم من الصلاة، وألا يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال الرسول: أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه، وطلبوا منه أن يجعل لمدينتهم حُرماً كحرم مكة والمدينة، وكتب لهم بحرمة الطائف، وبعد أن وافقوا على شروط الصلح أقبلت ثقيف لتدخل في الدين وتتفقه في الإسلام، وأمّر عليهم عثمان بن أبي العاص وبعد عودتهم أزال جميع المظاهر الوثنية، وأصبحوا أشدّ أنصار الإسلام حماساً.

غزوة تبوك:

في السنة التاسعة للهجرة علم الرسول(ﷺ) بجموع الروم على حدود الشام لقتال المسلمين وحولهم القبائل العربية، فجمع المسلمين ودعاهم إلى الجهاد ضد الروم، وخرج بالجيش وعدده ثلاثون ألفاً، ولما وصل تبوك أقام فيها أياماً فصالحه

أهلها على الجزية، وأرسل سراياه حول تبوك، وجاءت الوفود من أيله وغيرها وصالح أهل أيلة يوحنا بن رؤبة على الجزية، وصالح أهل جرباء، وأذرح.

وبعث خالد بن الوليد إلى دومة الجندل فأسر صاحبها أكيدر بن عبد الملك، واستولى عليها وصالح صاحبها على الجزية[١].

عام الوفود:

في السنة التاسعة للهجرة قدم على الرسول(ﷺ) وفود من القبائل العربية، مبايعينة على الإسلام والطاعة، بعد أن ثبت أن المسلمين قوة سياسية، وحربية إلى جانب العقيدة الجديدة التي تنزلت على نبيهم، وظهرت رابطة الدين كرابطة مهدت لقيام وحدة سياسية تجمع وحدة العرب، ويذكرها أبن اسحاق إذ يقول: " لما افتتح رسول الله مكة وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف، وبايعت ضربت إليه وفود العرب من كل وجه، وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ولا عدواته، فدخلوا في دين الله لقوله تعالى: يدخلون في دين الله أفواجاً، يضربون إليهم من كل وجه"[٢].

فبعد وفد ثقيف جاء إليه وفد تميم على رأسهم عطارد بن حاجب، ووفد بني عامر على رأسه عامر بن الطفيل، ووفد بني سعد بن بكر على رأسه ضمام بن ثعلبة، ووفد عبد القيس وعلى رأسه الجارود بن عمر، ووفد بني حنيفة الذي فيه مسيلمة الكذّاب، الذي أسلم أول الأمر ثم ارتد، ووفد طيء وعلى رأسه زيد الخيل، ووفد زُبيد وعلى رأسه عمر بن معد يكرب، ووفد كنده على رأسه الأشعث بن قيس، ووفد من الأزد يرأسه سرد بن عبدالله الأزدي، وأرسل إليه ملوك حمير يعلنون إسلامهم، وما يترتب عليهم من الأخماس والصدقات[٣]. وبعث بسرية في

---

(١)ابن هشام ، ٢/ ٥١٥ -٥٣٧ .

(٢)نفس المصدر السابق، ٢/ ٥٥٩-٥٦٠.

(٣) ابن هشام، ٥٦٠-٥٩٠.

السنة العاشرة بقيادة خالد بن الوليد إلى قبيلة بني الحارث بن كعب، ولما بلغهم ذلك دخلوا الدين ثم عاد بوفد منهم ليعلن إسلامهم.

حجة الوداع:

في السنة العاشرة للهجرة خرج الرسول (ﷺ) للحج في أكثر من مائة ألف مسلم، وبعد أن أدى بعض مناسك الحج، وفي يوم عرفة، وقف عند جبل عرفات وألقى خطبته الجامعة الخالدة التي تعتبر الدستور للمسلمين، ونادى بينهم "أيها الناس إنّ ربكم واحد، وإنّ آباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى" وقد تم نزول القرآن يوم عرفه بالآية: (ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ)[1].

لقد كان لحجة الوداع معاني جليلة تتعلق بالنظام الإسلامي والمنهاج العام، إذ عرف المسلمين صلاتهم، وصيامهم، وأمر زكاتهم، وأمور عباداتهم، وبقي أن يٌعّلمهم مناسكهم، وكيفية أداء شعائر الحج.

وأن الدعوة الإسلامية وما تحويها باقية إلى أزل الدهر، وأن الحُجج المشركة مع العبودية لله فهي باطلة، وناقصة وما أن عاد إلى المدينة حتى هيأ جيش أسامة لغزو الروم، وأمره أن يسير إلى موضع استشهاد أبيه زيد بن حارثة، ومع ذلك بدأ يشكو من مرضه عليه الصلاة والسلام، وخرج اسامه بجيشه إلى ظاهر المدينة فعسكر بالجُرف.

ثم يشتد المرض بالرسول(ﷺ) فأقام الجيش ينتظرون أمر الله، وفي أواخر صفر من السنة الحادية عشر للهجرة أخذت بوادر الحمى تلّم بالرسول الكريم، فاستأذن نسائه أن يقيم في بيت عائشة طيلة مرضه، فأذان له، وأمر أبا بكر أن يصلي بالناس.

---

(1) سورة المائدة آية ٣.

وفي يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ١١ للهجرة، خرجت روحه إلى الرفيق الأعلى، فتقدم أبو بكر (رضي الله عنه) فكشف عن وجهه الطاهر وقبله، وقال: (بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً، ثم غطى عليه، وصعد المنبر فقال: من كان يعبد محمداً فإن محمد قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حيّ لا يموت)، وذكر الآية التالية: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾)[1]. وأخذ جموع المسلمين يبكون وخرجوا إلى الشوارع يرددون هذه الآية، يقول أنس: وكأننا لم نسمعها إلا في ذلك الوقت[2].

وكأنهم لم يسمعوا هذه الأية من قبل وذلك لشدة صدمتهم بوفاة الرسول (ﷺ):وكأنما أظلمت الدنيا عند سماعهم ذلك الخبر، فكانوا يرددون قول الرسول(ﷺ) يقول: " إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بي، فإنما هي أعظم المصائب"[3].فكانت فاطمة بنت النبي(ﷺ) تقول: يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه في جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه. وفي ذلك يقول أنس عن مالك: لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله (ﷺ) المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وقال: وما نفضنا عن رسول الله الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا.

وينطلق أبو بكر وعمر بعد وفاة النبي ليزور أم أيمن، فلما أنتهينا بكت، فقال لها ما يبكيك؟ ما عندالله خير لرسوله قالت: والله ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله، ولكن أبكي أن الوحي قطع من السماء فهيّجتهما على البكاء، فجعل يبكيان[4].

---

(1) سورة آل عمران الآية ١٤٤.
(2) صحيح البخاري، ٣٦٦٨.
(3) الطبقات الكبرى، ٢، ٢٧٥.
(4) أخرجه مسلم، رقم ١٠٣

والذي قام بتغسيله وتكفينه العباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام وذلك لأن العباس عم النبي، وعلياً ابن عمه، والزبير ابن عمته، حيث بلغ من العمر ثلاثة وستين عاماً.





الوحدة السادسة

خلفاء الدولة الراشدية

(١١-٤٠هـ/ ٦٣٢-٦٦١م)

- إشارات الرسول بتفضيل أبي بكر الصديق **(رضي الله عنه)** عن غيره.
- كيفية انتخاب الخليفة.
- سُقيفة بني ساعدة.
- **الخليفة الأول: أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) (١١-١٣هـ/ ٦٣٢-٦٣٤م)**
- أسمه ونسبه .
- ألقابه.
- مولده وصفته الخَلْقية.
- أعمال أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

أولاً: إنفاذ جيش أسامة.

ثانياً: القضاء على المرتدين.

ثالثاً: جمع القرآن الكريم.

رابعاً: الفتوحات الاسلامية.

- إدارة البلاد في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
- وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
- **الخليفه الثاني: عمر رضي الله عنه (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٤م).**
- أسمه ونسبه .
- إسلامه .
- هجرته الى المدينة المنورة.
- صفات الفاروق.
- أعمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- وفاته .

- **الخليفة الثالث: عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣-٣٥ هـ/ ٦٤٤-٦٥٦ م)**
- أسمه .
- صفته الخلقية.
- أسرته.
- إسلام عثمان بن عفان رضي الله عنه.
- توليه الخلافة .
- أعمال عثمان بن عفان رضي الله عنه.
- الفتنة التي أودت الى مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.
- استشهاده .

- **الخليفة الرابع: علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٣٥ – ٤٠ هـ/ ٦٥٦-٦٦١ م).**
- أسمه ونسبه .
- صفته الخلقيه.
- زوجاته وأبنائه.
- إسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
- تسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة.
- مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
- **خلافة أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنه (٤٠ هـ).**

الوحدة السادسة

خلفاء الدولة الراشدية

(١١-٤٠هـ/ ٦٣٢-٦٦١م)

الخلافة

هي النيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وتنفيذ أحكامه، وسياسة الدنيا به، إذ وردت أشارات في القرآن الكريم تشير الى أمامة المسلمين بعد الرسول (ﷺ)، أما مهمة الرسول(ﷺ) فقد جاءت ليبلّغ الأمر الإلهي، ويكون إماماً للمسلمين يجمع كلمتهم، وما أن نزلت إليه الرسالة حتى كان يعلّمهم أمور دينهم، ويحسم أمر خلافاتهم، ولا يترك أمراً دون تقديم أمر الله فيه حتى جاءت إرادة الله ليكون الموت نهايةً لكل مخلوقات الله في الأرض، ونهاية كل إنسان، وعادت روحه الطاهره الى الرفيق الأعلى، وجاءت آيات القرآن الكريم واضحه وصريحه لعامة المسلمين، لتنفيذ الحدود، وإقامة العدل بين الناس. لقوله تعالى:(وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا) [١]. وقوله تعالى: (وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ) [٢].

فقد روى البخاري حديثاً يسنده إلى معاوية يقول فيه: " إني سمعت رسول الله، يقول: إن هذا الأمر في قريش لا يُعاديهم أحد إلا كبّة الله على وجهه[٣].

وما أن انتهى المسلمون من تجهيز الرسول (ﷺ) ودفنه حتى برز فريقان لكل منهما رأي في الخلافة، فمنهم من رأى أن تبقى الخلافة في قريش، ورأي آخر يخصص الخلافة لصلة القرابة للرسول(ﷺ)، أما الذين رأوا أنها حق لقريش

---

(١) سورة المائدة، الآية ٣٨.
(٢) سورة النساء، آية، ٥٨
(٣) النجار، ص ٩

فكانوا من المهاجرين وبعض الأنصار، أما الذين رأوا تخصيصها في القرابة فهم أبناء العمومة مثل العباس وعلي وعقيل أبنا عمه أبي طالب.

إشارات الرسول بتفضيل أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) عن غيره:

لقد أشار القرآن الكريم على المسلمين أمر اختيار خليفة لرسول من بعده وذلك بقوله تعالى (وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) [1].الآيات القرآنية التي فيها إشارة إلى خلافة الصديق وردت آيات في كتاب الله عزوجل فيها الإشارة إلى أن أبا بكر الصديق أحق الناس في هذه الأمة بخلافة سيد الأولين والآخرين وتلك الآيات هي:

أ-قوله تعالى: (ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧) (سورة الفاتحة، آية:٦-٧). ووجه الدلالة أن أبا بكر فيمن أمر الله جلا وعلا عباده أن يسألوه أن يهديهم طريقهم وأن يسلك بهم سبيلهم وهم الذين أنعم الله عليهم وذكر منهم الصديقين في قوله تعالى: (وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩) (سورة النساء، آية:٦٩). وقد أخبر المصطفى عليه السلام أن أبا بكر من الصديقين، فدل ذلك على أنه واحد منهم بل هو المقدم فيهم ولما كان أبو بكر ممن طريقهم هو الصراط المستقيم فلا يبقى أي شك لدى العاقل في أنه أحق خلق الله في هذه الأمة بخلافة المصطفى عليه السلام[2].

ب-قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ

---

(1) الشورى، الآية ٣٨.
(2) الصلابي، ص١٤٥

عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾) (سورة المائدة، آية: ٥٤).

هذه الصفات المذكورة في هذه الآية الكريمة أول من تنطبق عليه أبو بكر الصديق وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين فقد مدحهم الله بأكمل الصفات ووجه دلالة الآية على خلافة الصديق أنه (كان في علم الله سبحانه وتعالى مايكون بعد وفاة رسول الله ﷺ من ارتداد قوم فوعد سبحانه (ووعده صدق) أنه يأتي بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومه لائم، فلما وجد ما كان في علمه من ارتداد من ارتد بعد وفاة رسول الله وجد تصديق وعده بقيام أبي بكر الصديق بقتالهم فجاهد بمن أطاعه من الصحابة من عصاه من الأعراب، ولم يخف في الله لومه لائم حتى ظهر الحق وزهق الباطل وصار تصديق وعده بعد وفاة رسوله ﷺ آية للعالمين ودلالة على صحة خلافة الصديق [١]).

جـ-قال تعالى: (إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾) (سورة التوبة، آية: ٤٠).

قال أبو عبد الله القرطبي: قال بعض العلماء في قوله تعالى: (ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ) ما يدل على أن الخليفة بعد النبي ﷺ أبو بكر الصديق لأن الخليفة لايكون أبداً إلا ثانياً وسمعت شيخنا أبا العباس أحمد بن عمر يقول: إنما استحق أن يقال ثاني اثنين لقيامه بعد النبي ﷺ بالأمر كقيام النبي ﷺ به أولاً،

([١]) الاعتقاد للبيهقي، ص١٧٣-١٧٤؛ الصلابي ص١٤٧

وذلك أن النبي ﷺ لما مات ارتدت العرب كلها ولم يبقى الإسلام إلا بالمدينة وجواثا[1]، فقام أبو بكر يدعو الناس إلى الإسلام ويقاتلهم على الدخول في الدين كما فعل النبي ﷺ فاستحق من هذه الجهة أن يقال في حقه ثاني اثنين[2].

ح-قال تعالى: (وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾) (سورة التوبة، آية:١٠٠) دلالة الآية على أحقية الصديق بالإمامة بعد النبي ﷺ أن الهجرة فعل شاق على النفس ومخالف للطبع فمن أقدم عليه أولاً صار قدوة لغيره في هذه الطاعة وكان ذلك مقوياً لقلب الرسول عليه الصلاة والسلام وسبباً لزوال الوحشة عن خاطره وكذلك السبق في النصرة فإن الرسول عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة فلاشك أن الذين سبقوا إلى النصرة والخدمة فازوا بمنصب عظيم وإذا ثبت هذا فإن أسبق الناس إلى الهجرة أبو بكر الصديق فإنه كان في خدمة المصطفى عليه الصلاة والسلام وكان مصاحباً له في كل مسكن وموضع فكان نصيبه من هذا المنصب أعلى من نصيب غيره وإذا ثبت هذا صار محكوماً عليه بأنه رضي الله عنه ورضي هو عن الله وذلك في أعلى الدرجات من الفضل، وإذا ثبت هذا وجب أن يكون إماماً حقاً بعد رسول الله ﷺ فصارت هذه الآية من أدل الدلائل على فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وعلى صحة إمامتهما[3].

خ-قال تعالى: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي

---

[1] معجم البلدان (١٧٤/٢): جواثا: قرية بالبحرين .
[2] تفسير القرطبي (١٤٧/٨-١٤٨).
[3] تفسير الرازي (١٦٨/١٦-١٦٩).

شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾)(سورة النور، آية:٥٥).

هذه الآية منطبقة على خلافة الصديق وعلى خلافة الثلاثة بعده فلما وجدت هذه الصفة من الاستخلاف والتمكين في أمر أبي بكر وعمر وعثمان وعلي دل ذلك على أن خلافتهم حق[١]، وقال الحافظ بن كثير: وقال بعض السلف خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حق في كتاب الله [٢].

د-قال تعالى: (قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾) (سورة الفتح، آية:١٦) قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى وقد دل على إمامة أبي بكر في سورة براءة فقال للقاعدين عن نصرة نبيه عليه السلام والمتخلفين عن الخروج معه: (فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾) (سورة التوبة، آية:٨٣). وقال في سورة أخرى: (سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ) يعني الى قوله: (**لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا**) ثم قال الله تعالى: (سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾) وقال تعالى: (سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٢١/٥).
(٢) نفس المصدر السابق (١٢١/٥).

إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾) (الفتح، ١٥-١٦)

والداعي لهم إلى ذلك غير النبي ﷺ قال الله-عزوجل-له: (فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ۖ) وقال في سورة الفتح: (يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ) فمنعهم عن الخروج مع نبيه عليه السلام وجعل خروجهم معه تبديلاً لكلامه فوجب بذلك أن الداعي الذي يدعوهم إلى القتال داع يدعوهم بعد نبيه عليه السلام[1]، وقد قال مجاهد في قوله: (أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ). هم فارس والروم وبه قال الحسن البصري. قال عطاء: هم فارس وهو أحد قولي ابن عباس رضي الله عنه، وفي رواية أخرى عنه أنهم بنو حنيفة يوم اليمامة فإن كانوا أهل اليمامة فقد قوتلوا في أيام أبي بكر: وهو الداعي إلى قتال مسيلمة وبني حنيفة من أهل اليمامة، وإن كانوا أهل فارس والروم[2]، فقد قوتلوا في أيام أبي بكر وقاتلهم عمر من بعده وفرغ منهم وإذا وجبت إمامة عمر وجبت إمامة أبي بكر كما وجبت إمامة عمر لأنه العاقد له الإمامة فقد دل القرآن على إمامة الصديق والفاروق رضي الله عنهما، وإذا وجبت إمامة أبي بكر بعد رسول الله ﷺ وجب أنه أفضل المسلمين[3].

(1) الإبانة عن أصول الديانة، ص٦٧؛ مقالات الإسلاميين (١٤٤/٢).

(2) جامع البيان للطبري (٨٢/٢٦-٨٤)؛ الاعتقاد للبيهقي، ص١٧٣.

(3) الإبانة في أصول الديانة، ص٦٧.

الأحاديث النبوية التي أشارت إلى خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)[1]:

أ-عن عبيد الله بن عبد الله قال: دخلت على عائشة فقلت لها: ألا تحديثيني عن مرض رسول الله ﷺ قالت: بلى ثقل النبي ﷺ فقال: أصلى بالناس. قلنا: لا وهم ينتظرونك يا رسول الله. قال: ضعوا لي ماء في المخضب[2]. ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء[3]، فأغمى عليه ثم أفاق فقال: أصلى الناس. قلنا: لا وهم ينتظرونك يا رسول الله فقال: ضعوا لي ماء في المخضب ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ثم أفاق فقال: أصلى الناس. قلنا: لا وهم ينتظرونك يارسول الله؟ قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة قالت: فأرسل رسول الله ﷺ الى أبي بكر أن يصلي بالناس فأتاني الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس فقال: أبوبكر، وكان رجلاً رقيقاً: يا عمر صلِ بالناس قال: فقال: عمر أنت أحق بذلك قالت: فصلى بهم أبوبكر تلك الأيام ثم إن رسول الله ﷺ وجد في نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس فلما رآه أبوبكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه النبي ﷺ أن لا يتأخر وقال لهما: أجلساني الى جنبه. فأجلساه إلى جنب أبي بكر وكان أبوبكر يصلي وهو قائم بصلاة النبي ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر والنبي ﷺ قاعد. قال عبيد الله: فدخلت على عبد الله بن عباس فقلت له: ألا أعرض عليك ماحدثتني عائشة عن مرض رسول الله ﷺ قال: هات فعرضت حديثها عليه فما أنكر منه شيئاً غير أنه قال: أسمت لك الرجل الذي كان مع العباس قلت: لا قال: هو علي[4].

---

(1) الصلابي، ١٤٨ – ١٥١.
(2) المخضب: هي إجانة تغسل فيها الثياب.
(3) ينوء: أي يقوم وينهض (شرح النووي، ١٣٦/٤).
(4) مسلم رقم ٤١٨؛ البخاري رقم ٦٨٧.

ب- عن حذيفة قال: كنا عند النبي ﷺ جلوساً فقال: إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي وأشار إلى أبي بكر وعمر (وتمسكوا بعهد عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه)[1]. فقوله ﷺ: (اقتدوا باللذين من بعدي) أي: بالخليفتين اللذين يقومان من بعدي وهما أبوبكر وعمر وحث على الاقتداء بهما لحسن سيرتهما وصدق سريرتهما، وفي الحديث إشارة لأمر الخلافة[2].

ت- عن جبير بن مطعم قال: أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك-كأنها تقول الموت-قال ﷺ إن لم تجديني فأتي أبا بكر[3].قال ابن حجر: وفي الحديث أن مواعيد النبي ﷺ كانت على من يتولى الخلافة بعده تنجيزها وفيه رد على الشيعة في زعمهم أنه نص على استخلاف علي والعباس[4].

ث-عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله قال: بينما أنا نائم أريت أني أنزع على حوضي أسقي الناس فجاءني أبوبكر فأخذ الدلو من يدي ليروحني فنزع الدلوين وفي نزعه ضعف والله يغفر له فجاء ابن الخطاب فأخذ منه فلم أر نزع رجل قط أقوى منه حتى تولى الناس والحوض ملآن يتفجر[5].قال الشافعي رحمه الله: رؤيا الأنبياء وحي وقوله: وفي نزعه ضعف قصر مدته وعجلة موته وشعله بالحرب لأهل الردة عن الافتتاح والتزيد الذي بلغه عمر في طول مدته[6].

ح-قالت عائشة: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: (ادعي لي أبابكر، وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى. ويأبى الله والمؤمنون إلا أبابكر)[7].

---

(1) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٣/٢٣٣-٢٣٦).
(2) تحفة الاحوذي بشرح الترمذي (١٠/١٤٧).
(3) مسلم (٤/١٨٥٦-١٨٥٧)؛ البخاري رقم ٣٦٥٩.
(4) فتح الباري (٧/٢٤).
(5) مسلم (٤/١٨٦١-١٨٦٢).
(6) الاعتقاد للبيهقي، ص١٧١.
(7) مسلم (٤/١٨٥٧).

خ-قال عبد الله بن مسعود: لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار:منا أمير ومنكم أمير قال: فأتاهم عمر فقال: يا معشر الأنصار، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبابكر يؤم الناس فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبابكر فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبابكر[1].

ج-روى ابن سعد بإسناده إلى الحسن قال: قال علي: لما قبض النبي ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أبابكر في الصلاة فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله ﷺ لديننا فقدمنا أبابكر[2].

كيفية انتخاب الخليفة

الطرق العامة لاختيار الخليفة:

1. **طريقة الانتخاب بالاستشار**: وظهرت هذه في انتخاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه في سُّقيفة بني ساعده، بعد أن علموا باجتماع أصحاب السقيفة وخوفهم على تفريق الجماعة فأسرع إليهم نفر من الصحابة، وذلك لخوفهم على وحدة الأمة الإسلامية، وجمع كلمة المسلمين، لمَ قد يُثار من بلبلة بين الأوس، والخزرج في تفتيت وحدة المسلمين.
2. **طريقة العهد من خليفة إلى خليفة آخر**: وهذه الطريقة قد اتبعها أبو بكر الصديق رضي الله عنه في انتخاب خليفة من بعده وعهد إلى عمر بن الخطاب بالخلافة.
3. **طريقة الاختيار الشورى**: وهذه الطريقة اتبعها عمر بن الخطاب ليشير على عدد من الصحابة، لينتخبوا خليفة من بينهم، كما حدث في انتخاب عثمان بن عفان رضي الله عنه.

---

(1) المستدرك (٣/٦٧).

(2) الطبقات لابن سعد (٣/١٨٣) ، الصلابي (٢٠٠١) ص١٥١-١٥٥

سُقيفة بني ساعده:

يذكر الإمام الطبري بقوله: " حدثنا هشام بن محمد عن أبي مخنف قال: حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرو بن أبي عمره الأنصاري أن النبي (ﷺ) لما قُبض اجتمعت الأنصار في سُقيفة بني ساعده، فقالوا نولي هذا الأمر بعد محمد (ﷺ) سعد بن عباده، قال أحدهم، فقال: قد دانت لكم العرب بأسيافكم وتوفي رسول الله (ﷺ) وهو عنكم راضٍ، وبكم قرير عين استبدوا بهذه الأمر دون الناس، فأجابه الجميع: إن قد وفقت في الرأي، فقال قائل منهم: فإن أبت مهاجرة قريش نقول منكم أمير، ومنّا أمير، فقال سعد بن عُبادة: هذا أول الوهن.

وعلم بذلك الاجتماع عمر بن الخطاب فذهب إلى أبي بكر فأخبره فقال: إن أخواننا الأنصار اجتمعوا ويقولون كذا، فهلّم بنا إليهم، فخرج هو وأبو بكر فوجد أبا عبيده فقال: معنا فذهب الثلاثة إلى الأنصار، ويقول عمر فزوّرت كلاماً في نفسي (أي جهرت كلاماً في نفس) فلما أردت أن أتكلم أشار إليّ أبو بكر أن أسكت، فبدأ أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله بعث محمداً حتى ذكر أن المهاجرين أولى بالخلافة، ثم قام الحباب بن المنذر، وقال: يا معشر الأنصار أملكو عليكم أمركم فإن الناس في فيئكم، وفي ظلّكم، ولن يجترئ مجدرئ على خلافكم ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم أنتم أهل العز والثروة، وأولوا العدد والمنعة، فإن هم أبوا عليكم ما سألتموه فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحق بهذه الأمر منهم، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين، أنا جديلها المحكك وعذيقها المرجب، فقال عمر وأبو عبيده لأبي بكر: أبسط يدك نبايعك، فلما ذهب ليبايعا سبقهما إليه بشير بن سعد فباعيه[1].

فقام أسيد بن حضير فقال: " والله لأن وليتها عليكم الخزرج مرّه لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة".

---

(1) الصلابي، ١٣٣-١٣٥.

ثم قال سعد: " أما والله لو أن بي قوة ما أقوى على النهوض لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيراً يجرحك وأصحابك، أما والله إذن لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع، أحملوني من هذا المكان" ثم تركه ودخل داره، فكان سعد بعد ذلك لا يصلّيُ بصلاتهم، ولا يجمع معهم، ويحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم، فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر رحمه الله تعالى[١].

مفهوم البيعة:

عرّفها ابن خلدون: العهد على الطاعة لولي الأمر[٢]، وعرفها آخرون: البيعة على التعاقد على الإسلام[٣]، وعرفت بأنها أخذ العهد والميثاق والمعاقدة على إحياء ماحياه الكتاب والسنّة، وإقامة ما أقامه[٤].قال (ﷺ): (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)[٥]، فهذا الحديث فيه حث على وجوب إعطاء البيعة والتوعد على تركها، فمن مات ولم يبايع عاش على الضلال ومات على الضلال[٦].وقال رسول الله (ﷺ): (ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فيطعه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر)[٧].

وكانت بيعة عمر، وأبي عبيده، وبشير بن سعد، وممن بايعه في السقيفة وسميت **بالبيعة الخاصة** لأنه لم يبايعه إلا نفر قليل من المسلمين، في اليوم التالي حينما اجتمع المسلمون للبيعة[٨] العامة قال أنس بن مالك: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهداً عهده الى رسول الله (ﷺ) ولكني قد كنت

---

(١) تاريخ الطبري، القسم الثاني، ص ٤٥٥.
(٢) المقدمة، ص٢٠٩.
(٣) جامع الأصول في أحاديث الرسول (٢٥٢/١).
(٤) نظام الحكم في الإسلام، عارف أبوعيد، ص٢٤٨.
(٥) مسلم، كتاب الإمارة، رقم ١٨٥١.
(٦) نظام الحكم في الإسلام، ص٢٥٠.
(٧) مسلم، كتاب الإمارة رقم ١٨٥٢، الصلابي (٢٠٠١) ص١٦٧-١٦٨
(٨) عصر الخلفاء الراشدين، د. فتحية النبراوي، ص٣٠.

أرى أن رسول الله (ﷺ) سيدبر أمرنا (يقول يكون آخرنا) وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله ورسوله (ﷺ)، فإن عصيتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله (ﷺ) ثاني أثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبابكر بعد بيعة السقيفة فتكلم أبوبكر فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لايدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قومٍ إلا عمّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله(١).

وقال عمر لأبي بكر يومئذ: اصعد المنبر، فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة(٢).وأشار الصديق في خطبته الى العدل والرحمة في التعامل بين الحاكم والمحكوم والطاعة لولي الأمر، ونص على الجهاد في سبيل الله لأهميته في إعزاز الأمة، وعلى اجتناب الفاحشة لأهمية ذلك في حماية المجتمع من الانهيار والفساد(٣).

---

(١) البداية والنهاية (٣٠٥،٣٠٦/٦) إسناده صحيح.
(٢) البخاري، الأحكام، رقم ٧٢١٩.
(٣) التاريخ الإسلامي (٢٨/٩).

الخليفة الأول

أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)

(١١-١٣هـ/ ٦٣٢-٦٣٤م)

أسمه :

هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب[١] بن سعد بن تيم بن مُرّة بن لؤي وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر وهو أول الخلفاء الراشدين وأحد العشر المبشرين بالجنة ولد سنة ٥٧٣م كان من أوائل مَنْ أسلم سُمي بالصديق لأنه صدّق النبي في خبر الأمراء وسُمي بالعتيق إذ رُوي عن عائشة أم المؤمنين أنها سُئلت عن سبب تسمية والدها عتيقاً فقالت نظر إليه رسول الله ﷺ فقال: "هذا عتيق الله من النار" راوي الترمذي.

وسُمي بذلك لأن أمه سمته به ويقال سُمي به لجمال وجهه وكان غنياً ومن كبار سادات قريش وممن حرّم على نفسه الخمرة في الجاهلية شهر غزوات الرسول واحتمل الشدائد وبذل الأموال ورفيق النبي في هجرته إلى المدينة المنورة.

إسلامه :

أسلم مُبكراً لدعوة الرسول ﷺ وهو أول من أسلم من الرجال وأظهر إسلامه وناصر الرسول بنشر دعوته وجعل كل إمكانياته في خدمة الدعوة ومناصرة الإسلام وإنقاذ المسلمين وكان رجلاً ميسوراً ومحبوباً بني قومه وكان أعلم أهل قريش بعلم النسب واشتهر بحُسن خُلقه ومارس التجارة.

---

(١) سيرة وحياة الصديق، مجدي فتحي السيد، ص٢٧.

ألقابه : لُقب أبوبكر الصديق رضي الله عنه ، بعدة ألقاب منها :

- **العتيق :**

فقد قال له (ﷺ): (أنت عتيقُ الله من النار) فسُمِّيَ عتيقاً[1] وفي رواية عائشة قالت: دخل أبو بكر الصديق على رسول الله (ﷺ)، فقال له رسول الله (ﷺ): (أبشر فأنت عتيق الله من النار)[2]، فمن يؤمئذ سُمي عتيقاً[3]، وسميّ عتيقاً لجمال وجهه[4].

- **الصديق:**

إذ ورد عن أنس أنه قال: أن النبي (ﷺ) صعد أحداً، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، فوجف بهم فقال: اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان[5].

ولكثرة تصديقه للنبي (ﷺ) .

- **الصاحب:**

عن أنس أن أبا بكر حدثه فقال: قلت للنبي (ﷺ) وهو في الغار: لو أن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا تحت قدميه!! فقال النبي (ﷺ): (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما)[6].

- **الأتقى .**

- **الأواه :** وذلك لخوفه وخشيته من الله عز وجل .

---

(1) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢٨٠/١٥) إسناده صحيح.
(2) رواه الترمذي رقم ٣٦٧٩ في المناقب وصححه الألباني في السلسلة ١٥٧٤.
(3) أصحاب الرسول، محمود المصري (٥٩/١).
(4) المعجم الكبير للطبراني (٥٢/١).
(5) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب فضل ابي بكر (١١/٥).
(6) البخاري، فضائل الصحابة رقم ٣٦٥٣.

مولده وصفته الخَلْقية:

ولد بعد عام الفيل بثلاث سنين، وذكر بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر [١]، ووصف بالبياض في اللون، والنحافة في البدن، وحسن القامة، نحيفاً خفيف العارضين، أجنا' رقيقاً معروق الوجه[٢]، غائر العينين[٣]، أقنى[٤]، حمش الساقين[٥]، ممحوص الفخذين[٦]، وكان ناتئ الجبهة، عاري الأشجاع[٧] ويخضب لحيته، وشيبه بالحناء والكتم[٨].

أسرته: والدته سلمى بن صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم وكنيتها أم الخير أسلمت مبكراً [٩].

تزوج من أربع نسوة أنجبن له ثلاثة ذكور وثلاث إناث وهنّ (قتيلة بنت عبد العزى بن أسعد بن جابر ابن مالك، أم رومان بنت عامر بن عويمر، أسماء بن عُمَيس بن معبد بن الحارث، حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير)

وأما أولاد أبي بكر رضي الله عنهم فهم: (عبد الرحمن بن أبي بكر، عبد الله بن أبي بكر، محمد بن أبي بكر، أسماء بنت أبي بكر" ذات النطاقين "، عائشة أم

---

(١) سيرة وحياة الصديق، مجدي فتحي السيد، ص٢٩؛ تاريخ الخلفاء، ص٥٦.

(٢) المعروق: هو قليل اللحم.

(٣) غائر العينين: دخلت في الرأس.

(٤) أقنى واستقنى: حَفَظَ حياءه ولزمه.

(٥) حمش الساقين: دقيق الساقين.

(٦) الممحوص: هو الشديد الخلق في الفخذين، مع قلة اللحم بهما.

(٧) الأشاجع: هو مفاصل الأصابع.

(٨) البخاري رقم ٥٨٩٥، ومسلم ٢٣٤١، أبوبكر الصديق، مجدي السيد، ص٣٢.

(٩) تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين، ص٣٠.

المؤمنين رضي الله عنها، أم كلثوم بنت أبي بكر) [١].

- **واشتهر أبو بكر (رضي الله عنه)** بعلمه بالأنساب ، تجارته، وموضع الألفة بين قومه وميل القلوب إليه ، لم يرد عنه أنه شرب الخمر في الجاهلية ، ولم يسجد لصنم .

أعمال أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) :

بالرغم من الفترة التي قضاها أبو بكر الصديق **(رضي الله عنه)** في الخلافة قصيرة إلا أنها كانت تواجهه كثير من المصاعب والمشاكل التي حلّت بالدولة الإسلامية الناشئة،بين أقوام حاقدة ودول مواجهة معه، فكادت أن تؤول إلى الضعف والتخلف والهوان والذل إلا أن شخصيته البارعة وإيمانه الثابت بالله، قد أصرّ على متابعة وترسيخ وتوطيد دعائم الدولة الإسلامية، وما أن تسلّم أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) مقاليد الحكم حتى بدأت الفتنه تطلّ برأسها على المسلمين، وبعد أن سيّر جيش أسامة توافدت القبائل على أبي بكر ليناقشوه في أمر الزكاة، وأنها لم تعد مشروعة بعد وفاة الرسول (ﷺ) رافضين دفعها . وشاور أبو بكر أصحابه حتى قال منهم، أتركهم وما هم عليه من منع الزكاة، حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم.

ورد عليه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بقوله: إذا منعك العرب فاصبر عليهم، فيرد عليهم: " والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله (ﷺ) لقاتلتهم عليه، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة"[٢].

ويقول: يا عمر أجبّار في الجاهلية، خوّار في الإسلام، ثم أتخذ قرار ووافق عليه الصحابة بالإجماع وهو مقاتلة مانعي الزكاة واجب.

([١]) الصلابي ، ٢٠٠١، (١-٦) .
([٢]) العواصم من القواسم، ص ٤٦.

أعمال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) :

أولاً : إنفاذ جيش أسامه بن زيد(رضي الله عنه) :

حيث أشار عليه بعض الصحابة إلاّ يرسل جيش أسامة وذلك لاحتياجهم إليه، فقال: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباعة تتخطفني لانفذت جيش أسامة كما أمر رسول الله (ﷺ) ولو لم يبقى في القرى غيري لانفذته، وقال: والله لا أحلّ عقدة عقدها رسول الله (ﷺ) ولو أن الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة وآمر الحرس يكون حول المدينة[1].

ويوصيه " بأن لا تخونوا، ولا تغلوا (أي أخذ الشيء من الغنيمة خفية قبل القسمة) ولا تغدروا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة، ولا بعيراً إلا لمأكله، وسوف تمرّون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفقوهم بالسيف خفقاً، اندفعوا بسم الله[2].وسار جيش أسامه ليؤدي مهمته، وبعد أربعين يوماً عاد جيش أسامة منتصراً.

نتائج جيش أسامة :

١. وجّه رسالة إلى قبائل قُضاعة مفادها،أن الدولة الإسلامية قوية وستنتشر الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها.

٢. دبّ الرعب في قلوب الروم، إذ أن المسلمين أقوياء أشداء قادرين على التحدي.

٣. دبّ الذعُر والخوف في قلوب المنشقين من المرتدين في الهجوم على المدينة المنورة.

---

(١) الطبري، ج٣، ص ٢٢٥.
(٢) الطبري، ج٣، ص ٢٢٧؛ ابن الأثير، ج٢، ص٢٢٧

٤. أدرك المرتدون قوة المسلمين بعودة جيش أسامة منتصراً أمام قوة الروم والقبائل المتحالفة معهم من قضاعة.

ثانياً: القضاء على المرتدين:

١-الردة إصطلاحاً:

يعرّفها النووي بأنها: قطع الإسلام بنية أو قول كفر أو فعل، سواء قاله استهزاء أو عناداً أو إعتقاداً، فمن نفى الصانع أو الرسل أو كذب رسولاً أو حلل محرماً بالإجماع كالزنا وعكسه، أو نفى وجوب مجمع عليه أو عكسه، أو عزم على الكفر أو تردد فيه، كفر[1] .

ويعرّفها ابن حزم الظاهري بأنها: كل من صح عنه أنه كان مسلماً متبرئاً من كل دين حاش دين الإسلام، ثم ثبت عنه أنه ارتد عن الإسلام وخرج إلى دين كتابيّ أو غير كتابّي أو إلى غير دين[2]،

ويعرّفها عثمان الحنبلي: بأنه لغة الراجع. ومعنى هذا أن المرتد هو كل من أنكر معلوماً من الدين بالضرورة كالصلاة والزكاة والنبوة وموالاة المؤمنين، أو أتى بقول أو فعل لا يحتمل تأويلاً غير الكفر[3].

وأرىّ في الردة عن الإسلام أنها بداية لترك الإسلام والعودة إلى الوثنية، والدين بفرائضه وأركانه المتكاملة، ولا يجوز تركها كالزكاة، وإقامة الصلاة، وصوم رمضان، والتهاون في أقامة أركان الإسلام والخروج على طاعة الوالي[4].

وسببها الصدمة بموت رسول الله ﷺ ، والحنين إلى أيام الجاهلية ، وحب الجاه والسلطة .

([1]) محمد الزهري الغمراوي شرح على متن المنهاج لشرف الدين النووي، ص٥١٩.
([2]) المحلى (١٨٨/١١) .
([3]) حركة الردة، د. علي العتوم، ص١٨.
([4]) الصلابي، ٢٣٩

خطة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) لحماية المدينة:

عادت وفود القبائل المانعة للزكاة من المدينة بعدما رأت عزم الصديق وحزمه وقد اتخذت أمرين:

أ- أن قضية منع الزكاة لاتقبل المفاوضة وأن حكم الإسلام فيها واضح ولذلك لا أمل في تنازل خليفة المسلمين عن عزمه ورأيه وخاصة بعدما أيده المسلمون وثبتوا على رأيه بعد وضوح الرؤية وظهور الدليل.

ب-أنه لابد من اغتنام فرصة ضعف المسلمين-كما يظنون-وقلة عددهم لهجوم كاسح على المدينة يسقط الحكم الإسلامي فيها ويقضي على هذا الدين[١].

قرأ الصديق في وجوه القوم ما فيها من الغدر، ورأى فيها الخسة وتفرس فيها اللؤم فقال لأصحابه: إن الأرض كافرة وقد رأى وفدهم منكم قلة، وإنكم لاتدرون أَلَيْلاً تؤتون أم نهاراً! وأدناهم منكم على بريد، وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا عليهم، ونبذنا إليهم عهدهم، فاستعدوا وأعدوا[٢]، ووضع الصديق خطته على الوجه التالي:

أ-ألزم أهل المدينة بالمبيت في المسجد حتى يكونوا على أكمل استعداد للدفاع عنها.

ب-نظم الحرس الذين يقومون على أنقاب المدينة ويبيتون حولها حتى يدفعوا أي غارة قادمة.

جـ-عين على الحرس أمراءهم: علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم[٣].

ح-وبعث أبو بكر إلى من كان حوله من القبائل التي ثبتت على الإسلام، من أسلم وغفار، ومزينة، وأشجع، وجهينة وكعب، يأمرهم بجهاد أهل الردة فاستجابوا له، حتى امتلأت المدينة المنورة بهم، وكانت معهم الخيل والجمال التي وضعوها

---

(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام، ص٢٨٠.
(٢) تاريخ الطبري (٦٤/٤).
(٣) تاريخ الطبري (٦٤/٤).

تحت تصرف الصديق[١]، ومما يدل على كثرة رجال هذه القبائل وكبر حجم دعمها للصديق، أن جهينة وحدها قدمت إلى الصديق في أربعمائة من رجالها ومعهم الظهر والخيل، وساق عمرو بن مرة الجهني مائة بعير لإعانة المسلمين، فوزعها أبو بكر في الناس[٢].

هـ–ومن ابتعد من المرتدين عن المدينة، وأبطأ خطره، حاربه بالكتب يبعث بها إلى الولاة المسلمين في أقاليمهم كما كان رسول الله يفعل، يحرضهم على النهوض لقتال المرتدين .

– وأما من قرب منهم من المدينة واشتد خطره كبني عبس وذبيان فإنه لم يرى بداً من محاربتهم على الرغم من الظروف القاسية التي كانت تعيشها مدينة رسول الله ﷺ، فكان أن آوى الذراري والعيال إلى الحصون والشعاب، محافظة عليهم من غدر المرتدين[٣]، وهيأ نفسه وجيشه لمنزالتهم وقتالهم.

فشل أهل الردة في غزو المدينة :

بعد ثلاثة أيام من رجوع وفود المرتدين طرقت بعض قبائل أسد وغطفان وعبس وذبيان وبكر المدينة ليلاً وخلفوا بعضهم بذي حُسىَ، ليكونوا لهم ردءاً، وانتبه حرس الأنقاب لذلك وأرسلوا للصديق بالخبر، فأرسل إليهم أن ألزموا أماكنكم، ففعلوا، وخرج في أهل المسجد على النواضح إليهم فانفشَّ العدو، فاتبعهم المسلمون على إبلهم، حتى بلغوا ذا حُسىَ، فخرج عليهم الرّدء بأنحاء[٤] قد نفخوها، وجعلوا فيها الحبال، ثم دهدهوها[٥]، بأرجلهم في وجوه الإبل، فتدهده كل نحْي في طوله[٦]، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها–ولا تنفر الإبل في شيء نفارَها من

---

(١) مهدي رزق الله، ص٢١.
(٢) نفس المصدر، ص٢١.
(٣) نفس المصدر، ص١٧٤.
(٤) الأنحاء: هي القرَب.
(٥) أي دفعوها.
(٦) أي في حبله.

الأنحاء-فعاجت بهم مايملكونها، حتى دخلت بهم المدينة فلم يُصرَع مسلم ولم يُصَبْ[١]

فظنّ القوم بالمسلمين الوهن، وبعثوا إلى أهل ذي القصَّة بالخبر، فقدموا عليهم اعتماداً في الذين أخبروهم، وهم لايشعرون لأمر الله عزوجل الذي أراده، وأحب أن يبلغه فيهم، فبات أبو بكر ليلته يتهيأ، فعبَّى الناس، ثم خرج على تعبيه من أعجاز ليلته يمشي، وعلى ميمنته النُّعمان بن مُقرِّن، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن، وعلى الساقة سُويد بن مقرن معه الرُّكاب فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد، فما سمعوا للمسلمين همساً ولاحسّاً حتى وضعوا فيهم السيوف، فاقتتلوا أعجاز ليلتهم، فما ذرَّ قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار، وغلبوهم على عامّة ظهرهم، وقتل حبالُ-أخو طليحة الأسدي-واتبعهم أبو بكر، حتى نزل بذي القُصَة-وكان أول الفتح-ووضع بها النعمان بن مقرن في عدد، ورجع إلى المدينة فذل بها المشركون، فوثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين، فقتلوهم كل قتلة، وفعل من وراءهم فعلهم، وعزَّ المسلمون بوقعة أبي بكر، وحلف أبو بكر ليقتلن في المشركين كل قتلة، وليقتلن في كل قبيلة

وصمم الصديق على أن ينتقم للمسلمين الشهداء، وأن يؤدب هؤلاء الحاقدين ونفذ قسمه وازداد المسلمون في بقية القبائل ثباتاً على دينهم، وازداد المشركون ذلاً وضعفاً وهواناً وبدأت صدقات القبائل تفد على المدينة، فطرقت المدينة صدقات نفر: صفوان ثم الزبرقان، ثم عدي، صفوان في أول الليل، والثاني في وسطه، والثالث[٢] في آخره، وفي ليلة واحدة أثرت المدينة بأموال زكاة ستة أحياء من العرب، وكان كلما طلع على المدينة أحد جباة الزكاة قال الناس: (نذير) فيقول أبو بكر: (بل بشير) وإذا بالقادم يحمل معه صدقات قومه، فيقول الناس لأبي بكر: طالما بشرتنا بالخير[٣]، وخلال هذه البشائر التي تحمل معها بعض العزاء، وشيئاً من الثراء، عاد أسامة ابن زيد بجيشه ظافراً، وصنع كل ماكان الرسول قد أمره به،

---

(١) تاريخ الطبري (٦٥/٤).
(٢) المصدر السابق (٦٦/٤).
(٣) تاريخ الطبري (٦٧/٤).

وما أوصاه به أبو بكر الصديق[1]، فاستخلفه أبو بكر على المدينة، وقال له ولجنده أريحوا وأريحوا ظهركم[2]، ثم خرج في الذين خرجوا إلى ذي القصة والذين كانوا على الأنقاب على ذلك الظهر، فقال له المسلمون: ننشدك الله ياخليفة رسول الله أن تُعرض نفسك! فإنك إن تُعَب لم يكن للناس نظام ومقامك أشد من العدو، فابعث رجلاً، فإن أصيب أمّرت آخر فقال: لا والله لاأفعل ولأواسيكم بنفسي[3]. لقد ظهر معدن الصديق النفيس في محنة الردة على أجلى صورة للقائد المؤمن الذي يفتدي قومه بنفسه، فالقائد في فهم المسلمين قدوة في أعماله، فكان من آثار هذه السياسة الصديقة أن تقوّى المسلمون وتشجعوا لحرب عدوهم، واستجابوا لتطبيق الأوامر الصادرة إليهم من القيادة[4]، لقد خرج الصديق في تبعيته إلى ذي حُسَ وذي القصة، والنُّعمان وعبد الله وسُويد على ما كانوا عليه، حتى نزل على أهل الرَّبذة بال أبرق، فهزم الله الحارث وعوفاً وأخذ الخطيئة أسيراً، فطارت عبس وبنو بكر، وأقام أبو بكر على الأبرق أياماً، وقد غلب بني ذبيان على البلاد. وقال: حرام على ذبيان أن يتملكوا هذه البلاد إذ غنمناها الله وأجلاها فلما غلب أهل الردة، ودخلوا في الباب الذي خرجوا منه، وسامح الناس جاءت بنو ثعلبة، وهي كانت منازلهم لينزلوها، فمنعوا منها فأتوه في المدينة، فقالوا: علام نمنع من نزول بلادنا! فقال: كذبتم، ليست لكم ببلاد، ولكنها مَوْهبي ونَقَذي[5]، ولم يُعْتبهم[6]، وحمى الأبرق لخيول المسلمين، وأرعى سائر بلاد الرَّبذة الناس على بني ثعلبة، ثم حماها كلها لصدقات المسلمين، لقتال كان وقع بين الناس، وأصحاب الصدقات.

---

(1) الصديق أول الخلفاء للشرقاوي، ص٧٥.

(2) تاريخ الطبري (٣٧/٤).

(3) نفس المصدر (٦٧/٤).

(4) حركة الردة، ص٣١٩.

(5) النقذ: ما استنقذ من الأعداء.

(6) أي لم يُقل عشرتهم.

أسباب حروب الردة:

١. ضعف الإيمان في قلوب المرتدين .
٢. ظهور العصبة القبلية عند القبائل البعيدة عن مكة والمدينة، مثل عبس وذبيان وبنو أسد.
٣. منعهم أخراج الزكاة.
٤. ظهور الكثير من المتنبئين والكهّان والمدعين للنبوّة.
٥. الطامعين في الحكم أمثال المنذر بن نعمان الملقب بالغرور في البحرين، ولقيط بن مالك الأزدي الملقب بذي التاج في عُمان، وقيس بن مكشوح في اليمن.
٦. التدخل الفارسي والرومي وخاصة اتصال الفرس بسجّاح التميمية جنوب العراق والمتآمرة مع الفرس، ولكنها أسلمت فيما بعد، وحسُن إسلامها[١].

وقسّم جيشه إلى أحد عشر لواء وعقد لهم الرايـــات وكـــانوا وهـــؤلاء الأمراء هم:

١. خالد بن الوليد يتوجه إلى طليحة الأزدي ثم يسير إلى مالك بن نوره.
٢. عكرمة بن أبي جهل ويتوجه إلى مسيلمة الكذّاب في اليمامة ثم يساعده خالـــد بن الوليد.
٣. شرحبيل بن حسنه لمساعدة عكرمة ثم إلى بني قضاعه.
٤. عمر بن العاص يتوجه إلى قبيلتي قضاعة ووديعة في تبوك ودومة الجندل.
٥. يتوجه خالد بن سعيد بن العاص إلى مشارف الشام.
٦. العلاء بن الحضرمي يتوجه إلى البحرين.
٧. حذيفة بن محصن الغطفاني يتوجه إلى عُمان
٨. عرفجه بن هرثمة البارقي يتوجه إلى بلاد مهرة.
٩. المهاجر بن أمية يتوجه إلى صنعاء ثم قبيلة كنده في حضرموت.
١٠. سويد بن مقرن يتوجه إلى التهامه.

---
(١) ابن الأثير، ج٢، ص ٣٥٧.

١١. طريفة بن حاجز يتوجه إلى بني سُليم وهوزان[١]. ثم عادت كل هذه الجيوش منتصرة وأخمدت نيران الفتنة[٢].

أسباب فشل المرتدين:

١. عدم التنسيق بين المرتدين.
٢. الاختلاف والتخاذل والتراجع مما سهّل على جيوش المسلمين القضاء عليهم.
٣. غياب العقيدة عند المرتدين حتى قيل لمسيلمة الكذّاب أشهد أنك كاذب وأن محمد صادق.
٤. التمسك بالعنصرية الضيّقة والمتمثلة في الدفاع عن القبيلة والحفاظ عليها.

أسباب انتصار المسلمين على المرتدين:

١. قوة العقيدة الإسلامية عند المسلمين.
٢. صبر المسلمين واستبسالهم في الدفاع عن الإسلام.
٣. قوة شخصية أبي بكر من حرب المرتدين وسياسته في تقسيم جيوش المسلمين
٤. وجود المخلصين من المسلمين قادة وأفراد.
٥. الانقسام والتجزئة في جيوش المرتدين.
٦. عودة جيش أسامة منتصراً على قبائل قضاعة ومعه الغنائم، ورفع من معنوية المسلمين وبثّ الضعف والذّعُر في نفوس المرتدين.

نتائج حروب الردة:

١. أعلت من شأن الدعوة الإسلامية والرسالة المُحمدية وأنها الديانة الصحيحة.
٢. أثبتت جدارة وبراعة وحكمة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) في حربهم.
٣. رفعت معنويات المسلمين وشعروا بالثقة في أنفسهم.

---

(١) ابن الأثير، ج٢، ص ٣٣٤.
(٢) الصلابي، ص٢٦١

٤. طهّرت الجزيرة العربية من المرتدين وقضت على الطامعين بالمُلك والطامحين له.
٥. مدى امتلاكهم الخبرة العسكرية التي تمتع بها المسلمون للوقـوف فـي وجـه الفرس والروم.
٦. جمع القرآن وذلك لكثرة الصحابة الذين استشهدوا وهم من حفظة القرآن.
٧. أعطت الضوء الأخضر لأبي بكر للتوجه خارج الجزيرة العربية لنشر الإسلام.
٨. أنضم إلى المسلمين ممن كانوا مرتدين فدافعوا عن الإسلام بشجاعة وإقدام[1].

ثالثاً: جمع القرآن الكريم:

جاء النصر المؤيد من الله عز وجل لخليفة ثبت الله قلبه علـى الحـق، وأيـده بنصره من عنده، وآتاه حزم أولي العزم، وجاءت إرادة الله لتجعل كلمته هي العليا، وتُثبت دعائم رسالة سيدنا محمد (ﷺ) من بعده، وذلك للدور الذي لعبه أبي بكـر الصديق رضي الله عنه ضد المرتدين.

ونتيجة لاستشهاد كثير من حفظة القرآن في المعارك التـي خاضـوها ضـد المرتدين، برزت فكرة جمع القرآن في مصحف خشية عليه من الضياع فلـم يـزل عمر يتردد على أبو بكر حتى رضي بجمعه، فدعا زيد بن ثابت رضـي الله عنـه وقال له: " أرسل إلّيّ أبي بكر الصديق مقتل أهل اليمامة، وعنده عمر بن الخطـاب فقال: أبو بكر رضي الله عنه أن عمر أتاني فقال أن القتل قد استحرّ يـوم اليمامـة بقُرّاء القرآن، وأني لأخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير مـن القرآن، إلا أن يجمعوه، وأني لأري أن يجمع القرآن، قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله (ﷺ) قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعنـي حتـى شرح الله صدري لذلك، فرأيت الذي رأى عمر، قال زيد: وعمر عنـده جـالس لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك شاب عاقل ولا نتهُمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسـول الله (ﷺ)، فتتبّع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلّفوني نقل جبل، ما كان أثقل علـيّ ممـا

([1]) ياسين، عبد (تاريخ صدر الإسلام)، ٢٠٠٣

كلفني به من جمع القرآن، فقلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبي الله (ﷺ)؟ فقال أبو بكر: هو والله خير. فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله لـــه صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

فتتبعت القرآن أجمعه من العسب[١]، واللخاف[٢]، وصدور الرجال، والرقاع[٣]، والأكتاف[٤]. قال: حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجــدها مع أحــد غيره. وذكر قوله تعالى: (لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨) (سورة التوبة، آية:١٢٨) حتى خاتمة براءة وكانت الصحف عند أبي بكر حياته حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم[٥] فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر طيلة حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها)[٦]. صحيح البخاري.

بقيت هذه الصحف عند حفصة حتى قدم حُذيفة بن اليمان على عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان حذيفة يُغازي أهل الشام في فتح أرمينيا، وأذربيجان مع أهـــل العراق، فحدّثه حُذيفة عن الاختلاف في القراءة، ثم قال لعثمان يا أميـــر المـــؤمنين أدرك هذه الأُمة قبل أن يختلف في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

ثم أمر عثمان بأن ترسل إليه حفصة الصحف، فننسخها ثم نردها إليك، فـــأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وبعد نسخها أرسل إلى كل إقليم من أقـــاليم الدولـــة

---

(١) العسب: هو جريد النخل.
(٢) اللخاف: جمع لخفة: وهي صفائح الحجارة.
(٣) الرقاع: جمع رقعة وهي قطع الجلود.
(٤) الأكتاف: جمع كتف، وهو العظم الذي للبعير أو الشاة.
(٥) البخاري رقم ٤٩٨٦.
(٦) النجار، ٨٥؛ السيوطي، ص٨٨.

الإسلامية نسخة وأمر بحرق كل صحيفة ومصحف، إذا كان في بقائهما اختلاف على ما نُسخ أو نُظّم.

رابعاً: الفتوحات الإسلامية:

لقد علق في قلوب الصحابة وخاصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣﴾ (التوبة- ١٢٣) وما أن عقد الرسول(ﷺ) راية حملة أسامة بن زيد وذلك لضرب طموحات الدولة الرومانية اتجاه الدولة الإسلامية الناشئة وذلك بإثارة قبيلة قضاعة ضد المسلمين حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى، ثم توجّه من بعد أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى مُنازلة الفرس والروم، وذلك بعرض الإسلام عليهم والدخول به، أو إجبارهم على دفع الجزية، وهي تساوي أجر الحماية، فمحاسبة المسلمين هناك تأخذ على عاتقها حمايتهم، بدليل أنهم كانوا إذا سحبوا هذه الحماية، ردّوا الجزية على أصحابها كما حصل معهم في حمص[1]. وكان تقديره بردهم عن تحقيق أهدافهم اتجاه الدولة الإسلامية.

دوافع الفتوحات الإسلامية:

١. مدى قوّة إيمان المسلمين، مما دفعهم لمتابعة نشر الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية.
٢. الخبرة العسكرية التي اكتسبها المسلمين من حروب الردة.
٣. تصديق قول الرسول(ﷺ) بفتح بلاد فارس، والشام، واليمن في غزوة الخندق.

([1]) البنّا، ص ٥٣

٤. أوضاع الدولتين الفارسية والرومانية في تلك الفترة، من تدهور وانحطاط وفساد في الأخلاق، والنزاع المستمر بينهما.

أولاً: الفتوحات الإسلامية في الشام:

- **العوامل التي ساعدت المسلمين على فتح بلاد الشام:**

١. قربها من الجزيرة العربية، ومعرفة المسلمين لطُرق بلاد الشام الجغرافية.
٢. استبداد الدولة الرومانية وظُلم سكانها، سهل دخول المسلمين إليها وفتحها.
٣. إعلان القبائل العربية في الشام استعدادها للتعاون مع المسلمين.

لقد تمكن أبو بكر الصديق رضي الله عنه من تنفيذ خططه العسكرية الحربية وذلك في خطته حيث قال: " واعلموا أن رسول الله (ﷺ) كان عوّل أن يصرف همته إلى الشام، فقبضُه الله واختاره إليه، وإني عازم على أن أوُجه أبطال المسلمين الى الشام، بأهلهم ومالهم، فرسول الله (ﷺ) أنبأني بذلك قبل موته[1].

وخطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه في القوّات والأمراء الذين أرسلهم لتحرير بلاد الشام، قائلاً:" إن اجتمعتم على قتال فأميركم أبو عبيدة عامر بن الجراح، ثم طلب من خالد التوجه من العراق إلى الشام، وسار خالد متوجهاً إلى بلاد الشام في ثمانية أيام محرراً في طريقه تدمر[2]. وتوفي أبي بكر وحروب التحرير مستمرة على جبهة الشام والعراق.

وقد أدرك أن المسلمين سينقسمون بعده، فقد عيّن عمر بن الخطاب خليفة للمسلمين ووجه خالد بن سعيد ابن العاص على رأس جيش إلى مشارف الشام وعسكر بتيماء، والتقى بالروم، ثم طلب المدد من أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فأمدّه بمجموعة من الجيوش:

الأول إلى فلسطين بقيادة عمرو بن العاص.

والثاني إلى الأردن بقيادة شرحبيل بن حسنه.

---

(١) الواقدي، فتوح الشام، ص ٢
(٢) البلاذري، ص ١١٦.

والثالث إلى البلقاء بقيادة يزيد بن أبي سفيان.

والرابع إلى حمص بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح.

واجتمعت جيوش المسلمين بقدوم خالد بن الوليد والجيوش الأخرى، ثم توحدوا تحت قيادة خالد بن الوليد، وبلغ عددهم أربعين الفاً، بينما بلغ عدد جيش الروم ٢٤٠ ألف.

واستخدم خالد إستراتيجيه دفاعيه وهجوميه جديدة، حيث استخدم نظام الكراديس وخرج في ستة وثلاثين كردوساً.(والكردوس: هو مجموع من العسكر قد يصل إلى ألف مقاتل) وجعل على الميمنة عمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة وعلى الميسرة يزيد بن أبي سفيان، والقلب أبا عبيده، ثم جعل أبو سفيان يحمّس المسلمين على قتال الروم، ويثبتهم على الجهاد في سبيل الله، وقبل المعركة جرت مفاوضات بين الطرفين فاجتمع خالد مع القائد الرومي ماهان، فقال ماهان: إنّ قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم إلا الجهد والجوع فهلّموا إليّ أن أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير، وكسوة، وطعام، وترجعون إلى بلاكم فإذا كان العام المُقبل، بعثنا لكم بمثلها فأجابه خالد: خرجنا لنشرب الدماء، فبلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم، فجئنا لذلك.

ثم أنصرف الطرفان ودارت المعركة بين الطرفين، وفي هذه الأثناء ورد كتاب الخليفة عمر بن الخطاب بإبلاغ المسلمين بوفاة أبي بكر الصديق ويأمره بالتنازل لأبي عبيده إلاّ أنّ خالد بعد مشاورة صحبة أخفى الكتاب حتى انتهت المعركة، وسلّم أمارة الجيوش الإسلامية إلى أبي عبيده عامر بن الجراح، وانتصر المسلمون في معركة اليرموك وطرد الروم من سوريا.

- **نتائجها :**

١. سقوط الحكم الروماني ببلاد الشام وبداية الحكم الإسلامي له.
٢. انتصار المسلمين وقتل ما يزيد على مائة وعشرين ألف من الروم، وأسر ثمانين ألف منهم.
٣. كان نصراً مُبشّراً للإسلام والمسلمين.

واستمر المسلمون في فتوحاتهم في خلافة عمر بن الخطاب وخاضوا معارك عنيفة ضد الروم وخاصة طرد الروم وإلحاق الهزيمة بهم في **أجنادين** سنة ١٣هجري، مما أضطرّ هرقل على الرحيل من حمص إلى انطاكيا[١]. ثم وقعت **معركة دمشق** سنة ١٤ هجري حيث دخلها العرب من ناحيتين خالد بن الوليد من البوابة الشرقية قصراً، وأبو عبيده من باب الجابية سلماً،ثم كانت أولى المناطق خضوعاً للمسلمين الأردن، وتتوجه الجيوش الإسلامية إلى فلسطين، ثم تقع انطاكيا وحلب وحمص تحت السيطرة الإسلامية.

وتمكن المسلمون من الاستيلاء على عكا، وحيفا، ويافا، وغزة. ثم يتوجه إلى فتح بيت المقدس ويحاصرهم عمرو بن العاص وكتب أبو عبيده إلى أهل إيليا (بيت المقدس) يدعوهم إلى الإيمان بالله ورسوله، أو دفع الجزية، فرأوا أنه لا محالة من المهادنة مع المسلمين، وطلبوا من قادة المسلمين حضور الخليفة بنفسه فطلب أبو عبيده من الخليفة عمر بن الخطاب أن يأتي إليهم فصالحهم على إيليا وما يتبعها، والرملة. وكتب لهم بذلك كُتباً وكان فتح بيت المقدس في ربيع الأول سنة ١٦ هجري، وخل إلى المسجد الأقصى وصلّى في محراب داوود عليه السلام، وأمر ببناء مسجد عمر وسمي كتابه بالعُهدة العُمرية.

ب. الفتوحات الإسلامية في مصر:

بعد أن انتهى المسلمون من فتح بلاد الشام توجهت جيوش المسلمين إلى مصر، باعتبارها مفتاح لمنطقة جديدة، وفيها مقر جيش البيزنطينين، فأمرهم عمر بن الخطاب بتحرير مصر، وذلك لضمان الأمن والاستقرار في تلك المنطقة، فأوكل المهمة إلى عمرو بن العاص وذلك لمعرفته بهذه المنطقة، فتوجه إلى سيناء حتى وصل إلى العريش التي خضعت دون مقاومة، ثم العزما التي سقطت سنة ١٩ هجري بيد المسلمين، ثم تمكن من تحرير بلبيس وفرّ منها جيش البيزنطينيين، ثم توجه المسلمين إلى دنين (المقص) وطلب عمر بالمدد، فجاءت إليه قوّات على

---

(١) البلاذري، ١٢٠-١٢١.

رأسها الزبير وعُبادة بن الصامت، والمقداد بن الأسود، ونجح في تحريرها وفرّ جيش البيزنطينيين إلى حصن بابليون، فتابعهم العرب في سنة ٢٠ هجري، وحاصروها لمدة ستة أشهر ثم أرسلهم المقوقس ليفاوضهم بدفع الجزية مقابل حمايتهم.

ثم توجه جيش المسلمين إلى الإسكندرية باعتبارها أهم المراكز الإستراتيجية للبيزنطيينين ؛ وذلك لأسوارها العالية، وحصونها المنيعة، وقربها من البحر، وكان سهل وصول الإمدادات إليها من القسطنطينية، فتمكن المسلمين من التسلل داخل أسوارها، وأشاعوا الفزع في نفوس الأعداء، فهربوا إلى سفنهم في البحر، الأ أن الكثير منهم وقع في الأسر، ثم راسلهم المقوقس، وعقد الصلح مع المسلمين سنة ٢١ هجري[١].

- **وكانت بنود الصلح:**

١. أن يدفع كل واحد منهم دينارين في كل سنة.
٢. أن تستمر الهُدنة لمدة أحد عشر شهراً.
٣. يحتفظ المسلمون العرب بمراكزهم مدة الهدنة ولا يحدث بينهم قتال.
٤. أن يحترم المسلمون حرمة الكنائس وألا يتدخلوا فيها.
٥. أن ترحل الحامية ويدفعوا الجزية عن شهر عند رحيلهم.
٦. بقاء اليهود بالإسكندرية.
٧. ضمان عدم عودة الروم إلى مصر.
٨. يبقى عند المسلمين مائة وخمسون جندياً بيزنطينياً، وخمسون مدنياً كرهائن حرب.

ثم تمكن المسلمين من فتح بلاد النوبة إلا أنهم واجهوا مقاومة عنيفة واستمروا بمحاولة فتحها طوال مدة ولاية عمرو بن العاص، وفي سنة ٢١ هجري سار عمرو بن العاص في جُنده قاصداً المغرب حتى قدم برُقة، فصالحه أهلها على الجزية، وكتب لهم بذلك كتاباً، واسلم كثير منهم، وأخذ الصدقة من أغنيائهم، وردها على

---

(١) ابن عبد الحكم، ص ٧٢-٧٤

فقرائهم، ثم افتتح طرابلس بعد أن حاصرها شهراً، وهرب سكانها إلى سفنهم في البحر.

وفي خلافة عثمان توجه العرب إلى قفار الإفريقية، ودارت معارك عنيفة مع الروم، وهُزم البيزنطينيون، واستولى المسلمين على برقة وزويله[١].

ج. الفتوحات الإسلامية في العراق:

توجه المُثنى بن حارثه بن سلمى بن ضمضم الشيباني بحملاته على جنوب العراق، حيث خُلّدت بالانتصار، وأظهرت ضعف مقاومة الفرس، لذا وجّه إليه أبو بكر إمدادا آخر من الجيش بقيادة خالد بن الوليد لتحرير العراق، وفرض خالد سيطرته على بعض المناطق كالحيرة التي طلبت الصلح، واتفق الطرفان على أن يدفع أهل الحيرة ثمانين ألف درهم سنوياً، وأن يكونا عيوناً للمسلمين على أهل فارس، كذلك صالح العرب مدينة بإنقياء وهي من نواحي الكوفة، وتعهّدت بدفع ألف درهم وألف طيلسان للمسلمين، وأن تساعدهم في حربهم ضد الفرس، ومدينة آلوسي وأهل كلوإذا وعلنه[٢].

ثم توجه خالد إلى الأنبار حيث كان يحكمها شيرزاد، وحصّنها بخندق من الماء حول المدينة، الأ أنّ خالداً رماهم بالنبال، وعرض عليه شيرزاد الصلح، فرفض خالد إلا أن يدخل المدينة فعمل جسراً من الإبل بعد نحرها، وأعلن شيرزاد استسلامه للمسلمين، وطلب شيرزاد أن يغادر إلى كتسفون، وأن يترك الفرس جميع ممتلكاتهم، وأن يدفعوا الجزية، وتُسلّم أسلحتهم، واستخلف عليها الزبرقان بن بدر، ثم توجه إلى عين التمر[٣]. وبعد توجه خالد إلى الشام ضعف مركز المثنى في العراق، وزاد ضغط الفرس عليه ونجحوا في سيطرتهم على الحيرة، لكنه انتصر عليهم في معركة البويب سنة ١٣ هجري، ودخل الحيرة، ويلتقي مع سعد بن أبي وقاص في معركة القادسية سنة ١٤ هجري.

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح إفريقيا والأندلس، ص٢٩-٣٦

(٢) البلاذري، ص ٢٤٢-٢٤٤.

(٣) الطبري، ج٣، ص٢٧٣-٣٧٥؛ ابن قتيبة، ص ١١٧

حيث عمل على رد عدوان الفرس، والوقوف أمامهم، وتأتيه رسالة من يزدجر يقول فيها: " أرجعوا لصاحبكم فأعلموه إني مُرسل أليهم رُستم حتى يدفنه، ويدفنكم معه في خندق القادسية، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم بأنفسكم بأشد مما نالكم من سابور".

أما الفرس فقد استخدموا سلاح ألفيله في المعركة، ونتيجة لهزيمتهم بالمعركة فقد رفعت من معنوية جيش المسلمين، ودور القبائل في تحريرها، إذ أنهم قاتلوا إلى جانب المسلمين في معركة الجسر قرب الحيرة، وطلب ابن قتادة زعيم القبيلة من عمر بن الخطاب المساعدة بطرد الفرس من الإبله، فاستجاب عمر لطلبه وأرسل إليه شُريح بن عامر السعدي[1].

وأعلن أهل السواد من ظُلم الحكم الساساني وطلب ابن الرفيل من عمر بن الخطاب وقال له: " أنا قوم من أهل السواد، وكان أهل فارس قد ظهروا علينا وأضرّوا بنا، ففعلوا وفعلوا، فلما سمعنا بكم فرحنا بكم، فأعجبنا ذلك فلم نرد كفكم عن شيء حتى أخرجتموهم عنّا[2].

د. الفتوحات الإسلامية في الجزيرة:

بدأ تحرير الجزيرة سنة ١٨ هجري بحيش قاده عياض بن غنم[3]، وكانت الرّقة أول مدينة خضعت للمسلمين، ثم حرّان، وبعدها الرُها، إذ أن عياض حاصر الرقة خمسة أيام ثم طلب حاكمها الصلح، وتقرّر أن يضمن العرب المسلمون حياة سكان المدينة وممتلكاتهم وكنائسهم على أن يدفعوا الجزية للعرب المسلمين، والاّ يبنوا كنائس جديدة للعبادة.

ثم توجهت جيوش المسلمين إلى حرّان التي أغلق أهلها أبواب مدينتهم بوجه المسلمين، وطلبوا منهم الذهاب إلى الرها واعدين إيّاهم ان يقبلوا ما يقبل به أهل الرها، وتوجّه المسلمين إلى الرها، وقاومت المدينة لفترة قصيرة، ثم عرض أهلها

---

(1) الطبري، ج٣، ص٤٦٢-٤٦٦
(2) الحنبلي، ص١٠
(3) اليعقوبي، ج٢،ص١٤٠.

الصلح على المسلمين وهو نفس صلح أهل الرقة، ثم عادوا إلى حران وعقدوا نفس المعاهدة، وأرسل عياض إلى سمياط حملة قَبل أهلها نفس الصلح الذي وافقت عليه الرها[1].

الأ أنّ بعض مدن الجزيرة لم تلتزم ببنود المعاهدة، وأعلنت العصيان في سنة ١٩ هجري، فعاد إليهم جيش المسلمين وأجبروهم على الالتزام بشروط المعاهدة، وفي نفس السنة أخذت بعض مدن الجزيرة عنوة، ومنها (دارا، تلا، نصيبين، رأس العين، وطور عبدين). ثم تقدمت الجيوش الإسلامية من العراق والموصل ونجحت في تحرير الجزء الشرقي من الجزيرة سنة ٢٠ هجري، ووقفت قبائل تغلب، وإياد، والنمر موقفاً مؤيداً للعرب المسلمين القادمين لتحرير الجزيرة، وتحرير تكريت والموصل[2].

هـ. الفتوحات الإسلامية في بلاد فارس وأذربيجان وأرمينيا :

١. **فتح الري:** أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمار بن ياسر والي الكوفة، أن يتوجه إلى فتح الري ودسيتبي (وهي كورة، كبيرة مُقسّمة بين الري وهمدان). توجه جيش المسلمين واصطدموا مع جيشها إلا أن ملكها طلب الصلح مقابل جزية سنوية قدرها ثلاثون ألف درهم، ثم توجه المسلمون إلى قم، وقاشان وحرّروهما، وارتدت الري ودسيتبي، إلا أن شهاب الحارثي أخضعهما، ودفّعهما الخراج والجزية ثم غزا الديلم، والبير، والطيلسان[3].

٢. **فتح أذربيجان:** بعد انسحاب الفرس من الري تجمّعوا في أذربيجان، وكُلّف حذيفة بن اليمان بمهمة فتح أذربيجان سنة ٢٢ هجري، وعندما وصلها المسلمون طلب مرزبانها الصلح من المسلمين، على أن يدفعوا ثمانمائة ألف درهم على أن تُترك لهم حُرية العبادة، ولا يُقتل أحد منهم، ولا يُسبى. ثم

---

(1) البلاذري، ص١٧٢-١٧٥
(2) الطبري، ج٤، ص٣٥
(3) البلاذري، ص٣١٤

نقضوا الصلح مرّات عده في سنتي سنة ٢٥ هجري، وسنة ٢٨ هجـــري، إلاّ أن المسلمين أعادوهم من جديد[١].

٣. **فتح فارس:** بعد أن حرّر العرب أصفهان، أنهزم يزدجر إلى كرمـــان، ثـــم جمع مرزبان اصطخر جيشاً كبيراً لرد جـــيش المـــسلمين، إلا أن المـــسلمين انتصروا عليهم وفتح عبد الله بن عامر كور فارس[٢].

٤. **فتح خراسان:** لقد استمرّت التبعية الإدارية لخُراسان إلى البـــصرة، حيـــث حكمها عدد من الأُمراء، ثم نقل إليهم زياد بن أبيه خمسين ألف مقاتـــل مـــن البصرة، والكوفة. ثم توجه إليها عبد الله بن عامر والي البـــصرة ســـنة ٣٠ هجري لفتحها، ففتح نيسبور، وتوجه لفتح نسا، وصالح طوس وأهل هـــرات، وبوش بخ، وباذغيس، وسرخس، ومرو وطلب أهلهـــا الـــصلح، فـــصالحهم المسلمون ثم فتحوا قهستان، ومرو الروذ، وطخارستان، وبلخ، وبلاد ما وراء النهر.

٥. **فتح سجستان:** تقدّم العرب إليها وفتحوا مدينة زالف، ثم هـــاجموا زرنـــج، وسجستان مرّة أخرى وحرّروا بلاد الدّوار، وزابل، وبُست.

٦. **فتح السند:** حيث جرت محاولة لفتحها سنة ٣٩ هجري إلا أن قائد الحملـــة الحارث بن مُرّه العبد قد استشهد قبل فتحها[٣].

٧. **فتح أرمينيا:** لقد وقعّت معاهدة صلح في خلافة عثمان بن عفـــان إذ أنهـــا قُسّمت في تلك الفترة ما بين الفرس والبيزنطيين، لذا حرص العـــرب علـــى السيطرة عليها.

---

(١) البلاذري، ص٣٢١-٣٢٥
(٢) الطبري،ج٤،ص١٧٧
(٣) البلاذري، ص٤٢٠-٤٢١.

نتائج الفتوحات الإسلامية:

١. نشر الإسلام في البلدان التي تم فتحها مما أدى إلى بناء مجتمع إسلامي يقوم على تعاليم العقيدة الإسلامية.
٢. إزالة الدولة الفارسية (الساسانية) وتحجيم الدولة الرومية (البيزنطية)
٣. رفع الظلم عن سكان البلاد التي تمّ فتحها ودخولها تحت الحكم الإسلامي.
٤. تصحيح الأوضاع الاجتماعية والدينية فيها.
٥. ظهور دولة عالمية واحدة للمنطقة في وسط الكرة الأرضية (من حدود الصين شرقاً إلى المغرب غرباً، ومن بحر العرب جنوباً حتى آسيا الصغرى شمالاً).
٦. طغيان المنهج الرباني على جميع الشعوب التي دانت بالإسلام.
٧. برزت حضارة ربانية متكاملة، ومتوازنة ومتناسقة ضمت بين أرجائها تفاعلات الأمم والشعوب المندرجة تحت شرع الله تعالى.

إدارة البلاد في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه):

لقد عمل أبو بكر الصديق على تقسيم الجزيرة العربية إلى ولايات، وجعل على كل ولاية أميراً إذ خصّهم بإقامة الصلاة، والقضاء، وإقامة الحدود، وتسيير أمورها الإدارية.

وقسّم شبه الجزيرة العربية أدارياً إلى الأقسام التالية:

١. مكة وأميرها عتاب بن أسيد.
٢. الطائف وأميرها عثمان بن أبي العاص.
٣. صنعاء وأميرها المهاجر بن أبي أُمية.
٤. حضرموت وواليها زياد بن لبيد.
٥. خولان وواليها يعلي بن أمية.
٦. زُبيد ورمَع وواليهما أبو موسى الأشعري.
٧. الجند وأميرها معاذ بن جبل.
٨. نجران وواليها جُرير بن عبد الله.

٩. جرش وواليها عبد الله بن ثور

١٠. البحرين وواليها العلاء بن الحضرمي..

وأتخذ أبا عبيده أميناً على بيت المال وكان يكتب له الأخبار عثمان بن عفان[1].

وفاة أبي بكر الصديق(رضي الله عنه) :

اشتد المرض بأبو بكر الصديق رضي الله عنه في شهر جمادي الآخرة من العام الثالث عشر للهجرة [2]، جمع الناس إليه وقال لهم : إنه قد نزل بي ما قد ترون ولا أظنني إلا ميت لما بي وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدتي، ورد عليكم أمركم فأمَّروا عليكم من أحببتم فإنكم إن أمرتم في حياة منِّي كان أجدر أن لاتختلفوا بعدي[3].

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: لما ثقل أبي دخل عليه فلان وفلان فقالوا: يا خليفة رسول الله ماذا تقول لربك إذا قدمت عليه عزاً وقد استخلفت علينا ابن الخطاب؟ فقال: أجلسوني، أبي الله ترهبوني، أقول: استخلفت عليهم خيرهم. وعن جامع بن شداد عن أبيه قال: كان أول كلام تكلم به عمر رضي الله عنه حين صعد المنبر إن قال: اللهم إني شديد فليني، وإني ضعيف فقوني، وإني بخيل فسخني. تسلم عمر الخلافة بعد أبي بكر الصديق بظروف لم تمر بها البلاد ولا تسمح بالفرقة والشقاق فكانت تدور معارك بين المسلمين والفرس وبين المسلمين والروم والجيوش تحتاج إلى مدد وعون وأجواء من الاستقرار واتصف عمر بالعدل والرحمة والحزم والزهد والورع.

فسارع الصديق باستشارة أولي الرأي من الصحابة في عمر فلم يجسد الرفض منهم في مبايعته وأمر عثمان بأن يكتب كتاب العهد وأمر بقراءته على المسلمين

---

(1) ابن الأثير،ج٢، ص٢٨٩

(2) البداية والنهاية (١٨/٧)؛ تاريخ الطبري (٢٣٨/٤).

(3) التاريخ الإسلامي (٢٥٨/٩).

وأمرهم بالسمع والطاعة لعمر بن الخطاب، وأقبلوا عليه وبايعوه[١] .

وتقول عائشة أم المؤمنين في مرض والدها رضي الله عنه أول ما بُدئ مرض أبي بكر أنه اغتسل، وكان يوماً بارداً فحُمّ خمسة عشرة يوماً لا يخرج إلى صلاة، وكان يأمر عمر بالصلاة، وكانوا يعودونه، وكان عثمان ألزمهم له في مرضه[٢]،ولما اشتد به المرض قيل له:ألا تدعو لك الطبيب؟ فقال: قد رآني فقال إني فعال لما أريد[٣]،وقالت عائشة رضي الله عنها قال أبو بكر: انظروا ماذا زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة بعدي. فنظرنا فإذا عبد نوبي كان يحمل صبيانه، وإذا ناضح[٤]كان يسقي بستاناً له. فبعثنا بهما إلى عمر،فبكى عمر وقال:رحمة الله على أبي بكر لقد أتعب من بعده تعباً شديداً[٥]

وقالت عائشة رضي الله عنها: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه

فنظر إليّ كالغضبان، ثم قال: ليس كذلك يا أم المؤمنين، ولكن قول الله أصدق (وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩)(سورة ق، آية:١٩).

ثم قال: ياعائشة: إنه ليس أحد من أهلي أحب إليَّ منك، وقد كنت نحلتك حائطاً[٦]، وإن في نفسي منه شيئاً فردِّيه إلى الميراث. قالت: نعم فرددته. وقال رضي الله عنه: أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي، وهذا البعير الناضح، وجرد هذه القطيفة، فإذا مت فابعثي بهن الى عمر، وابرئي منهن ففعلت، فلما جاء الرسول إلى عمر بكى حتى جعلت دموعه تسيل في الأرض، ويقول: رحم الله أبابكر، لقد أتعب

---

(١) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص٢٧٢.
(٢) أصحاب الرسول، محمد المصري (١٠٤/١).
(٣) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، ص٣٣.
(٤) الناضح: هوالبعير الذي يستقى عليه.
(٥) الصلابي ، ٥١٣ ـ ٥١٧ .
(٦) حائطاً: وفي رواية جَداد وهي بمعنى قطع ثمرة النخل (صفة الصفوة، ٢٦٦/١).

من بعده، رحم الله أبابكر، لقد أتعب من بعده، رحم الله أبابكر، لقد أتعب من بعده[١].

وقد استمر مرض أبي بكر مدة خمسة عشر يوماً حتى كان يوم الاثنين ليلة الثلاثاء في الثاني والعشرين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة، قالت عائشة-رضي الله عنها-: إن أبا بكر قال لها: في أي يوم مات رسول الله ﷺ؟ قالت في يوم الاثنين، قال: إني لأرجو فيما بيني وبين الليل، قال: ففيم كفنتموه؟

قالت: في ثلاثة أثواب بيض سحولية يمانية ليس فيها قميص، ولاعمامة فقال أبو بكر: انظري ثوبي هذا فيه ردع زعفران أو مشق فاغسليه واجعلي معه ثوبين آخرين[٢]، فقيل له قد رزق الله وأحسن نكفنك في جديد، قال: إن الحي هو أحوج إلى الجديد ليصون به نفسه عن الميت، إنما يصير الميت إلى الصديد، وإلى البلى[٣]، وقد أوصى أن تغسله زوجه أسماء بنت عميس، وأن يدفن بجانب رسول الله ﷺ، وكان آخر ما تكلم به الصديق في هذه الدنيا قول الله تعالى: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾[٤] (سورة يوسف، آية:١٠١).

وارتجّت المدينة لوفاة أبي بكر الصديق، ولم تر المدينة منذ وفاة الرسول يوماً، أكثر باكياً، وباكية من ذلك المساء الحزين وأقبل علي بن أبي طالب مسرعاً، باكياً، مسترجعاً ووقف على البيت الذي فيه أبو بكر فقال: رحمك الله يا أبا بكر.. كنت إلف رسول الله وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته، وكنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم يقيناً، وأشدهم لله يقيناً، وأخوفهم لله، وأعظمهم غناء في دين الله عزوجل، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأحدبهم على الإسلام، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول

---

(١) الطبقات لابن سعد (١٤٦،١٤٧/٣) رجاله ثقات.
(٢) أصحاب الرسول (١٠٦/١).
(٣) التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، الخلفاء الراشدون، ص١٠٤.
(٤) الشيخان ابوبكر الصديق وعمر بن الخطاب برواية البلاذري في انساب الأشراف. تحقيق د. إحسان صدقي العمد، ص٦٩.

الله هدياً وسمتاً، وأشرفهم منزلة، وأرفعهم عنده، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن رسول الله وعن الإسلام أفضل الجزاء. صدقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس، وكنت عنده بمنزلة السمع والبصر، سماك الله في تنزيله، صديقاً فقال: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾(سورة الزمر، آية:٣٣).

واسيته حين بخلوا، وقمت معه على المكاره حين قعدوا، وصحبته في الشدة أكرم الصحبة، ثاني اثنين صاحبه في الغار، والمُنَزّل عليه السكينة، ورفيقه في الهجرة، وخليفته في دين الله وأمته، أحسن الخلافة حين ارتدوا، فقمت بالأمر مالم يقم به خليفة نبي، ونهضت حين وهن أصحابه وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله إذ وهنوا، وكنت كما قال رسول الله ضعيفاً في بدنك قوياً في أمر الله تعالى، متواضعاً في نفسك عظيماً عند الله تعالى، جليلاً في أعين الناس كبيراً في أنفسهم، لم يكن لأحدهم فيك مغمز، ولا لقائل فيك مهمز، ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ بحقه القريب والبعيد عنك في ذاك سواء، وأقرب الناس عندك أطوعهم لله عزوجل، وأتقاهم... شأنك الحق والصدق والرفق قولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم، اعتدل بك الدين وقوي بك الإيمان وظهر أمر الله، فسبقت-والله-سبقاً بعيداً، وأتعبت من بعدك إتعاباً شديداً، وفزت بالخير فوزاً مبيناً، فإنا لله وإنا إليه راجعون رضينا عن الله عزوجل قضاءه وسلمنا له أمره، والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله بمثلك أبداً، كنت للدين عزاً، وحرزاً وكهفاً فألحقك الله عزوجل بنبيك محمد ﷺ، ولاحرمنا أجرك، ولأضلنا بعدك، فسكت الناس حتى قضى كلامه، ثم بكوا حتى علت أصواتهم وقالوا: صدقت[1] وجاء في رواية: إن علياً قال عندما دخل على أبي بكر بعدما سُجّي أنه قال: ماأحد ألقى الله بصحيفته أحب إليّ من هذا المُسَجَّى[2] هذا وقد توفي الصديق رحمه الله وهو ابن ثلاث وستين سنة، استوفى

---

[1] التبصرة لابن الجوزي (٤٧٧/١-٤٧٩) نقلاً عن أصحاب الرسول (١٠٨/١).
[2] تاريخ الإسلام للذهبي، عهد الخلفاء الراشدين، ص١٢٠.

سن رسول الله، وغسلته زوجه أسماء بنت عميس، وكان قد أوصى بذلك[1]، ودفن جانب رسول الله، وقد جعل رأسه عند كتفي رسول الله[2]، وصلى عليه خليفته عمر بن الخطاب، ونزل قبره عمر وعثمان وطلحة وابنه عبد الرحمن، وألصق اللحد بقبر رسول الله ﷺ [3].

---

(1) الطبقات لابن سعد (٢٠٣،٢٠٤/٣) وإسناده صحيح.
(2) تاريخ الإسلام للذهبي، عهد الخلفاء الراشدين، ص١٢٠.
(3) أصحاب رسول الله (١٠٦/١).

الخليفة الثاني

عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

(١٣-٢٣هـ / ٦٣٤ – ٦٤٤م)

هو ثاني الخلفاء الراشدين الملقب بالفاروق وأول من نودي بلقب أمير المؤمنين فكان ينادي الصحابة أبا بكر الصديق بخليفة رسول الله ﷺ وبعد أن تولى عمر زمام الخلافة نودي بخليفة خليفة رسول الله فاتفقوا على مناداته بأمير المؤمنين وفي رواية: أن عمر رضي الله عنه قال: أنتم المؤمنون وأنا أميركم فهو سمى نفسه[١]، وبذاك يكون عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أول من سمي بأمير المؤمنين[٢]. وهو من العشرة المبشرين بالجنة من أصحاب الرسول الأوائل وهو أول من عمل بالتقويم الهجري.

أسمه ونسبه:

عن ابن إسحاق قال: هو عمر بن الخطاب بن نوفل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن لؤي، وأمه خيثمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم (الطبراني) أخت أبي جهل ولد بعد عام الفيل بثلاث عشر سنة لقب بالفاروق لأنه كان يفرق بين الحق والباطل ولا يخاف في الله لومه لائم وكنيته أبو حفص وإليه كانت السفارة في الجاهلية، أسلم بعد أربعين رجلاً وإحدى عشر امرأة (تهذيب الأسماء للنووي).

صفته الخَلْقية وصف بأنه أبيض أمهق، تعلوه حمرة، حسن الخدين والأنف والعينين، غليظ القدمين والكفين، مجدول اللحم، وكان طويلاً جسيماً أصلع، قد فرع الناس، كأنه راكب على دابة، وكان قوياً شديداً، لا واهناً ولا ضعيفاً[٣]، وكان

---

(١) محض الصواب (٣١٢/١).

(٢) الصلابي، سيرة أمير المؤمنين، ص١٦٨-١٦٩

(٣) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني ص١٥.

يخضب بالحناء، وكان طويل السَّبلة[١] وكان إذا مشى أسرع وإذا تكلم أسمع، وإذا ضرب أوجع[٢].

إسلامه:

أسلم عمر بن الخطاب في السنة السادسة من البعثة وهو ابن ست وعشرين وكان النبي ﷺ يقول: "اللهم أعزّ الإسلام بأحب الرجلين إليك عمر بن الخطاب عمرو بن هشام".

هجرته إلى المدينة:

بعد أن دخل عمر في الإسلام وذاع خبر إسلامه في قريش وزادت قريش من عدائها لمحمد وأصحابه حتى أشار عليهم بالهجرة إلى المدينة المنورة خوفاً على أنفسهم من أذى قريش وكانوا يهاجرون إليها خفية فلما أراد عمر الهجرة إلى المدينة المنورة تقلد سيفه ومضى إلى الكعبة وطاف بالبيت سبعاً ثم أتى المقام فصلى ثم نادى في جموع المشركين وأتى حلقهم واحدة واحدة فقال شاهت الوجوهّ مَنْ أراد أن تُثكله أمه، ويؤتم ولده، وتورمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي فما تبعه منهم أحد (أخرجه ابن عساكر) حيث آخى النبي بينه وبين عتبان بن مالك وقيل معاذ بن عفراء وبرز له أدواراً عديدة تختلف عن شخصيته المألوفة في مكة.

هيبة عمر وخوف الشيطان منه .

عن عائشة رضي الله عنها ذكرت قصة لعب الحبشة وفيه: فقال ﷺ: "إني لأنظر إلى شياطين الجن والأنس يفرون من عمر" رواه الترمذي.

وعمل عمر رضي الله عنه بالرعي، والتجارة وربح منها ما جعله من أغنياء مكة، وكسب معارف متعددة من البلاد التي زارها للتجارة، فرحل إلى الشام صيفاً وإلى اليمن شتاءً[٣]وتوارث عمر عن أجداده هذه المكانة المهمة التي أكسبته خبرة

---

(١) السبلة: طرف الشارب وكان إذا غضب أو حزنه أمر يمسك بها ويفتلها.
(٢) تهذيب الأسماء (١٤/٢) للنووي، أوليات الفاروق للقرشي ص٢٤.
(٣) عمر بن الخطاب، د. محمد أحمد أبو النصر ص١٧.

ودراية ومعرفة بأحوال العرب وحياتهم، فضلاً عن فطنته وذكائه، فلجأوا إليه في فض خصوماتهم، يقول ابن سعد إن عمر كان يقضي بين العرب في خصوماتهم قبل الإسلام [١].

وكان رضي الله عنه، رجلاً حكيماً، بليغاً، حصيفاً، قوياً، حليماً، شريفاً، قوي الحجة، واضح البيان، مما أهله لأن يكون سفيراً لقريش، ومفاخراً ومنافراً لها مع القبائل[٢]، قال ابن الجوزي: كانت السفارة إلى عمر بن الخطاب، إن وقعت حرب بين قريش وغيرهم بعثوه سفيراً، أو نافرهم منافر، أو فاخرهم مفاخر، بعثوه منافراً ومفاخراً، ورضوا به رضي الله عنه[٣]

صفاته :

- شدة خوفه من الله تعالى بمحاسبته لنفسه .
- زهده وورعه تواضعه وحلمه .

أعمال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

لقد اتسعت الفتوحات الإسلامية في عهده وجمع الناس على صلاة التراويح في شهر رمضان، وأقام الحدود وجلد في الخمر ثمانين وتفقد أحوال الناس في الليل، وأنشأ المدن والعواصم (البصرة، الكوفة، والفسطاط)، وحصّن ثغور الدولة الإسلامية، وأنشأ الدواوين (الجند، العطاء، الإنشاء، الخراج) ونظم البريد ووسع المسجد النبوي وفرشه بالحصى، وأخّر مقام إبراهيم عليه السلام إلى ما هو عليه اليوم، وحرّم زواج المتعة وعاقب على الهجاء، ومنع بيع أمهات الأولاد، وجمع الناس على أربع تكبيرات في صلاة الجنازة، وجلب الطعام من مصر إلى المدينة، وأحتبس الصدقة في الإسلام، وأول من أعال الفرائض أي المواريث، وقسم البلاد

---

(١) الخليفة الفاروق د. العاني ص١٦.
(٢) نفس المصدر ص١٦.
(٣) مناقب عمر ص١١.

المفتوحة إلى ولايات، وعين الولاة والقضاة وفصل بين سلطات القاضي والوالي، انشأ بيت المال وفرض العشور على التجارة، ووضع نظام الحسبة، وأخذ زكاة الخيل وأخرج اليهود والنصارى من نجران إلى خارج الجزيرة العربية وأوقف العطاء للمؤلفة قلوبهم[١].

وضع أسس نظام الحكم: وأهمها:

أ- **الخلافة:** أول من تسمى بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أما عمر وضع الأسس وحدد صلاحيات الخليفة وعلاقته مع رعيته بالاعتماد على السيرة النبوية، اذ أن الخليفة يجمع بين الإمارة والإمامة وأن سلطة الخليفة مستمدة من الأمة والخلافة ليست وراثية.

ب-**الولاية:** وضع عمر بن الخطاب نظام ولاية الأمصار الإسلامية وسمى الوالي أو العامل بالأمير، والمغيرة بن شعبة هو أول من سمي الأمير. وعمل على فصل السلطات الثلاث: التشريعية، والتنفيذية، والقضائية

ج-**بيت المال:** هو أول من وضع بيت المال للمسلمين، وكان إيراده من الزكاة، والجزية، وخمس الغنائم، والمواريث من موتى المسلمين من ليس لهم وارث.

د- **الاهتمام بالعلم ونشره:** حرص على نشر العلم وخاصة تعليم القرآن الكريم والفقه، فقد أمر أبو موسى الأشعري تعليم الناس القرآن الكريم[٢].

وفاته :

عن سعيد بن أبي هلال أنه بلغه أن عمر بن الخطاب خطب الناس يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أبعد : " أيها الناس إني أريت رؤيا لا أراها إلا لحضور أجلي ، رأيت أن ديكاً أحمر نقرني نقرتين ، فحدثتها أسماء بنت عميس فحدثتني أنه يقتلني رجل من الأعاجم . ثم دخل المسجد قام بين الصفوف ثم

---

(١) ياسين، عبد ، تاريخ صدر الإسلام ، ٢٠٠٣

(٢) القضاة ، ١٩٨٦

قال : استووا وكبر ، فلما كّبر طُّعنه وأصاب ثلاثة عشر رجلاً من المسلمين وقــدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بالناس ، ثم حملوه الى بيته وطلب من ولده عبــد الله أن يذهب إلى عائشة أم المؤمنين يستأذنها بأن يدفن والده مع صاحبيه ، فأذنت لــه واستخلف من بعده علياً وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعدا وعثمان بــن عفــان رضوان الله عليهم ، يذكر الذهبي أنه دفن في الحجرة النبوية[١]، وذكر ابن الجوزي عن جابر قال: نزل في قبر عمر عثمان وسعيد بن زيد، وصهيب، وعبــد الله بــن عمر[٢]، وعن هشام بن عروة قال: لما سقط عنهم –يعني قبر النبي (ﷺ) وأبــي بكر وعمر–رضي الله عنهما–في زمن الوليد بن عبد الملك[٣] أخذوا في بنائه، فبدت لهم قدمٌ، ففزعوا، وظنوا أنها قدم النبي (ﷺ) فما وجدوا أحداً يعلم ذلك، حتى قال لهم عروة: لا والله ما هي قدم النبي (ﷺ) ما هي إلا قدم عمر–رضي الله عنه[٤].

استشهد يوم الأربعاء لأربع أو ثلاث بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح[٥]، وكانت خلافته عشر سنين ونصفاً وأياماً[٦]، وجاء في تاريخ أبي زرعه عن جرير البجلي قــال: كنــت عنــد معاوية فقال: توفي رسول الله (ﷺ) وهو ابن ثلاث وستين، وتوفي أبــو بكــر – رضي الله عنه–وهو ابن ثلاث وستين وقتل عمر –رضي الله عنه–وهو ابن ثــلاث وستين[٧].

---

(١) محض الصواب (٨٤٦/٣).
(٢) ابن مروان الأموي من خلفاء بني أمية.
(٣) البخاري، كتاب الجنائز رقم ١٣٢٦.
(٤)البخاري، ك الاعتصام، رقم ٢٦٧١ رقم ٦٨٩٧.
(٥) في التهذيب ق ١٧٧/ب نقلاً عن محض الصواب (٨٤٠/٣).
(٦) سير السلف لأبي القاسم الأصفهاني (١٦٠/١).
(٧)الصلابي، ص٦٢٤-٦٤١

الخليفة الثالث

عثمان بن عفان (رضي الله عنه)

(٢٣-٣٥ هـ/٦٤٤-٦٥٦م)

أسمه :

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي ، ويلتقي بنسبه مع الرسول ﷺ في عبد مناف، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي.[١] وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب، وهي شقيقة عبد الله والد النبي ﷺ، وكان يُكنى في الجاهلية أبا عمر، تزوج من رقية وولدت له غلام وسُمي عبد الله واكتنى به يلتقي نسبه مع الرسول في الجد الرابع من جهة أبيه وتلقب بأمير المؤمنين وهو أحد العشر المبشرين بالجنة وتكنى بذي النورين لأنه تزوج ابنتي الرسول رقية وأم كلثوم. وقال عبد الله بن عمر بن أبان الجعفري: قال لي خالي حسين الجعفري: يا بني، أتدري لِمَ سمي عثمان ذا النورين؟ قلت: لا أدري، قال: لم يجمع بين ابنتي نبي منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة غير عثمان، فلذلك سمي ذا النورين.[٢] وقيل: سمي بذي النورين لأنه كان يكثر من تلاوة القرآن في كل ليلة في صلاته، فالقرآن نور وقيام الليل نور[٣].

صفته رضي الله عنه :

كان عثمان ربعة أبيض وقيل أسمر رقيق البشرة حسَنْ الوجه عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين كثير شعر الرأس عظيم اللحية. أنه كان رجلا ليس بالقصير

---

(١) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، محمد يحيى الأندلسي، ص١٩.
(٢) سنن البيهقي (٧/٧٣) .
(٣) عثمان بن عفان ذو النورين، عباس العقاد، ص٧٩.

ولا بالطويل، رقيق البشرة، كث اللحية عظيمها، عظيم الكراديس[١]، عظيم ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس، يصفِّر لحيته. وقال الزهري: كان عثمان رجلاً مربوعاً، حسن الشعر، حسن الوجه، أصلع، أروح الرجلين[٢]، وأقنى[٣]، خدل الساقين[٤]، طويل الذراعين، قد كسا ذراعيه جعد الشعر، أحسن الناس ثغرا، جُمَّته[٥] أسفل من أذنيه، حسن الوجه، والراجح أنه أبيض اللون، وقد قيل: أسمر اللون[٦].

إسلام عثمان بن عفان:

أسلم عثمان رضي الله عنه على يدي أبي بكر الصديق هاجر إلى الحبشة ومعه زوجته رقية بنت رسول الله (ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة ولما وقعت غزوة بدر اشتغل بتمريض ابنة رسول الله وأقام بسببها في المدينة وضرب له رسول الله (بسهمه منها وأجره فيها ولما توفيت رقية تزوج بأختها أم كلثوم فتوفيت أيضاً في صحبته وقال رسول الله (: "لو كان عندنا أخرى لزوجناها لعثمان" توفي الرسول وهو راضٍ عنه.

توليه الخلافة:

تولى الخلافة وعمره ثمانٍ وستين عاماً وقد تولى الخلافة بعد مقتل عمر بن الخطاب ولما طُعِنَ عُمر دعا ستةً أشخاص من الصحابة وهم علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام وطلحة بين عبيد الله ليختاروا من بينهم خليفة ثم أجمعوا على اختيار عثمان وبايعه المسلمون في المسجد بيعة عامة سنة ثلاث وعشرين هجري.

---

(١) الكراديس: جمع كردوس، وهو كل عظمين التقيا في مفصل.
(٢) تاريخ الطبري (٥/٤٤٠)
(٣) أقني: طويل الأنف مع دقة أرنبته، وحدب في وسطه.
(٤) خدل الساقين: أي ضخم الساقين.
(٥) جمته: مجتمع شعر الرأس.
(٦) الصلابي ، ص١١

تزوج عثمان رضي الله عنه ثماني زوجات كلهن بعد الإسلام وهن: رقية بنت رسول الله ﷺ وقد أنجبت له عبد الله بن عثمان، ثم تزوج أم كلثوم بنت رسول الله بعد وفاة رقية، وتزوج فاختة بنت غزوان، وهي أخت الأمير عتبة بن غزوان، وأنجبت لعثمان عبد الله الأصغر، وأم عمرو بنت جندب الأزدية، وقد أنجبت لعثمان عمر وخالد وأبان وعمر ومريم، وتزوج فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومية، وأنجبت لعثمان: الوليد وسعيد وأم سعد، وتزوج أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية، وأنجبت لعثمان: عبد الله، وتزوج رمله بنت شيبة بن ربيعة الأموية، وأنجبت لعثمان: عائشة وأم أبان وأم عمرو، وقد أسلمت رملـه، وبايعت رسول الله ﷺ، وتزوج نائلة بنت الفرافصة الكلبية، وكانت على النصرانية وقد أسلمت قبل أن يدخل بها وحسن إسلامها.[١]

وأما أبناؤه فقد كانوا تسعة أبناء من الذكور من خمس زوجات وهم: عبد الله وأمه رقية بنت رسول الله ﷺ ولد قبل الهجرة بعامين، وأخذته أمه معها عندما هاجرت مع زوجها عثمان إلى المدينة. وفي أوائل أيام الحياة في المدينة نقره الديك في وجهه قرب عينه، وأخذ مكان نقر الديك يتسع حتى طمر وجهه حتى مات في السنة الرابعة للهجرة، وكان عمره ست سنوات.[٢] وعبد الله الأصغر، وأمه فاختة بنت غزوان، وعمرو، وأمه أم عمرو بنت جندب، وخالد، وأمه أم عمرو بنت جندب. وأبان، وأمه أم عمرو بنت جندب، وعمر، وأمه أم عمرو بنت جندب. والوليد، وأمه فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومية. وسعيد، وأمه فاطمة بنت الوليد المخزومية، تولى أمر خراسان عام ستة وخمسين أيام معاوية بن أبي سفيان. وعبد الملك، وأمه أم البنين بنت عيينة بن حصن، ومات صغيراً، ويقال: ولدت نائلة بنت الفرافصة ولداً لعثمان سمى عنبسة.[٣]

---

(١) تاريخ الطبري (٤٤١/٥) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، ص١٩، الأمين ذو النورين، محمود شاكر، ص٣٦٤. ، الصلابي ص١١

(٢) الأمين ذو النورين، محمود شاكر، ص٣٦٥، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، ص١٩.

(٣) الأمين ذو النورين، محمود شاكر، ص٣٦٩، الصلالي ص١٢

زواجه من رقية بنت رسول الله ﷺ:

إذ أكرمه الله تعالى بالزواج من بنت رسول الله ﷺ رقية، وقصة ذلك أن رسول الله ﷺ كان قد زوجها من عتبة بن أبي لهب، وزوج أختها أم كلثوم عتيبة بن أبي لهب ، ولما نزلت سورة المسد بأبي لهب وزوجته أم جميل بنت حرب بن أمية **حَمَّالَةَ الْحَطَبِ**" فارقا ابنتي محمد، ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما كرامة من الله تعالى لهما، وهوانًا لابني أبي لهب[١]، وما كاد عثمان بن عفان رضي الله عنه يسمع بخبر طلاق رقية حتى استطار[٢] فرحا، وبادر فخطبها من رسول الله ﷺ فزوجها الرسول الكريم ﷺ منه، وزفتها[٣] أم المؤمنين خديجة بنت خويلد.[٤]

أعمال عثمان بن عفان (رضي الله عنه) :

كان عثمان رضي الله عنه من الأغنياء وصاحب تجارة وأموال كثيرة، ولكنه استخدم هذه الأموال في طاعة الله-عز وجل-وابتغاء مرضاته وما عنده، وصار سبَّاقا لكل خير ينفق ولا يخشى الفقر ومنها:

١- **شرائه بئر رومه:** فقال رسول الله ﷺ: «من يشتري بئر رومه فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له في الجنة».[٥] وقال الله ﷺ: «من حفر بئر رومه فله الجنة». [٦]

(١) ذو النورين عثمان بن عفان، محمد رشيد رضا، ص١٢.
(٢) كاد يطير من شدة الفرح.
(٣) زفتها: قدمتها إلى زوجها.

(٣) الصلابي ،سيرة عثمان ، ص١٤
(٥) صحيح النسائي للألباني (٢/٧٦٦).
(٦) أخرجه البخاري رقم: (٢٧٧٨) معلقا، وهو صحيح لشواهده، الصلابي، ٢٠٠٦، ص٣١

٢-توسعته المسجد النبوي:

بعد أن ضاق المسجد بالناس، أراد النبي ﷺ من بعض الصحابة أن يشتري بقعة بجانب المسجد لكي تزاد في المسجد حتى يتسع لأهله، فقال رسول الله ﷺ: «من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة؟» فاشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه من صلب ماله[١] بخمسة وعشرين ألف درهم، أو بعشرين ألفا، ثم أضيفت للمسجد[٢].

٣-العسرة وعثمان المعطاء :

طلب الرسول ﷺ تجهيز جيش العسرة لغزو الروم، فأنفق الأموال من صحابة رسول الله ﷺ كلٌّ على حسب طاقته وجهده، أما عثمان فقد أنفق نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها [٣].

٤-**زاد في العطاء:** حيث أعطى كل جندي مسلم مائة درهم على ما فرضه عمر بن الخطاب.

٥-**أقر أعطية** عمر بن الخطاب لكل مسلم درهمين في ليالي رمضان.

٦-**زاد الأذان الأول يوم الجمعة** قبل الأذان الذي كان يؤذن به بين يدي رسول الله إذا جلس على المنبر.

٧-أمر عماله على الأمصار بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [٤].

٨-أنشأ الأسطول البحري الإسلامي في الشام ومصر،وأمر بإصلاح الحصون القديمة على السواحل وألزم عماله في الولايات بحضور موسم الحج[٥].

---

(١) صحيح سنن الترمذي للألباني (٣/٢٠٩)، رقم: (٢٩٢١).
(٢) صحيح سنن النسائي (٢/٧٦٦)، الصلابي، سيرة عثمان ، ص٣٢
(٣) الحكمة في الدعوة إلى الله، ص٢٣١، انظر الصلابي ، ص٣٢
(٤) ياسين، عبد، تاريخ صدر الإسلام ، ٢٠٠٣
(٥) القضاة، ١٩٨٦

الفتنة التي أودت إلى مقتل عثمان بن عفان (رضي الله عنه) :

لقد أخبره الرسول ﷺعن مصيبة تصيبه، وروي عن البخاري أن الرسول ﷺ صعد أُحُداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف فقال:" أسكن أُحُد فليس عليك الا نبي وصديق وشهيدان".

وسميت بالفتنة، لما فتنت به المسلمين، وتفرقوا شيعاً وأحزاب،وبعد التحقق من سلسلة الرجال الذين رأوا هذه الحادثة فقد وصلت ثلاث روايات.

الرواية الأولى: لأبي مخنف لوط بن يحيى ونقلها عن البلاذري.

الرواية الثانية: محمد بن عمر الواقدي ونقلها عن البلاذري والطبري.

الرواية الثالثة: سيف بن عمر التميمي ونقلها عن الطبري وهي الرواية الأكثر صحة وقد أخذت بها[1].

وفي رواية التميمي:" يذكر أن مثيرها عبد الله بن سبأ اليهودي الأصل من أهل صنعاء من اليمن، أعتنق الإسلام ظاهراً وعمله ضد الإسلام والخليفة سراً وهو من غلاة الزنادقة في رأي الذهبي،وزعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي كما ذكره الجوزجاني أسلم في خلافة عثمان، ثم تنقل بين البلدان الإسلامية يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام،فاستجاب له الكل إلا أهل الشام، ثم أستقر في مصر، وبدأ ينشر سمومه، وكان يقول لهم: أعجب ممن يزعم أن عيسى سيرجع، ويكذب بأن محمداً سيرجع، ووضع لأهل مصر عقيدة الرجعة، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، واستجاب له أهل مصر، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء، وحذرهم بمن لم ينفذ هذة الوصية، ثم شيع عن عثمان أنه أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، ووجه أصحابه بالطعن في ولاة الأمصار وكتب إلى أصحابه (أتباعه) في الأمصار الإسلامية لرفع شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وراجت هذه الإشاعة وأخذوا يكتبون كذب وبهتان بمظالم ومفاسد تحل بهم ويرسلونها إلى الأمصار

(1) خميس، حقبة من التاريخ، ٢٠٠١

الأخرى، وتقرأ على مسمع من الناس وعمت في كل أرجاء البلاد الإسلامية، وبلغ الخبر إلى عثمان،وكتب إليهم:" أما بعد فاني آخذ العمال بموافاتي في كل موسم، وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يرفع علّي شيء ولا على أحد من عمّالي إلا أعطيته،وليس لي ولعيالي حق قبل الرعية الا متروك لهم، وقد رفع إلى أهل المدينة أن أقواماً يشتمون وآخرين يضربون، فيا من ضرب سراً وشتم سراً، من ادعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم، فليأخذ بحقه حيث كان، مني أو من عمالي، ولكنه ينسق بينهم حسب ما يريد ويخطط " ثم ساروا كلهم إلى المدينة، ليحاجوا عثمان على المظالم التي حلت بهم، ويبينوا له أخطاءه، ويجبروه على الاعتراف بها، ويحل لهم بذلك دمه، ونجح هذا الزنديق بإقناع أهل مصر بأن علياً أحق منه بالخلافة، وأقنع أهل البصرة بأن طلحة أحق بها، وأقنع أهل الكوفة بأن الزبير أحق بها، وهكذا دارت الفتنه بقتل عثمان بن عفان بريء السرية، شهيد الدنيا"[1].يظهر من خلال هذه الراوية أنّ عبد الله بن سبأ هو صاحب الدور الكبير في بذر ونثر بذور الفتنه.

دور عبد الله بن سبأ في تحريك الفتنة :

لقد كان له الدور الكبير في تحريك الفتنة في خلافة عثمان رضي الله عنه حيث بدأت في الأفق سمات الاضطراب في المجتمع الإسلامي لعدة عوامل، وأخذ بعض اليهود يتحينون فرصة الظهور مستغلين عوامل الفتنة ومتظاهرين بالإسلام واستعمال التقية، ومن هؤلاء عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء. وإذا كان ابن سبأ لا يجوز التهويل من شأنه كما فعل بعض المغالين في تضخيم دوره في الفتنة[2]، فإنه كذلك لا يجوز التشكيك فيه أو الاستهانة بالدور الذي لعبه في أحداث الفتنة كعامل من عواملها، على أنه أبرزها وأخطرها؛ إذ أن هناك أجواء للفتنة مهدت له، وعوامل أخرى ساعدته. وغاية ما جاء به ابن سبأ آراء ومعتقدات ادعاها واخترعها من قبل

---

(1) خميس، حقبة من التاريخ، ٢٠٠١

(2) مثال سعيد الأفغاني في كتابه (عائشة والسياسة).

نفسه وافتعلها من يهوديته الحاقدة، وجعل يروجها لغاية ينشدها، وغرض يستهدفه؛ وهو الدس في المجتمع الإسلامي، بغية النيل من وحدته وإذكاء نار الفتنة، وغرس بذور الشقاق بين أفراده، فكان ذلك من جملة العوامل التي أدت إلى قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه وتفرق الأمة شيعا وأحزابا.[1]

فتنة عبد الله بن سبأ حقيقة وليس خيال:

تجمع معظم الروايات أنّ عبد الله بن سبأ' شخصية حقيقية (عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء، يهودي من صنعاء، أظهر إسلامه في زمن عثمان بن عفان، ظهر له نشاط ملحوظ في الشام والعراق ومصر خاصة، يرسم خططا ويدلي بآراء هدامة ليلفت المسلمين عن دينهم وطاعة خليفتهم، ويوقع بينهم الفرقة والخلاف).

إن شخصية ابن سبأ حقيقة تاريخية وليس خيال كما يدعيه المتآمرين على الإسلام والمسلمين .

لقد كان أمير المؤمنين يقظ وحريص على متابعة ما يحدث حوله، حيث بث في صفوفهم رجلين من المسلمين كانا قد عوقبا من الخليفة ليطمئن المتآمرون إليهم، فقد أرسل عثمان رجلين، مخزوميا وزهريا فقال: انظرا ما يريدون واعلما علمهم، وكانا مما نالهما من عثمان أدب فاصطبرا للحق ولم يضطغنا، فلما رأوهما باثوهما وأخبروهما بما يريدون، فقالا: من معكم على هذا من أهل المدينة، قالوا: ثلاثة نفر، فقالا: هل إلا؟ قالوا: لا، قالا: فكيف تريدون أن تصنعوا؟ وشرح هؤلاء القوم للرجلين أبعاد المؤامرة كاملة والخطة المقترحة، وقالوا: نريد أن نذكر له أشياء قد زرعناها في قلوب الناس ثم نرجع إليهم فنزعم لهم أنا قررناه بها فلم يخرج ولم يتب، ثم نخرج كأنا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنخلعه، فإن أبى قتلناه وكانت إياها، فرجعا إلى عثمان فضحك وقال: اللهم سلم هؤلاء فإنك إن لم تسلمهم شقوا. فأرسل إلى الكوفيين والبصريين ونادى: الصلاة جامعة، وهم عنده في أصل المنبر، فأقبل

([1]) تحقيق مواقف الصحابة (١/٣٢٧).

أصحاب رسول الله ﷺ حتى أحاطوا بهم، فحمد الله وأثنى عليه، وأخبرهم خبر القوم، ثم دعاهم إلى عرض ما عندهم من شبهات وإظهار الأخطاء والتجاوزات والمخالفات التي وقع فيها .

وقالوا: إني حميت حمى، وضيَّقت على المسلمين، وجعلت أرضا واسعة خاصة لرعي إبلي، ولقد كان الحمى قبلي لإبل الصدقة والجهاد، حيث جعل الحمى كل من رسول الله وأبو بكر وعمر، وأنا زدت فيه لما كثرت إبل الصدقة والجهاد، ثم لم نمنع ماشية فقراء المسلمين من الرعي في ذلك الحمى، وما حميت لماشيتي، ولما وليت الخلافة كنت من أكثر المسلمين إبلا وغنما، وقد أنفقتها كلها، ومالي الآن ثاغية ولا راغية، ولم يبق لي إلا بعيران، خصصتهما لحجي، أكذلك؟ فقال الصحابة: اللهم نعم.

وقالوا: إني أبقيت نسخة واحدة من المصاحف، وحرقت ما سواها، وجمعت الناس على مصحف واحد، ألا إن القرآن كلام الله، من عند الله، وهو واحد، ولم أفعل سوى أن جمعت المسلمين على القرآن، ونهيتهم عن الاختلاف فيه، وأنا في فعلي هذا تابع لما فعله أبو بكر، لما جمع القرآن، أكذلك؟ فقال الصحابة: اللهم نعم.

وقالوا: إني رددت الحكم بن أبي العاص إلى المدينة، وقد كان رسول الله ﷺ نفاه إلى الطائف، إن الحكم بن العاص مكي، وليس مدنيا، وقد سيره رسول الله ﷺ من مكة إلى الطائف، وأعاده الرسول ﷺ إلى مكة بعدما رضي عنه، فالرسول ﷺ سيره إلى الطائف، وهو الذي رده وأعاده، أكذلك؟ فقال الصحابة: اللهم نعم.

وقالوا: إني استعملت الأحداث ووليت الشباب صغار السن، ولم أولِّ إلا رجلا فاضلا محتملا مرضيا، وهؤلاء الناس أهل عملهم فسلوهم عنهم. ولقد ولى الذين من قبلي من هم أحدث منهم وأصغر منهم سنا، ولقد ولى رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وهو أصغر ممن وليته، وقالوا لرسول الله ﷺ أشد مما قالوا لي، أكذلك؟ قال الصحابة: اللهم نعم، إن هؤلاء الناس يعيبون للناس ما لا يفسرونه ولا يوضحونه.

وقالوا:إني أعطيت عبد الله بن سعد بن أبي السرح ما أفاء الله به، وإنما أعطيته خمس الخمس-وكان مئة ألف-لما فتح أفريقية، جزاء جهده، وقد قلت له: إن فتح الله عليك أفريقية فلك خمس الخمس من الغنيمة نفلا، وقد فعلها قبلي أبو بكر وعمر-رضي الله عنهما-ومع ذلك قال لي الجنود المجاهدون:إنا نكره أن تعطيه خمس الخمس ولا يحق لهم الاعتراض والرفض، فأخذت خمس الخمس من ابن سعد ورددته على الجنود، وبذلك لم يأخذ ابن سعد شيئا، أكذلك؟ قال الصحابة: اللهم نعم.

وقالوا: إني أحب أهل بيتي وأعطيهم، فأما حبي لأهل بيتي فإنه لم يحملني على أن أميل معهم إلى جور وظلم الآخرين، بل أحمل الحقوق عليهم وآخذ الحق منهم، وأما إعطاؤهم فإني أعطيهم من مالي الخاص، وليس من أموال المسلمين، لأني لا أستحل أموال المسلمين، ولا لأحد من الناس. ولقد كنت أعطي العطية الكبيرة الرغبة من صلب مالي أزمان رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنا يومئذ شحيح حريص، أفحين أتيت على أسنان أهل بيتي، وفني عمري، وجعلت مالي الذي لي لأهلي وأقاربي، قال الملحدون ما قالوا؟ وإني والله ما أخذت من مصر من أمصار المسلمين مالا ولا فضلا، ولقد رددت على تلك الأمصار الأموال، ولم يحضروا إلى المدينة إلا الأخماس من الغنائم، ولقد تولى المسلمون تقسيم تلك الأخماس، ووضعها في أهلها، ووالله ما أخذت من تلك الأخماس وغيرها فِلْسًا فما فوقه، وإنني لا آكل إلا من مالي، ولا أعطي أهلي إلا من مالي.

وقالوا: إني أعطيت الأرض المفتوحة لرجال معينين، وإن هذه الأرضيين المفتوحة قد اشترك في فتحها المهاجرون والأنصار وغيرهم من المجاهدين، ولما قسمت هذه الأراضي على المجاهدين الفاتحين، منهم من أقام بها واستقر فيها، ومنهم من رجع إلى أهله في المدينة أو غيرها، وبقيت تلك الأرض ملكا له، وقد باع بعضهم تلك الأراضي، وكان ثمنها في أيديهم، وبذلك بين لهم كل الاتهامات الموجه إليه ورده عليهم، وبيان وجه الحق فيها.[1]

---

(1) العواصم من القواصم، ص٦١-١١١، تاريخ الطبري (٣٥٥/٥، ٣٥٦)، الخلفاء الراشدون للخالدي، ص١٥٨، الفتنة، أحمد عرموش، ص١٠-١٤.

استشهاد عثمان رضي الله عنه:

ويذكر الصلابي (ص٢٨٧-٢٨٩) قصة قتله واستشهاده ودفنه وتسير جيوش الولايات لمساعدة الخليفة، فقد كانت أيام الحج تنقضي سريعا وتوشك جماعات من هؤلاء أن تزحف إلى المدينة لنجدة الخليفة، وبخاصة مع وجود عبد الله بن عباس وعائشة وغيرهما من المدافعين عن عثمان، وقدمت الأخبار إلى المتمردين بأن أهل الموسم يريدون نصرة عثمان، فلما أتاهم ذلك مع ما بلغهم من نفور أهل الأمصار إليهم أعلقهم[١] الشيطان وقالوا: لا يخرجنا مما وقعنا فيه إلا قتل هذا الرجل، فيشتغل بذلك الناس عنا[٢].

وفي آخر أيام الحصار-وهو اليوم الذي قتل فيه-نام ﷺ فأصبح يحدِّث الناس: ليقتلني القوم[٣]، ثم قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، ومعه أبو بكر وعمر، فقال النبي ﷺ: يا عثمان أفطر عندنا، فأصبح صائما وقتل من يومه[٤].

هاجم المتمردون الدار فتصدى لهم الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص، ومن كان من أبناء الصحابة أقام معهم، فنشب القتال فناداهم عثمان: الله الله، أنتم في حل من نصرتي، فأبوا، ودخل غلمان عثمان لينصروه، فأمرهم ألا يفعلوا؛ بل إنه أعلن أنه من كف يده منهم فهو حر.[٥] وقال عثمان في وضوح وإصرار وحسم، وهو الخليفة الذي تجب طاعته: أعزم على كل من رأى أن عليه سمعا وطاعة إلا كف يده وسلاحه.[٦] ولا تبرير لذلك إلا بأن عثمان كان واثقا من استشهاده بشهادة النبي ﷺ له بذلك، ولذلك أراد ألا تراق بسببه الدماء، وتقوم بسببه فتنة بين المسلمين.[٧] وكان المغيرة بن الأخنس بن شريق فيمن حج ثم تعجل في نفر حجوا معه، فأدرك عثمان قبل أن يقتل، ودخل الدار يحمي عنه وقال: ما عذرنا عند الله إن تركناك ونحن نستطيع ألا ندعهم حتى

---

(١) أعلقهم: أي وسوس لهم وزين لهم أقوالهم وأفعالهم.
(٢) تاريخ الطبري (٤٠٢/٥).
(٣) الطبقات لابن سعد (٧٥/٣)، فتنة مقتل عثمان (١٧٢/١).
(٤) الطبقات (٧٥/٣)، الخبر حسن لغيره. فتنة مقتل عثمان (١٧٥/١).
(٥) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص٢٨٢، البداية والنهاية (١٩٠/٧).
(٦) العواصم من القواصم، ص١٣٣.
(٧) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص٢٨٣.

نموت؟ فأقدم المتمردون على حرق الباب والسقيفة، فثار أهل الدار -وعثمان يصلي- حتى منعوهم، وقاتل المغيرة بن الأخنس والحسن بن علي ومحمد بن طلحة وسعيد بن العاص، ومروان بن الحكم وأبو هريرة، فأبلوا أحسن البلاء وعثمان يرسل إليهم في الانصراف دون قتال، ثم ينتقل إلى صلاته، فاستفتح قوله تعالى: (طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾) [طه: ١-٣] وكان سريع القراءة، فما أزعجه ما سمع، ومضى في قراءته ما يخطئ وما يتعتع، حتى إذا أتى إلى نهايتها قبل أن يصلوا إليه ثم دعا فجلس وقرأ: (قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾) [آل عمران: ١٣٧].

وأصيب يومئذ أربعة من شبان قريش وهم: الحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، ومحمد بن حاطب، ومروان بن الحكم[١]، وقتل المغيرة بن الأخنس، ونيار بن عبد الله الأسلمي[٢]، وزياد الفهري، واستطاع عثمان أن يقنع المدافعين عنه، وألزمهم بالخروج من الدار، وخلى بينه وبين المحاصرين، فلم يبق في الدار إلا عثمان وآله، وليس بينه وبين المحاصرين مدافع ولا حام من الناس، وفتح رضي الله عنه باب الدار[٣].

وبعد أن خرج من في الدار ممن كان يريد الدفاع عنه، نشر رضي الله عنه المصحف بين يديه، وأخذ يقرأ منه وكان إذ ذاك صائما، فإذا برجل من المحاصرين لم تسمه الروايات يدخل عليه، فلما رآه عثمان رضي الله عنه قال له: بيني وبينك كتاب الله[٤]، فخرج الرجل وتركه، وما إن ولى حتى دخل آخر، وهو رجل من بني سدوس، يقال له: الموت الأسود، فخنقه وخنقه قبل أن يضرب بالسيف، فقال: والله ما رأيت شيئا ألين من خنقه، لقد خنقته حتى رأيت نفسه مثل الجان[٥] تردد في

---

(١) فتنة مقتل عثمان (١٦٩/١)، تاريخ الطبري (٤٠٤/٥) رواية صحيحة.
(٢) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص١٨٤، ١٨٥، البداية والنهاية (١٩٦/٧).
(٣) فتنة مقتل عثمان (١٨٨/١).
(٤) تاريخ الطبري (٤٠٥/٥، ٤٠٦).
(٥) تاريخ ابن خياط، ص١٧٤، ١٧٥، إسناده صحيح أو حسن.

جسده، ثم أهوى إليه بالسيف، فاتقاه عثمان رضي الله عنه بيده فقطعها، فقال عثمان: أما والله إنها لأول كف خطت المفصّل[١]؛ وذلك أنه كان من كتبة الوحي، وهو أول من كتب المصحف من إملاء رسول الله ﷺ، فقتل رضي الله عنه والمصحف بين يديه، وعلى أثر قطع اليد انتضح الدم على المصحف الذي كان بين يديه يقرأ منه، وسقط على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٣٧﴾[٢] [البقرة: ١٣٧].

ولما أحاطوا به قالت امرأته نائلة بنت الفرافصة: إن تقتلوه أو تدعوه فقد كان يحيى الليل بركعة يجمع فيها القرآن.[٣] وقد دافعت نائلة عن زوجها عثمان وانكبت عليه واتقت السيف بيدها، فتعمدها سودان بن حمران ونضح أصابعها فقطع أصابع يدها، وولت، فغمز أوراكها[٤].

ولما رأى أحد غلمان عثمان الأمر، راعه قتل عثمان، وكان يسمى (نجيح) فهجم نجيح على سودان بن حمران فقتله، ولما رأى قتيرة بن فلان السكوني نجيحا قد قتل سودان، هجم على نجيح فقتله، وهجم غلام آخر لعثمان اسمه (صبيح) على قتيرة بن فلان فقتله، فصار في البيت أربعة قتلى شهيدان، ومجرمان، أما الشهيدان: فعثمان وغلامه نجيح، وأما المجرمان فسودان وقتيرة السكونيان، وبعد قتل عثمان رضي الله عنه نادى القوم السبئيين منادٍ قائلا: إنه لم يحل لنا دم الرجل ويحرم علينا ماله، ألا إن ماله حلال لنا، فانهبوا ما في البيت، فعاث رعاع السبئيين في البيت فسادا، ونهبوا كل ما في البيت، حتى نهبوا ما على النساء، وهجم أحد السبئيين ويدعى كلثوم التجيبي على امرأة عثمان (نائلة) ونهب الملاءة التي عليها، ثم غمز وركها، وقال لها: ويح أمك من عجيزة ما أتمك، فرآه غلام عثمان (صبيح) وسمعه وهو يتكلم في حق نائلة هذا الكلام الفاحش، فعلاه بالسيف فقتله[٥]، وهجم أحد

---

(١) تاريخ الطبري (٣٩٨/٥).
(٢) المصدر نفسة (٣٩٨/٥).
(٣) الطبقات (٧٦/٣)، فتنة مقتل عثمان (١٩١/١).
(٤) تاريخ الطبري (٤٠٦/٥، ٤٠٧).
(٥) المصدر نفسة (٤٠٧/٥).

السبئيين على الغلام فقتله، وبعدما أتم السبئيون نهب دار عثمـــان، تنـــادوا وقـــالوا: أدركوا بيت المال، وإياكم أن يسبقكم أحد إليه، وخذوا ما فيه، وسمع حـــراس بيـــت المال أصواتهم، ولم يكن فيه إلا غرارتان من طعام فقالوا: انجوا بأنفسكم، فإن القوم يريدون الدنيا، واقتحم السبئيون بيت المال وانتهبوا ما فيه[١].

وعم الحزن في المدينة على مقتل أمير المؤمنين، وعاث المتآمرين فساداً ، وأصبحت المدينة تحت قبضتهم وسرّ أبن السوداء.

استشهد في السنة الخامسة والثلاثين من الهجرة ، وبلـــغ مـــن العمـــر أثنـــان وثمانون عاماً ، وقام نفر من الصحابة في يوم قتله بغسله وكفنوه وحملوه على باب، ومنهم: حكيم بن حزام، وحويطب بن عبد العزى، وأبو الجهم بن حذيفة، ونيار بـــن مكرم الأسلمي، وجبير ابن مطعم، والزبير بن العوام، وعلـــي بـــن أبـــي طالـــب، وجماعة من أصحابه ونسائه، منهن امرأتاه نائلة وأم البنين بنت عتبة بن حـــصين، وصبيان، وصلى عليه جبير بن مطعم، وقيل: الزبير بن العوام، وقيل: حكـــيم بـــن حزام، وقيل: مروان بن الحكم، وقيل: المسور بن مخرمة[٢]، ويظهر في روايـــة أن الذي صلى عليه الزبير بن العوام؛ فقد بينت تلك الرواية أن الزبير بن العوام رضي الله عنه صلى على عثمان ودفنه، وكان أوصى إليه.[٣] ودفن رضي الله عنه ما بين المغرب والعشاء [٤].

---

(١) المصدر نفسه (٤٠٧/٥).
(٢) البداية والنهاية (١٩٩/٧).
(٣)مسند الإمام أحمد (٥٥٥/١) .
(٤) الصلابي، سيرة عثمان ، ص٢٨٧-٢٨٩

الخليفة الرابع

علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)

(٣٥–٤٠هـ/٦٥٦–٦٦١م)

أسمه نسبه:

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو ابن عم رسول الله ﷺ ويلتقي معه في جده الأول عبد المطلب بن هاشم، وولده أبو طالب شقيق عبد الله والد النبي ﷺ، وكان اسم عليّ عند مولوده أسد، سمته بذلك أمه رضي الله عنها باسم أبيها أسد بن هاشم[١]، تتفق رواية أبن حجر وأبن إسحاق بأن مولده قبل عام البعثة بعشر سنين [٢].

وأمه فاطمة بنت أسد بن عبد مناف ويكنى بأبي الحسن وأبا تراب أسلم وهو ابن سبع سنين ويقال تسع ويقال عشر وشهد كل الغزوات ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله ﷺ خلقه في أهل كزوج بفاطمة الزهراء وتولى الخلافة سنة ٦٥٦م وحكم خمس سنوات وثلاث أشهر وتوفي سنة ٦٦١م.

صفته الخَلقية:

كان آدم شديد الأدمة ثقيل العينين عظيمها، أقرب إلى القصر من الطول ذا بطن كثير الشعر عظيم اللحية، أصلع أبيض الرأس واللحية، إذا مسك بذراع رجل أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس، وهو إلى السمن ما هو، شديد الساعد واليد وإذا مشى للحرب هرول، ثابت الجنان، قوى شجاع[٣].

---

(١) عبد المطلب اسمه شيبة الحمد، الاستيعاب (١٠٨٩/٣).
(٢) المصدر السابق (٥٣/١) رقم ١٦٦إسناده حسن إلى محمد الباقر حيث أرسلها.
(٣)الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١١٢٣/٣).

أولاده:

كان له من الولد أربعة عشر ذكراً وتسع عشر أنثى الحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم وأمهم فاطمة بنت الرسول ﷺ ومحمد الأكبر وهو ابن الحنفية وأمه خولة بنت جعفر وعبيد الله وأبو بكر وأمها ليلى بنت مسعود والعباس وعثمان وجعفر وعبد الله وأمهم أم البنيين بنت حزام بن خالد ومحمد الأصغر وأمه أم ولد ويحيى وعون وأمهما أسماء بنت عُميس وعمر ورقية وأمهما الصهباء سبية وحمد الأوسط وأمه أمامة بنت أبي العاص وأم الحسن ورملة الكبرى وأمهما أم سعيد بنت عروة وأم هانئ وميمونة وزينت الصغرى ورمله الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأمامه وخديجة وأم الكرام وأم جعفر وجمانة ونفيسة وأم سلمة [(١)].

إسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

في رواية لابن إسحاق يذكر أن على بن أبى طالب رضي الله عنه جاء إلى النبي ﷺ بعد إسلام خديجة رضي الله عنها، فوجدهما يصليان، فقال على: ما هذا يا محمد؟ فقال النبي ﷺ:«**دين الله الذي اصطفاه لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحد وإلى عبادته، وتكفر باللات والعزى**» فقال له علي: هذا أمر لم أسمع به من قبل اليوم، فلست بقاض أمرًا حتى أحدث أبا طالب، فكره رسول الله ﷺ أن يفشى عليه سره، قبل أن يستعلن أمره، فقال له: «**يا علي إذا لم تسلم فاكتم**»، فمكث على تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلبه الإسلام، فأصبح غاديًا إلى رسول الله ﷺ، حتى جاءه فقال: ما عرضت عليَّ يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ: **تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد**، ففعل عليّ وأسلم، ومكث عليّ يأتيه على خوف من أبى طالب، وكتم علي إسلامه ولم يظهر به[(٢)].

---

(١) الطبقات (٣/١٩، ٢٠)، البداية والنهاية (٧/٣٣١-٣٣٣) منهج على بن أبى طالب في الدعوة إلى الله، سليمان العبد: ص (٢٩، ٣٠، ٣١)، انظر الصلابي ص٢٤

(٢) البداية والنهاية (٣/٤)، انظر الصلابي، ص٢٥-٢٦

علمه رضي الله عنه :

قال الإمام النووي: قال ابن عباس أُعطي علي تسع أعشار العلم ووالله لقد شاركهم في العُشر الباقي قال: وإذا ثبت لنا الشيء من علي لم نعدل إلى غيره وعن علي ابن الحسين عن أبيه قال سمعت علياً يقول: أتأتي رسول الله ﷺ وأنا نائم وفاطمة وقت السحر حتى قام علي باب البيت فقال: "ألا تصلون" فقلت: مجيباً له: يا رسول الله إنما نقوشنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا، قال: فرجع رسول الله ﷺ ولم يرجع إليّ الكلام، قال: فسمعته حين ولّى يقول وضرب بيده في فخده "وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً". أخرجه البخاري ومسلم.

خلافة الإمام علي كرّم الله وجهه :

بعد مقتل عثمان يوم الجمعة جاءه الناس ليبايعوه قبل أن يُدفن عثمان وامتنع من إجابتهم وفّر منهم إلى حائط بني عمر بن مجدول وأغلق بابه ثم جاءه الناس ومعهم طلحة والزبير وقالوا له: إن هذا الأمر لا يكن بقاؤه بلا أمير لا يمكن بقاؤه بلا أمير ولم يزالوا حتى أجابهم ويذكر أن أول من بايعه طلحة ثم خرج علي إلى المنبر وبايعه الناس يذكر سيف بن عمر عن جماعة من شيوخه قالوا: بقيت المدينة خمسة أيام بعد مقتل عثمان وأميرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يُجيبهم من القيام بالأمر حتى ألحوا على علياً وبايعوه بالخلافة ثم خطب عليّ بهم ثم تردد عليه طلحة والزبير وكبار الصحابة لإقامة الحدود والأخذ بدم عثمان فأمهلهم ليستتب الأمر في المدينة والولايات الإسلامية وبدأ علي بعزل الولاة الذين ولاهم عثمان والذين كانوا مثار الفتنة ثم بدأ باسترداد الإقطاعيات التي كان عثمان قد منعها بعض المقربين من أهل بيته ثم ولى ولاه جُدد على الأمصار الإسلامية وحدثت في فترة خلافته بعض المعارك التي أثرت على مركز الدولة الإسلامية في المدينة المنورة فحدثت معركة الجمل بينه وبين طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين الذين طالبوه بالقصاص من قتلة عثمان بينما أصرّ علي على الانتظار حتى تهدأ الفتنة وشبت المعركة وانتصر جيش علي وسقط طلحة والزبير شهداء الوقعة وأعاد عائشة أم المؤمنين

إلى المدينة المنورة ثم حدثت معركة صفين بين جيش علي وجيش معاوية الذي رفض الاعتراف بخلافة علي بن أبي طالب ونتج عنها انتصار جيش علي ووقعت حادثة التحكيم التي فشلت واستمر بينها القتال.

اغتيال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) :

كان علي يُصلي صلاة الصبح في المسجد وهو يؤم الناس وعند سجوده ضربه عبد الرحمن بن مُلجم بالسيف على رأسه ودُفن في النجف ثم بايع الناس الحسن بن علي بالخلافة إلا أنه رأى في الأمر شيئاً صعباً أراد من ورائه الإصلاح فكتب إلى معاوية لمبايعته وصالحه على شروط رضيها الطرفان وسلم إليه الكوفة في أواخر ربيع الأول سنة ٤١ هجري وبذلك صدق قوله ﷺ: "إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المؤمنين" وبذلك هدأت الأمور وسُمي ذاك العام بعام الجماعة[١]..

([١]) انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢١٣-٢١٩

أمير المؤمنين

الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)

(٤٠هـ/ ٦٦١م)

بعد مقتل علي رضي الله عنه وأرضاه بايع أهل الكوفة الحسن بن علي، وخرج بعد أن عقدت له البيعة من الكوفة إلى الشام يريد أيضاً قتال أهل الشام لأنهم إلى الآن لم ينزلوا على طاعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبعده الحسن بن علي رضي الله عنهما.

وعندما خرج الحسن بن علي كان في نيته الصلح وكان لا يحب القتال بل إن الحسن كان معارضاً لخروج علي بن أبي طالب لقتال أهل الشام[١]. وكان من علامات إرادته للصلح أنه عزل قيس بن سعد بن عبادة عن القيادة وجعل القيادة لعبدالله بن عباس رضي الله عنه[٢].

عن الحسن البصري قال: لما سار الحسن بن علي إلى معاوية بالكتائب قال عمرو بن العاص لمعاوية: أرى كتيبة لا تولي حتى تدبر آخرها.

قال معاوية: من لذراري المسلمين؟ قال عمرو: أنا

قال عبد الرحمن بن سمرة: نلقاه ونقول له الصلح.

قال الحسن البصري: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: بينما رسول الله ﷺ يخطب إذا جاء الحسن فقال النبي ﷺ " ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين" أخرجه الإمام البخاري في صحيحه[٣].

وعن الزهري قال: أرسل معاوية إلى الحسن سجلاً قد ختم في أسفله أكتب فيه ما تريد فهو لك، فقال عمرو بن العاص: بل نقاتله فقال معاوية:على رسلك يا أبا عبدالله فإنك لا تخلص من قتل هؤلاء حتى يقتل عددهم من أهل الشام فما خير

---

(١) انظر البداية والنهاية ٢٤٥/٧

(٢) فتح الباري ٦٧/١٣

(٣) صحيح البخاري، كتاب الفتنة، باب قول النبي أن ابني هذا سيد، رقم ٧١٠٩.

الحياة بعد ذلك وإني واالله لا أقاتل حتى لا أجد من القتال بداً [1].عند ذلك التقى معاوية بالحسن وتنازل الحسن بن علي رضي الله عنه لمعاوية بالخلافة فصار عند ذلك معاوية هو أمير المؤمنين، وبدءت خلافة ودولة جديدة وأنتقلت عاصمتها الى دمشق[2].

---

(1)عبدالرزاق، ٤٦٢/٥
(2) خميس، حقبة من التاريخ، ص٩٦-٩٧

الوحدة السابعة

الدولة الأموية

(٤١-١٣٢هـ / ٦٦١ – ٧٥٠ م)

- بني أمية قبل الإسلام.
- الخلفاء الأمويين.
- الخليفة الأول: معاوية بن أبي سفيان(٤١–٦٠ هـ /٦٦١ – ٦٨٠ م).
- أعمال معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه).
- الأحزاب السياسية في عهد دولة بني أمية.
- الشيعة.
- الخوارج.
- المعتزلة.
- المرجئة.
- الزبيريون.



الوحدة السابعة

الدولة الأموية

(٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١ -٧٥٠م)

بني أمية قبل الإسلام:

يعود الأمويين في نسبهم إلى جدهم أمية بن عبد شمس بن عبد مناف من أبناء قصي، وينتسبون الى قريش التي يعود نسبها إلى فهر، وبعد تولي قصي شرف المكانة وقيامه بأمور السيادة في مكة (السقاية والحجابة والرفادة والندوة واللواء)، حيث عهد بهذا الشرف لإبنه عبد الدار، وولى عبد مناف السقاية والرفادة وانتقلت من بعده لإبنه هاشم (وسُمي بهاشم لأنه هشم الثريد لقومة) ثم ولاها من بعده المطلب ووصلت إلى العباس بن عبد المطلب والحجابة بقيت في بني عبد الدار[١].

وقد حدث بين هاشم وابن أخيه أمية منافسة على رئاسة قريش، فهاشم تولى أمر السقاية، والرفادة فأرادها أمية لنفسه، الا أنه عجز عن ذلك فشمت به الناس من قريش وغضب لذلك، فدعا هاشم إلى المُنازلة ورفض هاشم تلك المنازله لمكانته وعُمره والعمومة بينهم.

وفي النهاية وافق دون رغبه وقال: إني أنافرك على خمسين ناقة تنحرُها ببطن مكة والجلاء عن مكة، إذا فضلت عليك فوافق أمية وجعل الكاهن الخزاعي يقضي بينهم إلا أن الكاهن كان يُفضّل هاشم على أميه، وقام هاشم بنحر الإبل وأطعمها الى الحاضرين، ثم خرج أميه إلى الشام لمدة عشر سنين، وهكذا تولدت الجفوة بين البتيين. [٢].

واستمر هذا التنافس حتى مجيء الإسلام فهذا أبا سفيان صاحب المكانه في قريش، وفي بداية الدعوة الإسلامية كان مُعارضاً، ومحارباً لدعوة الرسول ﷺ

([١]) ابن الأثير، ج٢، ص ٩.
([٢]) نفس المصدر السابق، ص ٩-١٠

حتى فتح مكة، ثم أعلن إسلامه ومعه زوجته هند وابنائه معاوية ويزيد، وقد ألغى الرسول ﷺ وظيفة اللواء.

مكانة بني أمية في الإسلام:

لقد عاملهم الرسول ﷺ معاملة كريمة، وكان لهم الشرف في نشر الدعوة الإسلامية، وأن الرسول ﷺ قد تزوج من رملة بنت أبي سفيان (أم حبيبه) وهي التي هاجرت مع زوجها عبدالله بن جحش إلى الحبشة، وتنصّر زوجها هناك وبقيت على الدين حتى مات زوجها، ثم تزوجها الرسول ﷺ، واتخذ معاوية كاتباً من كتاب الوحي، ثم ولاهم الكثير من الأمور والأعمال الإدارية، واستمر ابو بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم في تقريب بني أمية.

الخلفاء الامويين:

١. معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠ هـ).
٢. يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٦٠ – ٦٤ هـ).
٣. معاوية الثاني بن يزيد بن معاوية (٦٤ – ٦٤ هـ).
٤. مروان بن الحكم (٦٤ – ٦٥ هـ).
٥. عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦ هـ).
٦. الوليد بن عبد الملك (٨٦ – ٩٦ هـ).
٧. سليمان بن عبد الملك (٩٦ – ٩٩ هـ).
٨. عمر بن عبد العزيز (٩٩ – ١٠١ هـ).
٩. يزيد الثاني بن عبد الملك (١٠١ – ١٠٥ هـ).
١٠. هشام بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥ هـ).
١١. الوليد بن يزيد الثاني (١٢٥ – ١٢٦ هـ).
١٢. يزيد الثالث بن الوليد الثاني (١٢٦ – ١٢٦ هـ).
١٣. ابراهيم بن الوليد الثاني (١٢٦ – ١٢٧ هـ).
١٤. مروان بن الحكم (١٢٧ – ١٣٢ هـ).

الخليفة الأول

معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه)

(٤١-٦٠ هـ/ ٦٦١ –٦٨٠ م)

معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، لقب بأبو عبد الرحمن، وأمه هند بنت عتبه بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف ابن قصي(١).

ولد بمكه قبل البعثة بخمس سنين، وأسلم يوم الفتح وكان من كتاب الوحي، وشهد مع الرسول ﷺ غزوة حنين، والطائف، وهو من رواة الحديث، وولاه أبو بكر الصديق قيادة الجيوش لفتح بلاد الشام، وولاه عمر بن الخطاب أميراً على نيابة دمشق بعد أخيه يزيد خلفاً له(٢).انتقلت اليه خلافة المسلمين بعد إستشهاد علي بن أبي طالب حيث تنازل له الحسن بن علي بن ابي طالب في عام ٤١ هجري (عام الجماعة).

أعمال معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) :

١. وضع نظام البريد في الإسلام
٢. أسس ديوان الخاتم،واتخذ على ختمه شعار لا قوة إلا بالله.
٣. اتخذ المقصورة في المسجد ليصلّي بها بقصد حمايته اثناء الصلاة.
٤. نقل مركز الخلافة من المدينة المنورة إلى دمشق.
٥. اتخذ لنفسه بيتاً ومقراً لإدارة الدولة.
٦. استمال إلى جانبه مشاهير المسلمين ودُهاتهم (عمرو بن العاص).
٧. جعل الخلافة وراثية من بعده، وعهد لابنه يزيد من بعده.
٨. عين الحرس والشرطة لحراسته.

---

(١) ابن كثير، ج٨، ص ١٢٣-١٢٩؛ السيوطي، ص ٢٢١.
(٢) ابن كثير، ج٧، ص ١٠٥.

٩. استمر بنشر الإسلام والفتوحات الإسلامية في مختلف الأقطار المجاورة.

١٠.عمل على انشاء الأسطول الإسلامي، وذلك:

أ. لأن الروم احتفظوا ببعض القلاع على سواحل بلاد الشام، إذ كان لا بد من حمايتها والدفاع عن السواحل المصرية.

ب.فتح القسطنطينية وذلك لبعدها البري.

ج. لتكوين مراكز دفاعية وهجومية في البحر الأبيض المتوسط.

وفي شهر رجب من العام ٦٠ هجري توفي معاوية ودفن بمقابر باب الصغير بدمشق([1]).

الأحزاب السياسية في عهد دولة بني أمية:

بعد استشهاد عثمان تغلغل النفوذ الشيعي في الدولة الإسلامية فهناك من تشيّع لبني أمية من أهل الشام، ونظريتهم أنّ الخلافة للأمويين والذين تظاهروا بالتشيّع لعلي بن أبي طالب في العراق ومصر، وكانت نظرتهم " أن تكون الخلافة في علي وأبنائه من بعده، أما الخوارج " فرأوا أن تكون الخلافة في غير قريش ".

الشيعة: وهؤلاء هم الذين تشيعوا لعلي بن ابي طالب " ورأوا أن الخلافة حق لعلي من أبي بكر وعمر وعثمان، والإمامة له " وأثاروا النعرة والتذمر، والنقمة من عثمان.

ثم ظهرت فكرة **الوصيّة** ولقّبوه بعلي الوصي " أي أن الرسول ﷺ أوصى لعلي بالخلافه من بعده " وهذا غير مقبول، إذ أن الرسول ﷺ ترك أمر الخلافة للمسلمين من بعده شورى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.

فقد نجح ابن سبأ في دس بذور الفتنة بين المسلمين، ونجح في زرع مبادئ الوصية، والرجعية، ويعتقد الشيعة بأنّ النبي ﷺ قد أورث علي علم الظاهر، وعلم الباطن وأطلعه على أسرار الكون وخفايا المغيبات وهذا كذب تلفيق على

([1]) العش ، ٨٩ . .

رسول الله ﷺ ولا يجوز الأخذ به، لان الأمر وأسرار الكون بيد الله لم يطلع عليه أحد.

فرق الشيعة:

١. **الزيدية:** وهؤلاء إدعوا أنهم اتباع زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويرون بصحة إمامة ابي بكر وعمر على الرغم من أفضلية علي، ويرون أنّ الإمامة ليست بالنص، ويّشترط في الإمام أن يكون عالم، وزاهد وحصروها بأبناء فاطمة الزهراءبنت النبي ﷺ زوجة علي بن أبي طالب.

٢. **الإماميّة:** ويجيزون الخلافة لعلي وأن ابا بكر وعمر قد اغتصبوها منه، وأطلق عليهم **بالجعفرية أو الإمامية** لأنهم يؤمنون باثني عشر إماماً، وأن تتوالى فيهم الخلافة، أولهم علي المرتضي وآخرهم محمد بن الحسن المهدي وتعتبر **الإسماعيلية** من فرقهم.

الخوارج:

عرَّف أهل العلم الخوارج بتعريفات منها ما بيَّنه أبو الحسن الأشعري، أن اسم الخوارج ينطبق على تلك الطائفة التي خرجت على رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبيَّن أن خروجهم على عليّ هو السبب في تسميتهم بهذا الاسم، حيث قال رحمه الله تعالى: والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على عليّ لما حكّم أبا موسى الأشعري(١).

وأما ابن حزم: فقد بيَّن أن اسم الخارجي يتعدى الكل من أشبه أولئك النفر الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وشاركهم في معتقدهم، فقد قال: ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور، وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار، وأن الإمامة جائزة في غير

---

(١) مقالات الإسلاميين (٢٠٧/١).

قريش فهو خارجي وإن خالفهم، فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون وخالفهم فيما ذكرنا فليس خارجيًا(١).

وهؤلاء هم الذين خرجوا على علي وهم الذين نادوا بالتحكيم" ونظريتهم في الخلافة أنها حق لكل عربي حُر، ويُشترط فيه الإسلام والعدل، ومن تعاليمهم العمل بأوامر الدين من صلاة، وصيام، وصدق، والعدل جزء من الإيمان، وليس الإيمان والاعتقاد وحده،وبرأيهم أن الأمة ليست بحاجة الى إمام وعلى الناس أن يعملوا بكتاب الله بأنفسهم ".

أهم فرقهم:

١. **الأزارقة:** وهم أصحاب نافع بن الأزرق وهي من أكبر فرق الخوارج واشدهم حقداً، وكفرّوا علي والمسلمين، وحرّموا على أنفسهم الإجابة لأحد من غيرهم، إذا دعاهم للصلاة، ولا يأكلون من ذبائح غيرهم واحتكروا التزاوج من غيرهم على أنفسهم، واسقطوا حد الرجم عن الزاني المُحصن، واسقطوا الحد عن قذف الرجل المحصن، وأقاموه على من قذف النساء والمحصنات، وأجازوا بقطع يد السارق بالقليل والكثير.

٢. **النجدية:** وهم اتباع نجده بن عارم الحنفي ومن تعاليمهم " أنّ المخطئ بعد أن يجتهد معذور، وتحريم دماء المسلمين،وتحريم غصب أموالهم، والإقرار بما جاء من عند الله جمُلة، وعظّم جريمة الكذب على الزنا، واسقط حد شرب الخمر، وأجاز التقيّة، والجلوس عن القتال جائز، واستحلّ دماء أهل الذمة وأموالهم.

٣. **الإباضيّة:**وهم اتباع عبدالله بن اباض التميمي، ويختلفون عن الفرق الأخرى في أنهم لم يغلّوا في الحكم على مُخالفيهم، وحّرموا قتال الخوارج.

٤. **الصّفرية:** وهم اتباع زياد بن الأصفر، ومن تعاليمه " أنه لا يُكفّر الذين جلسوا عن القتال ما داموا مُتفقين في الدين والاعتقاد، وأجاز التقيّة قولاً دون العمل،

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١١٣/٢).

ولم يحكم بقتل أطفال المشركين، وفرّق بين الكبائر وأجاز بمرتكب الأولى وكفّر مرتكب الثانية.

المعتزلة:

وهؤلاء جماعة لم يعجبهم أعمال الخوارج وأهل السنة الذين أوقعوا في الناس قتلاً فاعتزلوا وسمّوا بالمعتزلة، وتتكون عقيدتهم من الأصول الآتيه (التوحيد، والعدل، والوعيد، والقول بالمنزلة بين المنزلين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[1].

المُرجئة:

وهي من الإرجاء وهو التأخير لأنهم يُرجئون الحُكم على العُصاه من المسلمين إلى يوم البعث، ويتحرجون عن إدانة أي مسلم مهما كانت ذنوبه، وكانوا يُجيزون الإيمان والمعصية ولا تنفع مع الكفر طاعة، وعقيدتهم عدم تكفير أي فرد مهما ارتكب معاصي ما دام أنه اعتنق الإسلام، وأمره إلى الله ورضوا بحكم بني أمية.

الزبيريون:

وتُنسب إلى عبدالله بن الزبير وهو صحابي ولد في المدينة وأمه أسماء بنت أبي بكر[2].

---

(1) حسن، ج١، ص ٤١٨-٤٢١.
(2) نفس المصدر السابق.



قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

- إبراهيم الشريقى (١٩٨٦)، **أضواء على الخليج العربي ومسقط وعُمان**، الطبعة الأولى، جدة.
- ابن الأثير (١٩٨٩)، **الكامل في التاريخ**، أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشيباني، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى.
- ابن الجوزي (١٩٦٩)، أبي الفرج **صفة الصفوة**، دار المعرفة، بيروت.
- إبن القيم، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن بكر ابن أيوب (١٩٩٠) **زاد المعاد**، دار الحكمة، دمشق.
- ابن الكلبي (١٩٦٥) ، **الأصنام**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي فيج. ع.م.
- ابن حبيب، (١٩٤٢) **كتاب المحبر**، الطبعة الأولى، يلزه ليختن شتيتر، حيدر أباد..
- أبن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد (١٩٩٩) .**فضائل الصحابة**، دار الجوزي، السعودية،الطبعة الثانية.
- ابن كثير، (١٩٩٨) **البداية والنهاية**، للحافظ ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤ هـ)، دار الريان.
- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك(١٩٥٥) **السيرة النبوية**، القسم الأول ويشمل الجزئين الأول والثاني، والقسم الثاني ويشمل الجزئين الثالث والرابع، تحقيق مطصفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، الطبعة الأولى، القاهرة؛ التيجان في ملوك حمير، ط، حيدر أباد.
- أبو النصر، محمد أحمد (١٩٩١) . **عمر بن الخطاب**، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى
- أبو عيد، عارف (١٩٩٦) **نظام الحكم في الإسلام**، دار النفائس الأردن، الطبعة الأولى.
- أحمد ، مهند رزق الله(١٩٩٦) **الثابتون على الإسلام أيام فتنة الردة في عهد الخليفة ابي بكر الصديق**، دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- أحمد، هدي رزق (١٤١٢هـ) **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.
- الأزرقي (١٩٦٤) ، **أخبار مكة**، الطبعة الأولى، دار خياط- بيروت.
- الأشعري، أبي الحسن (١٩٧٥)، **الإبانة عن أصول الديانة**، ط١، الجامعة الإسلامية.
- الأشعري، أبي الحسن(١٩٦٩)، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، مكتبة النهضة المصرية.

- الأصفهاني،أبي قاسم(١٩٩٩) . **سير السلف** . دار الراية – الرياض، الطبعة الأولى .
- الأفغاني، سعيد(١٩٧١) **عائشة والسياسة**، دار الفكر، بيروت.
- الألباني، محمد ناصر الدين(١٩٣٨)، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، منشورات المكتب الإسلامي.
- إلهي، فضل (٢٠٠٠) **قصة بعث جيش أسامة**، دار ابن حزم- بيروت، الطبعة الثانية.
- باشميل، محمد أحمد (١٩٧٩) **حروب الردة**، دار الفكر، الطبعة الأولى.
- البخاري، ابي عبدالله محمد بن اسماعيل (١٩٩١) **صحيح البخاري**، دار الفكر، الطبعة الأولى.
- البخاري، أبي عبدالله محمد بن اسماعيل(١٩٩١) **صحيح البخاري**، دار الفكر .
- البخاري، محمد بن اسماعيل (١٤٠٦هـ) **التاريخ الصغير للبخاري**، تحقيق محمود إبراهيم زايد،، دار المعرفة-بيروت، الطبعة الأولى.
- البغدادي، محمود الآلوسي(د.ت)، **تفسير الآلوسي المسمى روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، إدارة الطباعة المصطفائية بالهند.
- البلاذري، أبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ) **أنساب الأشراف**، دار المعارف.
- البلاذري، أحمد بن يحيى (١٩٨٧) **فتوح البلدان**، مؤسسة المعارف- بيروت، لبنان.
- البنا، محمد ابراهيم(١٩٧٠)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، مطبعة الشعب، القاهرة.
- البهيقي، أحمد بن الحسين(١٩٧٠)، **السنن الكبرى** ، طبع دار المعارف، بيروت، لبنان، توزيع مكتبة المعارف، الرياض.
- البيهقي، لأبي بكر احمد بن الحسين(١٩٨٦)، **الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة**، دار الكتاب العلمية، بيروت.
- تاريخ ابن خلدون (١٩٦٥)، **(العبر وديوان المبتدأ والخبر)** للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت٨٠٨ هـ) دار الطباعة الخديوية، بولاق – مصر.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (١٣٩٨هـ)**سنن الترمذي**، دار الفكر.
- **تفسير ابن كثير**، دار الفكر للطباعة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ-١٩٧٠م.
- **تفسير الرازي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(١٩٦٨) . **البيان والتبيان** . دار الخانجي – مصر.
- الجوزي، لأبي الفرج عبد الرحمن (٢٠٠١). **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب** . دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الرابعة .
- حجر، أحمد بن علي(١٩٨٩)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، دار الفكر، بيروت.

- حمدي، مجدي (١٩٩٤)، **أبو بكر رجل الدولة**، دار طيبة- الرياض، الطبعة الأولى.
- الحموي، ياقوت (١٩٧٧) **معجم البلدان**، دار صادر- بيروت.
- حنبل، أحمد بن محمد (١٩٩٩) **فضائل الصحابة**، دار ابن الجوزي- السعودية، الطبعة الثانية.
- الحنبلي (للإمام يوسف بن الحسن بن عبد الهادي الدمشقي الصّالحي) (٢٠٠٠)، **محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، دار أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى.
- الخازن، نسيب وهيبة (د.ت)، **من الساميين إلى العرب**، ط، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- الخالدي، صلاح عبدالفتاح (١٩٩٥) **الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد**، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى.
- خطاب، محمود شيت(١٩٧١) . **الفاروق القائد** . دار الفكر، الطبعة الرابعة .
- الخليفة، حامد محمد (٢٠٠٢) ، **الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من خلاف**، مطابع الدوحة – المدينة الرياضية، عمان- الأردن.
- خليل، عماد الدين (١٩٨٩) **دراسات في السيرة النبوية**، الطبعة الحادية عشر، بيروت.
- خميس، عثمان (٢٠٠١) **حقبة من التاريخ**، مركز الثقافة الإسلامية.
- الدمشقي، أبو الفداء الحافظ بن كثير (١٩٨٨)، **البداية والنهاية**، دار الريان، القاهرة، الطبعة الأولى.
- الذهبي، محمد بن أحمد (١٩٩٩) **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة.
- زيدان، جرجي (١٩٣٩) ، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط، مصر.
- السامرائي، نعمان عبدالرزاق (١٩٦٨)، **أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية**، دار العربية.
- السجستاني، سليمان (١٣٩١هـ) **سنن أبي داود**، تحقيق وتعليق عزت الدعاس، سوريا.
- السلمي، محمد بن صامل (١٤١٩هـ) **خلافة عثمان بن عفان**، مكتبة سالم، العزيزية، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى.
- السّلمي، محمد بن صامل (١٩٩٧)، **ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، خلافة عمر**، دار الوطن، ط١.
- السلمي، محمد بن صامل(١٩٩٧)، **ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، خلافة أبي بكر الصديق**، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى.
- السيد، مجد فتحي(١٩٩٦)**سيرة وحياة الصديق**، دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى.
- السيد،مجدي فتحي (١٩٩٦)، **صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق عمر بن الخطاب**،

دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى.

- السيوطي، عبدالرحمن(١٩٨٠)، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- السيوطي، للإمام جلال الدين (١٩٩٧) . **تاريخ الخلفاء**، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى.
- شاكر، محمود (١٩٩٠)، **التاريخ الإسلامي**، المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة.
- الشرقاوي، عبد الرحمن (١٩٨٨) . **الفاروق عمر**، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى.
- الشرقاوي، عبدالرحمن (١٩٩٠) **الصديق أول الخلفاء**، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى.
- شلبي، أحمد (١٩٩٦) **موسوعة التاريخ الإسلامي**، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية.
- شلبي، محمود (١٩٧٩) **حياة أبي بكر**، دار الجيل- بيروت، الطبعة الأولى.
- الشهرستاني، ابي الفتح محمد عبدالكريم (١٤١٣هـ) **الملل والنحل**، تحقيق: الأستاذ أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية.
- **صحيح مسلم**، بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى،(١٣٤٧هـ-١٩٢٩م).
- الصلابي، علي محمد (٢٠٠١) أبو **بكر الصديق رضي الله عنه، شخصيته وعصره.**
- الصلابي، علي محمد (٢٠٠٥) **سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه**، ط١
- الصلابي، علي محمد (٢٠٠٦) **سيرة عثمان بن عفان، شخصيته وعصره**، ط١
- الصلابي، علي محمد(٢٠٠٠) **سيرة أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب**، دار الكتاب الثقافي، أربد، الأردن.
- الطبراني، ابي القاسم (١٩٨٥) **المعجم الكبير للطراني**، دار مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية.
- الطبري، أبي جعفر (١٩٨٧) ، **تاريخ الأمم والملوك**، دار الفكر- بيروت، الطبعة الأولى.
- طنطاوي، علي (١٩٨٦) . أبو بكر الصديق . دار المنارة – جدة (السعودية)، الطبعة الثالثة.
- الطنطاوي، علي ؛ الطنطاوي، ناجي (١٩٨٣). **أخبار عمر وأخبار عبدالله بن عمر** . المكتي الإسلامي، الطبعة الثامنة.
- الظاهري، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم(١٩٨٨)، **المحلى بالآثار**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- عاقل، نبيه (١٩٨٣)، **تاريخ العرب القديم وعصر الرسول**، الطبعة الثالثة، دار الفكر.
- العاني، عبد الرحمن عبد الكريم ؛ زعين، د. حسن فاضل (١٩٨٩) . **الخليفة الفاروق عمر**

بن الخطاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى .

- العتوم، علي (١٩٩٧) **حركة الردة**، مكتبة الرسالة الحديثة، عمّان، الطبعة الثانية.
- العسقلاني، أحمد بن علي (١٤٠١هـ) **فتح الباري**، للحافظ ابن حجر، المطبعة السلفية، الروضة – مصر، الطبعة الثانية.
- العش، يوسف (١٩٨٥) **الدولة الأموية**، دار الفكر، الطبعة الثانية.
- العقاد، عباس محمود(١٩٨٠)، **عبقرية عمر** . المكتبة العصرية، بيروت .
- العقاد، عباس محمود(١٩٨٢)، **عبقرية الصديق**، دار المعارف، القاهرة.
- علوش، ابوعبدالله عبدالسلام ابن حجر العسقلاني (٢٠٠٤) **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، الرياض.
- العمد، تحقيق إحسان صدقي (١٩٩٧) .**الشيخان أبو بكر وعمر برواية البلاذري في أنساب الأشراف**، المؤتمن للنشر، السعودية، الطبعة الثالثة.
- عمر رضا كحالة، (١٩٦٤) **جغرافية شبه الجزيرة العرب**، الطبعة الثانية، القاهرة.
- العمري، أكرم ضياء (١٩٩٤) **عصر الخلافة الراشدة**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى.
- القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (١٩٦٥) **تفسير القرطبي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- القضاة، أمين (١٩٨٦) **الخلفاء الراشدون أعمال وأحداث**، مكتبة المنار، الأردن .
- قطب، سيد (١٩٨٠) **في ظلال القرآن** ، دار الشروق، الطبعة التاسعة.
- كحالة، عمر رضا(١٩٤٩)، **معجم قبائل العرب**، الطبعة الأولى، دمشق.
- الماوردي، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب(١٩٨٣). **الأحكام السلطانية**، الكتب العلمية. بيروت.
- المباركفوري، صفي الرحمن (٢٠٠٠). **الرحيق المختوم**، دار الوفاء للطباعه والنشر – المنصوره الطبعة الثانية.
- مبيض، محمد سعيد (١٩٨٩) **العواصم من القواصم**، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الثقافة– الدوحة، الطبعة الثانية.
- محمد صبحي عبد الحكيم وآخرين(١٩٨٠)، **الوطن العربي– أرضه وسكانه وموارده**، الطبعة الثالثة، القاهرة.
- محمد متولي (١٩٧٥)، **حوض الخليج العربي**، الجزء الأول، الطبعة الثانية القاهرة.

- محمود طه أبو العُلا(١٩٧٥)، **جغرافية شبه الجزيرة العربية (جغرافية المملكة العربية السعودية)**، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، القاهرة.
- المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين (١٩٨٢) **مروج الذهب ومعادن الجواهر**، دار المعرفة– بيروت.
- المصري، محمود (١٩٩٩). **أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم** . مكتبة أبي حذيفة السلفي، الطبعة الأولى.
- النبراوي، فتحية عبدالفتاح(١٩٩٤)، **عصر الخلفاء الراشدين**، الدار السعودية، ط٣.
- النجار، عبدالوهاب (١٩٨٦) **الخلفاء الراشدون**، دار القلم– بيروت، الطبعة الأولى.
- الهمذاني، أبو محمد الحسن بن أحمد(١٩٥٤) **الأكليل**، ج١، نشر Lofgren، أبسالا؛ صفة جزيرة العرب. نشره محمد بن عبدالله بن بلهيد النجدي.
- هيكل، محمد حسين(١٩٧١) **الصديق أبو بكر**، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى.
- الواقدي (١٩٦٦)، **كتاب المغازي**٣أجزاء، تحقيق مارسدن جونس، مطبعة جامعة إكسفورد.
- ياسين، عبد علي (٢٠٠٣)، **تاريخ صدر الإسلام من البعثة النبوية الى نهاية الدولة الإموية** . دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، الأردن .
- اليحيى، د. يحيى إبراهيم (١٩٩٦) . **الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري**، دار الهجرة – الرياض، الطبعة الأولى .
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (١٩٦٠) **تاريخ اليعقوبي** اليعقوبي، دار صادر، بيروت.

فهرس المحتويات